الكلام الجلي

في ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام

تأليف

السيد حيدر الحسيني

دار الحجة البيضاء

www.haydarya.com

الكلام الجلي

في ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام

الطبعة الأولى

١٩٨١ ميلادية . بيروت ـ لبنان

الطبعة الثانية

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م

توزيع

حارة حريك ـ شارع الشيخ راغب حرب ـ قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

الكلم الجلي

في ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام

٢٦٥
٦١٦٥

تأليف

السيد حيدر الحسيني

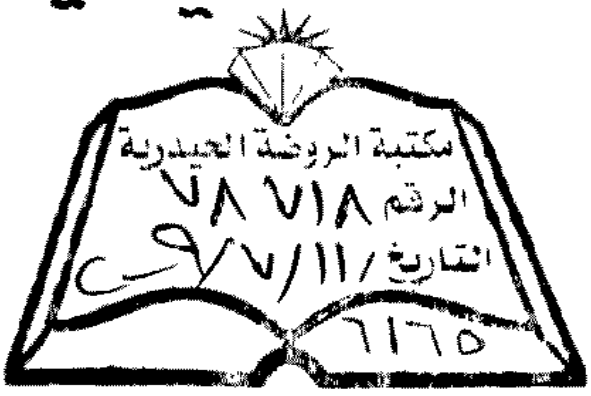

دار المحجة البيضاء

ك/
٤٤٣/٥
/٤٨
٤٨
.ق٢٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.

قرآن كريم

الإهداء

إلى . . . حبيبي

وحبيب كل المؤمنين

إلى . . . من قتل في قعر السجون تأسياً بجده سميٍّ الكليم موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه

إلى . . . المقتول ظلماً وعدواناً

إلى . . . النفس الزكية والروح الروّية وسليل الدوحة الحسينية

إلى . . . أبي جعفر شهيد الإسلام وشهيد الطائفة الشهيد السعيد آية الله السيد محمد باقر الصدر قدس الله سره

فقد كان له ابتداء السبق في البذل والعطاء في لزومية الطبعة الأولى من هذا السفر المطيّب وبدعاء مخصوص من السيد الجليل أسكنه الله عليائه وحشره مع أجداده محمد وآله الأبرار الأطهار سادات الخلق أجمعين . . تمت الطبعة الأولى .

لذا أقدم سطوري في علم أمير المؤمنين النوري .

المؤلف

قـد رأى صـورة الهـدى مـن رآه وأتـى بـابَ العلـم مـن قـد أتـاه
مـن عـن الغيـب قـد أمـاط غطـاه كـم عـرى مُشكِـلٌ فحـلَّ عُـراه
ليس للمشكلات إلا فتاها

هـل أحـاط الـوجـود فـي معنـاه هـل حـوى الـذكـر غيـر ذكـر عُـلاه
هـل حَلَـت سـورة بغيـر حُـلاه هـل أتـت (هـل أتـى) بمـدح سـواه
لا ومولاً بذكره حلاّها

هـو روح العلـوم أُجهـل كنـه منـه والـروح عُلِّـم العِلَـم منـه
ذلـك الـذكـرُ عنـه إن تسئلنـه فتـأمـل بـ(عـمَّ) تنبئـكَ عنـه
نبأُكلَّ فرقةٍ أعياها

هذه أبيات من القصيدة الموسومة بالهائية المعروفة بالأزرية المشهورة بالألفية لناظم قلائد أفصح المتكلمين وأبدع أنهل الناظمين أجمعين الشيخ كاظم الأزري تغمده الله برحمته وتخميسها للأديب الأريب الشيخ جابر الكاظمي رحمه الله:

هـو نفـس الهـدى وذاك سنـاه بعيـون الـورى عيـانـاً تـراه
وبـأشكـالهـا بـدى معنـاه أيُ نفـس لا تهتـدي بهـداه
وهو من كل صورة مقلتاها

آيـة الله فـي الـورى فـاقتصـدهـا وتتبَّـع آيـاتهـا واعتمـدهـا
هـي نفـسٌ نفـس النبـي اعتقـدهـا وتفكـر بـانـت منـي تجـدهـا
حكمةٌ تورث الرقود انتباها

هــو هٰــرون رتبــة فــاعــرفــوه ووزيـــرٌ لـــه فـــلا تنكـــروه
ووصـــي مـــن بعـــده فـــانصـــروه أومـــا كـــان بعـــد مـــوســـى أخـــوه
خير أصحابه وأعظمَ جاها

فـــاق منـــه كنـــه النبيـــن كنـــهُ وســـوى أحمـــد فتـــى لـــم يُـــزنـــه
فهـــو منـــه كنفســـه نـــاب عنـــه ليـــس تخلـــو إلا النبـــوةُ منـــه
ولهذا خير الورى استثناها

ليـــس إلا لـــه الـــولايـــة تُجْمـــلُ وهـــو المقتـــدى وفيـــه التـــوســـلُ
وهـــو ثـــانٍ لعـــدة فيـــه تكمـــلُ وهـــو فـــي آيـــة التبـــاهـــل نفـــس آلُ
مصطفى ليس غيره إيّاها

ســـل إذا مـــا جهلـــت منـــه محـــلا مـــن علـــى كـــلِّ ذي وجـــود تـــولّـــى
و(بـــأكملـــتُ دينكـــم) مـــن تحلّـــى ثـــم ســـل (إنمـــا وليكـــم اللّـ
ـهُ) ترى الاعتبار في معناها

ذاك رمـــزٌ بحيـــدرِ الطُهـــر جُـــلاّ بـــل وعقـــدٌ حُـــلاهُ للـــديـــن حلّـــى
ولكـــم قـــد أتـــت دليـــلٌ تجلّـــى آيـــةٌ خَصَّـــتِ الـــولايـــةُ للّـــلا . .
. . هِ وللندب حيدر وبعد طه

النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله قديم الإحسان عظيم الامتنان خلق الإنسان وعلّمه البيان وشرّفه بالقلم واللسان والصلاة والسلام على خير بريته وصفوة خلقه وسيد ولد آدم وخاتم أنبيائه وسيد رسله محمد صلى الله عليه وعلى آله حجج الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله فهم معدن التنزيل ومعنى التأويل وخاصة الرب الجليل ومهبط الأمين جبرئيل وصفوة الله وسره وكلمته وشجرة النبوة ومعدن الصفوة عين المقالة ومنتهى الدلالة ومحكم الرسالة ونور الجلالة وجنب الله ووديعته وموضع كلمة الله مفتاح حكمته ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته السبيل إلى الله والسلسبيل والقسطاس المستقيم والمنهاج القويم والذكر الحكيم والوجه الكريم أهل التشريف والتقويم والتقديم والتعظيم والتفضيل خلفاء النبي الكريم وأبناء الرؤوف الرحيم وأمناء العلي العظيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وأبناء مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون الكواكب والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المحمدية والأغصان النبوية الثابتة في الدوحة الأحمدية والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية والذرية الزكية والعترة الهاشمية الهادية المهدية أولئك هم خير البرية فهم الأئمة الطاهرون العترة المعصومون والذرية الأكرمون والخلفاء الراشدون والكبراء الصديقون والأوصياء المنتجبون والأسباط المرضيون والهداة المهديون والغر الميامين من آل طه ويس وحجج الله على الأولين والآخرين اسمهم مكتوب على

الأحجار وعلى أوراق الأشجار وعلى أجنحة الأملاك وعلى ساق العرش ذا الجلال وسرادقات العز والجمال جل مقام آل محمد سلام الله عليهم عن وصف الواصفين ونعت الناعتين وأن يقاس بهم أحد العالمين، وهم الكلمة العليا والوحدانية الكبرى.

والحمد لله المحمود لنعمته المعبود لقدرته المطاع في سلطانه المرهوب لجلاله، المرغوب إليه فيما عنده النافذ أمره في جميع خلقه علا فاستعلى ودنى فتعالى وارتفع فوق كل منظر الذي لا بدء لأوليته ولا غاية لأزليته القائم قبل الأشياء والدائم الذي به قوامها والقاهر الذي لا يؤوده حفظها والقادر الذي بعظمته تفرد بالملكوت وبقدرته توحد بالجبروت وبحكمته أظهر حججه على خلقه، اخترع الأشياء إنشاءً وابتدعها ابتداءً بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعلّة فلا يصح الابتداع خلق ما شاء كيف شاء متوحداً بذلك لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيته لا تضبطه العقول ولا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به مقدار عجزت دونه العبارات وكلت دونه الأبصار وحلل فيه تصاريف الصفات احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور عُرفَ بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم لا إله إلا الله الكبير المتعال.

أما بعد ففي هذا الكتاب المسمى بالكلام الجلي في ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام بغية الطالب ومنية الراغب وعلى صفحات مهارقه حقيقة للدارس ومعارف للممارس في عيون ينابيع خلافة أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين ومعدن علم رسول رب العالمين وباب حكمته علي بن أبي طالب عليه السلام خلف النبي الكريم وهدية الرؤوف الرحيم وأمين العلي العظيم والله سميع عليم السنام الأعظم والطريق الأقوم من عرفه وأخذ عنه فإليه الإشارة من تبعه فإنه منه، خلقه من نور عظمته وولاه أمر مملكته فهو سر الله المخزون ووليه المقرب وخليفته في أرضه.

والخلافة ميراث الأنبياء ومنزلة الأصفياء وخلافة الله وخلافة رسول الله ﷺ فهي عصمة وولاية وسلطنة وهداية لأنها تمام الدين ورجح الموازين.

والإمام دليل للقاصدين ومنار للمهتدين وسبيل للسالكين وشمس مشرقة في قلوب العارفين وإليه سبب النجاة وطاعته مفترضة في الحياة وعدّة بعد الممات وعز المؤمنين وشفاعة المذنبين ونجاة المحبين وفوز التابعين لأنها رأس الإسلام وكمال الدين ومعرفة الحدود والأحكام حد سنن الحلال والحرام فهي مرتبة لا ينالها إلا من اختاره الله وقدّمه وولاّه.

فالولاية هي حفظ الثغور وتدبير الأمور وتعديد الأيام والشهور.

والإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى الإمام المطهر من الذنوب المطلع على الغيوب الإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار فلا تناله الأيدي والأبصار وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**فللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ والمؤمنون عليٌ عليه السلام وعترته فالعزة للنبي ﷺ والعترة والنبي لا يفترقان إلى آخر الدهر فهم رأس دائرة الإيمان وقطب الوجود وسماء الجود وشرف الموجود وضوء شمس الشرف ونور قمره وأصل العز والمجد ومبدئه ومعناه ومبناه.

فالإمام هو السراج الوهاج والسبيل والمنهاج والماء الثجاج والبحر العجاج والبدر المشرق والغدير المغدق والمنهج الواضح المسالك والدليل الفاضل.

قال عبد الباقي أفندي العمري في ترياقه القصيدة العينية الروية والخريدة العدوية السرية في مدح نور حدقة عين الأعيان الثابتة ونور حديقة الشجرة التي فرعها في السماء وأصلها في بحبوحة البطحاء أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام.

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا ... ببطن مكة وسط البيت إذا وضعا
وأنت حيدرة الغاب الذي أسد البرج ... السماوي عنه خاسئاً رجعا
وأنت باب تعالى شأن حارسه ... بغير راحة روح القدس ما قرعا

وقال:

وأنت نقطة باء مع توحدها ... بها جميع الذي في الذكر قد جمعا
وأنت والحق يا أقضى الأنام به ... غداً على الحوض حقاً تحشران معا
وأنت صنو نبي غير شرعته ... للأنبياء إله العرش ما شرعا
وأنت زوج ابنة الهادي إلى سنن ... من حاد عنه عداه الرشد فانجزعا

وقال:

وأنت غوث وغيث في ردى وندى ... لخائف ولراج لاذا وانتجعا
وأنت ركن يجير المستجير به ... وأنت حصن لمن من دهره فزعا
وأنت من بنداه عِزّ من طمعا ... وفي جوى من سواه ذل من قنعا

وقال:

وأنت من حمت الإسلام وفرته ... ودرّعت لبدتاه الدين فادّرعا
وأنت من فجع الدين المبين به ... ومن بأولاده الإسلام قد فجعا
وأنت أنت الذي منه الوجود نضى ... عمود صبح ليافوخ الدجا صدعا
وأنت أنت الذي حطت له قدم ... في موضع يده الرحمن قد وضعا
وأنت أنت الذي للقبلتين مع النبي ... أول من صلى ومن ركعا
وأنت أنت الذي آثاره ارتفعت ... على الأثير وعنها قدره اتضعا

وقال:

بذي فقارك عنا أي فاقرة ... قصمتها ودفعت السوء فاندفعا

أراد سيفك في ليل العجاجة أن يرو ... ي السنى عز لسان الصبح فاندلعا
عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو ... كان العلاج بغير البيض ما نجعا
والرعد قد ظن طرف البرق فيك كبا ... لما أغرت على العليا فقال لعا
نبزت للشرك شلوا بالعراء لذا ... عليه نسر من الخذلان قد وقعا
والليل لما تسمى كافراً بشباً ... فرضاب بطشك قد غادرته قطعا
وباب خيبر لو كانت مسامرهُ ... كل الثوابت حتى القطب لانقلعا

وقال:

لله درّ فتى الفتيان منك فتى ... ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا
لقد ترعرعت في حجر عليه لذي ... حجر براهيم تعظيم بها قطعا
ربيب طه حبيب الله أنت ومن ... كان المربي له طه فقد برعا

وقال:

آخاك في عز قدر أن يكون له ... أخاً سواك إذا داعي الإخاء دعا
سمتك أمك بنت الليث حيدرة ... أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا
لك الكساء مع الهادي وبضعته ... وقرتي ناظريه ابنيك قد جمعا

وقال:

عليك أسنى سلام الله ما غربت ... شمس وما قمرت أفقه طلعا
وآلك الغرّ ما ناحت مطوقة ... من فوق غصن أسى في حزنها ينعا
وما لأوج العلا نادى مؤرخه ... مقام نعت على باسمه رفعا

القول في الإمامة العامة

وهي الخلافة عن الرسول ﷺ. **قال** الرسول ﷺ: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، قيل يا رسول الله ما معنى أن علياً سيد العرب قال ﷺ: تجب طاعته كما تجب طاعتي فكما أن بعث الرسول وطاعة البشر له لطف من الله كذلك تكون نيابة الإمام عن النبي ﷺ لطفاً من الله وهي واجبة عقلاً فإنه لا بد للناس من رئيس مرشد مطاع ينتصف للمظلوم من ظالمه ويردع الظالم عن ظلمه فيكون الإمام مكانه في القلوب وتكون الرعية طائعة والإمام مطاع وكلما كان التعاضد بين الإمام والناس بيّناً حتى يكون الناس إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد وهذا هو اللطف الإلهي فهو كل أمر إلهي يقرب العبد من الطاعة ويبعده عن المعصية وإن هذا المعنى حاصل في الإمامة.

والإمامة تابع من توابع النبوة وفروعها فكما يجب اتصاف النبي ﷺ بجميع الكمالات والفضائل ويجب أن يكون في ذلك أفضل وأكمل من كل واحد من أهل زمانه لأنه تقبيح من الحكيم الخبير أن يقدم المفضول المحتاج إلى التكميل على الفاضل المكمل عقلاً وسمعاً إذ يستحيل على الحكيم العبث والعبث قبيح والقبح ليس ممن يتعاطاه الحكيم.

أقول فالإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص إنساني وكونها رياسة عامة مفصولة عن ولاية القضاة في أمور الدين والدنيا وكونها رياسة في الدين ورياسة في الدنيا لشخص إنساني وبيان متعلق شخص الإمام الإنساني كونه أولاً شخصاً معيناً معهوداً من رسول الله ﷺ وثانياً لا يجوز أن

يكون مستحق الرياسة أكثر من واحد في عصر واحد بحق الأصالة وقلنا بحق الأصالة احترازاً عن النائب الذي يفوضه الإمام عموم الولاية فإن رياسته عامة إلا أنها ليست بالأصالة وذلك لأن النائب المذكور لا رياسة له على إمامه وهذا ينطبق على تعريف النبوة يزاد فيه بحق النيابة عن النبي أو بواسطة بشر.

الفرق بين النبوة والإمامة

ومن جملة الألفاظ التي تكرر استعمالها بمرور الزمن لفظ الإمامة فسره قوم بالنبوة والتقدم والمطاعية مطلقاً وفسره آخرون بمعنى الخلافة أو الوصاية أو الرياسة في أمور الدين والدنيا وكل ذلك لم يكن فإن النبوة معناها تحمل النبأ من جانب الله والرسالة معناها تحمل التبليغ والمطاعية والإطاعة. قبول الإنسان ما يراه أو يأمره غيره وهو من لوازم النبوة والرسالة والخلافة نحو من النيابة وكذلك الوصاية والرياسة نحو من المطاعية وهو مصدرية الحكم في الاجتماع وكل هذه المعاني غير معنى الإمامة التي هي كون الإنسان بحيث يقتدي به غيره بأن يطبق أفعاله وأقواله بأفعاله وأقواله على نحو التبعية ولا معنى لأن يقال لنبي من الأنبياء مفترض الطاعة إني جاعلك للناس نبياً أو مطاعاً فيما تبلغه بنبوتك أو رئيساً تأمر وتنهي في الدين أو وصياً أو خليفة في الأرض تقضي بين الناس في مرافعاتهم بحكم الله.

وروى السيد محمد حسين الطباطبائي قدس الله سره العالي في الميزان[1] في قول عز من قائل: **﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾**[2].

قال السيد الطباطبائي في قوله تعالى **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾** ـ وهو قصد البحث ـ أي مقتدى يقتدي بك الناس ويتبعونك في أقوالك وأفعالك

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: للحكيم محمد حسين القاضي الطباطبائي قدس الله سره العالي.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٢.

فالإمام هو الذي يُقتدى ويأثم به الناس ولذلك ذكر عدة من المفسرين أن المراد به النبوة لأن النبي يقتدي به أمته في دينهم قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾[1] لكنه في غاية السقوط.

أما أولاً: فلأنه قوله إماماً مفعول ثان لعامله الذي هو قوله جاعلك واسم الفاعل المجرد من الألف واللام لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي وإنما يعمل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال فقوله ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ وعدٌ له عليه السلام بالإمامة في ما سيأتي مع أنه وحي لا يكون إلا مع نبوة فقد كان عليه السلام نبياً قبل تقلده الإمامة فليست الإمامة في الآية بمعنى النبوة ـ ذكره بعض المفسرين.

وأما ثانياً: أن قصة الإمامة إنما كانت في أواخر عهد إبراهيم عليه السلام بعد مجيء البشارة له بإسحاق وإسماعيل وإنما جاءت الملائكة بالبشارة في مسيرهم إلى قوم لوط وإهلاكهم وقد كان إبراهيم حينئذٍ نبياً مرسلاً فقد كان نبياً قبل أن يكون إماماً فإمامته غير نبوته. وقال السيد الطباطبائي: وليست الإمامة تخالف الكلمات السابقة وتختص بموردها بمجرد العناية اللفظية فقط إذ لا يصح أن يقال لنبي ـ من لوازم نبوته كونه مطاعاً بعد نبوته ـ إني جاعلك مطاعاً للناس بعدما جعلتك كذلك ولا يصح أن يقال له ما يؤول إليه معناه وإن اختلف بمجرد عناية لفظية فإن المحذور هو المحذور وهذه المواهب الإلهية ليست مقصورة على مجرد المفاهيم اللفظية بل دونها حقائق من المعارف الحقيقية فلمعنى الإمامة حقيقة وراء هذه الحقائق.

أقول: إنه كلما تفحصنا في كلامه تعالى نجد أنه لكما تعرض لمعنى الإمامة تعرض معها للهداية. قال تعالى في قصص إبراهيم عليه السلام: ﴿**ووهبنا له إسحٰق ويعقوب نافلة وكُلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون**

---

(١) سورة النساء: آية ٦٣.

بأمرنا﴾[1]. وقال عز من قائل: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[2] فوصفها بالهداية وصف تعريف ثم قيدها بأمر فبين أن الإمامة ليست مطلق الهداية بل هي الهداية التي تقع بأمر الله وهذا الأمر هو الذي بيّن حقيقته في قوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾[3]، وقوله: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر﴾[4].

أقول: الإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية الناس في أعمالهم وهدايتها إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد إرائة الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة. قال عز من قائل: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾[5]. وقال عز من قائل في مؤمن آل فرعون: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعونِ اهدهم سبيل الرشاد﴾[6] وقال عز من قائل: ﴿ولولا نفر من كل فرقة منهم وطائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[7].

أقول: إن الإمامة موهبة وسبب الموهبة الملكوتية هو صبرهم في جنب الله ويتبين في قوله تعالى: ﴿... لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ وإطلاق

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٧٣.
(٢) سورة السجدة: آية ٢٤.
(٣) سورة يس: آية ٨٣.
(٤) سورة القمر: آية ٥٠.
(٥) سورة إبراهيم: آية ٤٠.
(٦) سورة المؤمن: آية ٤١.
(٧) سورة التوبة: آية ١٢٣.

الصبر في قوله تعالى في كل ما يبتلي ويمتحن به عبد في عبوديته وكونهم قبل ذلك موقنين، يقول عز من قائل في قصص إبراهيم عليه السلام: ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**﴾[1]. وقد قال السيد محمد حسين الطباطبائي في ميزانه في قوله تعالى بخصوص هذه الآية أن الآية تعطي بظاهرها أن إرائة الملكوت لإبراهيم كانت مقدمة لإفاضة اليقين عليه ويتبين به أنّ اليقين لا ينفك عن مشاهدة الملكوت كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون**﴾ إلى أن قال: ﴿**كلا إن كتاب الأبرار لفي عليّين وما أدريك ما علّيون كتاب مرقوم يشهده المقربون**﴾[3]. وهذه الآيات تدل على أن المقربين هم الذين لا يحجبون عن ربهم بحجاب قلبي وهو المعصية والجهل والريب والشك فهم أهل اليقين بالله وهم يشهدون عليين كما يشهدون الجحيم.

أقول: وبالجملة فالإمام يجب أن يكون إنساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت متحققاً بكلمات من الله سبحانه ـ كما أن الملكوت هو الأمر الذي هو الوجه الباطن من وجهي هذا العالم فقوله تعالى: ﴿**يهدون بأمرنا**﴾ يدل دلالة واضحة على أن كل ما يتعلق به أمر الهداية وهو القلوب والأعمال فللإمام باطنه وحقيقته ووجهه الأمري حاضر عنده غير غائب عنه ومن المعلوم أن القلوب والأعمال كسائر الأشياء في كونها ذات وجهين. فالإمام يحضر عنده ويلحق به أعمال العباد خيرها وشرها وهو المهيمن على السبيلين جميعاً سبيل السعادة وسبيل الشقاوة، وقال عز من قائل: ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾.

---

(١) سورة الأنعام: آية ٧٥.

(٢) سورة التكاثر: آية ٦.

(٣) سورة المطففين: آية ٢١.

والإمام تفسيره بالإمام الحق دون كتاب الأعمال ولكان قوله ﴿كل أناس﴾ أن الإمام هو الذي يسوق الناس إلى الله سبحانه يوم تبلى السرائر كما أنه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياة الدنيا وباطنها، والآية في تحقيقها تفيد أن الإمام لا يخلو منه زماناً من الأزمنة وعصر من الأعصار لمكان قوله ﴿كل أناس﴾ ثم أن الإمام على شرافته وعظمته لا يقوم إلا بمن كان سعيد الذات بنفسه إذ الذي ربما تلبّس ذاته بالظلم والشقاء فإنما سعادته بهداية من غيره وقد قال عز من قائل: ﴿**أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى**﴾[1]. وقد قوبل في الآية بين الهادي إلى الحق وبين غير المهتدي إلا بغيره أعني المهتدي بغيره وهذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلى الحق مهتدياً بنفسه، إن المهتدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحق البتة ويستنتج من هنا أمران:

أحدهما: أن الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال والمعصية وإلا كان غير مهتدٍ لنفسه كما مر كما يدل عليه أيضاً قول عز من قائل: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوات وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾[2]. فأفعال الإمام خيرات يهتدي إليها لا بهداية من غيره بل باهتداء من نفسه بتأييد إلهي وتسديد رباني والدليل عليه قول عز من قائل: ﴿**فعل الخيرات**﴾ الآية، بناء على أن المصدر المضاف يدل على الوقوع ففرق بين مثل قولنا وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات فلا يدل على أن ما فعلوه من الخيرات إنما هو بوحي باطني وتأييد سماوي.

الثاني: عكس الأمر الأول وهو أن من ليس بمعصوم فلا يكون إماماً هادياً إلى الحق البتة وبهذا البيان يظهر أن المراد بالظالمين في قول عز من

---

(١) سورة يونس: آية ٣٥.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٧٣.

قائل، قال: ﴿. . . **ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ الآية، مطلق من صدر عنه ظلم ما من شرك أو معصية وإن كان منه في برهة من عمره ثم تاب وصلح.

روى الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله عز وجل اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً وأن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً وأن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً وأن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً فلما جمع له الأشياء قال ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾، قال عليه السلام: فمن عظمها في عين إبراهيم ﴿**قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾، قال: لا يكون السفيه إمام التقي.

بيان مسهب للسيد محمد حسين الطباطبائي في ميزانه عن رواية الإمام الصادق عليه السلام أن الله اتخذ إبراهيم عبداً، الرواية.

قال: واعلم أن اتخاذه تعالى أحداً من الناس عبداً غير كونه في نفسه عبداً فإن العبدية من لوازم الإيجاد والخلقة لا ينفك عن مخلوق ذي فهم وشعور ولا يقبل الجعل والاتخاذ وهو كون الإنسان مثلاً مملوك الوجود لربه مخلوقاً مصنوعاً له سواء جرى في حياته على ما يستدعيه مملوكيته الذاتية واستسلم لربوبية ربه العزيز أو لم يجر على ذلك قال تعالى: ﴿**إن كلُّ من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً**﴾[1] وإن كان إذا لم يجر على رسوم العبودية وسنن الرقيّة استكباراً في الأرض وعتواً كان من الحري أن لا يسمى عبداً بالنظر إلى الغايات، فإن العبد هو الذي أسلم وجهه لربه وأعطاه تدبير نفسه فينبغي أن لا يسمى بالعبد إلا من كان عبداً في نفسه وعبداً في عمله فهو العبد حقيقة. قال تعالى: ﴿**وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض**

---

(١) سورة مريم: آية ٩٤.

هوناً﴾[1]، وعلى هذا فاتخاذه تعالى إنساناً عبداً وهو قبول كونه عبداً والإقبال عليه بالربوبية هو الولاية وهو تولى أمره كا يتولى الرب أمر عبده والعبودية مفتاح للولاية كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**قل إن ولي الله الذي نزّل الكتاب بالحق وهو يتولى الصالحين**﴾[2] أي اللائقين للولاية فإنه تعالى سمّى النبي في آيات من كتابه بالعبد، قال تعالى: ﴿**الذي أنزل الكتاب على عبده**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**ينزل على عبده آيات بينات**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**قام عبد الله يدعوه**﴾[5] فقد ظهر أن الاتخاذ للعبودية هو الولاية.

بيان: قول الإمام الصادق عليه السلام وأن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً الفرق بين النبي والرسول على ما يظهر من الروايات المروية عن أئمة أهل البيت أن النبي هو الذي يرى في المنام ما يوحي به إليه والرسول هو الذي يشاهد الملك قد كلمه والذي يظهر من قصص إبراهيم هو هذا الترتيب، قال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدّيقاً نبياً إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً**﴾[6]. فظاهر الآية أنه عليه السلام كان صدّيقاً نبياً حين يخاطب أباه بذلك فيكون هذا تصديق لما أخبر به ابراهيم في أول وروده على قومه: ﴿**إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدينِ**﴾[7] وقال تعالى: ﴿**ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام**﴾[8]. والقصة وهي تتضمن مشاهدة الملك وتكليمه

---

(١) سورة الفرقان: آية ٦٣.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٩٥.
(٣) سورة الكهف: آية ١.
(٤) سورة الحديد: آية ٩.
(٥) سورة الجن: آية ١٩.
(٦) سورة مريم: آية ٢.
(٧) سورة الزخرف: آية ٢٧.
(٨) سورة هود: آية ٦٩.

واقعة في حال كِبَر إبراهيم عليه السلام بعدما فارق أباه وقومه.

بيان: قول الإمام الصادق عليه السلام أن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً يستفاد ذلك من قوله تعالى: **﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾**[1] فإن ظاهره أنه إنما اتخذه خليلاً لهذه الملة الحنيفية التي شرعها بأمر ربه إذ المقام مقام.

بيان: شرف ملة إبراهيم الحنيف التي تشرف بسببها إبراهيم عليه السلام بالخلة والخليل أخص من الصديق فإن أحد المتحابين يسمى صديقاً إذا صدق في معاشرته ومصاحبته ثم يصير خليلاً إذا قصر حوائجه على صديقه والخلة والفقر والحاجة.

بيان: قول الإمام الصادق عليه السلام وأن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إمام... يظهر معناه مما تقدم من البيان.

وقوله: قال لا يكون السفيه إمام التقي إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾**[2] فقد سمى الله سبحانه الرغبة عن ملة إبراهيم وهو الظلم سفهاً وقابلها بالاصطفاء وفسر الاصطفاء سبحانه عن ملة ابراهيم وهو الظلم سفهاً وقابلها بالاصطفاء وفسر الاصطفاء بالإسلام كما يظهر بالتدبر في قوله: **﴿إذ قال له ربه أسلم﴾** ثم جعل الإسلام والتقوى واحداً أو في مجرى واحد في قوله: **﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾**[3]، فافهم وتدبر.

وروي عن الشيخ المفيد عن درست وهشام عنهم عليهم السلام قال: قد كان

---

(١) سورة النساء: آية ١٢٤.

(٢) سورة البقرة: آية ١٣١.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

إبراهيم نبياً وليس بإمام حتى قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ من عبد صنماً أو وثناً أو مثالاً لا يكون إماماً.

وروي في أمالي الشيخ مسنداً وعن مناقب ابن المغازلي مرفوعاً عن ابن مسعود عن النبي ﷺ عن قول الله لإبراهيم: ﴿**من سجد لصنم دوني لا أجعله إماماً**﴾ قال ﷺ: وانتهت الدعوة إلي وإلى أخي علي لم يسجد أحدنا لصنم قط.

وروي في الدر المنثور أخرج وكيع وابن مردويه عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ في قوله ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ قال لا طاعة إلا في المعروف، انتهى.

القول في المعنى اللغوي

الخلافة هي مصدر «خلف»، خلفه في أمته وخلفه في قومه وخلفه في أهل بيته يخلفه خلافة، وقال عز من قائل: ﴿**وقال موسى لأخيه هٰرون اخلفني في قومي**﴾[1] والخلافة هي مركز الإنابة عن الغير في حالة غيابه أو موته، والخلافة هي موضوعة للنيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا يقال استخلف الله عباده في الأرض والخليفة هو الحاكم الأعظم أي يخلفه من بعده وقال عز من قائل في آدم عليه السلام: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[2].

وروي في الدليل النقلي الذي تتضمنه آية الاستخلاف أن آدم أول من عمّر الأرض وأن بنوه قد خلفوه من بعده.

وفي مآثر الإنافة في معالم الخلافة أن الآية السابقة الذكر حملت على أن آدم عليه السلام خلف الجن والملائكة الذين كانوا قبله في الأرض واختار هذا المعنى كل من النحاسي في صناعة الكتاب والماوردي في الأحكام السلطانية.

وروى السيد المرتضى علم الهدى في أماليه في قوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ أي مطلع على مصالحكم، وما هو أنفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه، ثم أراد التنبيه على أنه لا يمتنع أن يكون غيرُ الملائكة ـ مع أنها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي ـ أولى بالاستخلاف في

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٢.

(٢) سورة البقرة: آية ٣٠.

الأرض وإن كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء وقول عز من قائل: ﴿**ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾[1] منبهاً على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين وأن الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره ويعلم أنه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله عز من قائل: ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون له فلولا أن الأمر على ما ذكرناه وأن القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم وإقرارهم ﴿**ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ معنى لأن التكليف الأول لا يتغير حاله بأنه يخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء ولا يكون قوله ﴿**إني أعلم غيب السموات والأرض**﴾ إلى آخر الآية إلا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه قال تعالى: إذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء، فأنتم عن علم الغيب أعجز وبأن تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبّر أمركم بحسبه أولى، انتهى.

وروى السيد محمد حسين الطباطبائي في ميزانه في قول عز من قائل: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ لقد فهمت الملائكة أن الخلافة المرادة لا تقع في الأرض إنما فهموا وقوع الإفساد وسفك الدماء في قولهم، قالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ الآية حيث أن الموجود الأرضي بما أنه مادي مركب من القوى الغضبية والشهوية والدار دار التزاحم محدودة الجهات وافرة المزاحمات مركباتها في معرض الانحلال وانتظامها وإصلاحاتها في مظنة الفساد ومصب البطلان لا تتم الحياة فيها إلا بالحياة النوعية ولا يكمل

---

(١) سورة البقرة: آية ٣٣.

البقاء فيها إلا بالاجتماع والتعاون فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء والخلافة وهي قيام شيء مقام الآخر لا تتم إلا بكون الخليفة حاكياً للمستقبل في جميع شؤون الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف والله سبحانه في وجوده مسمى الأسماء الحسنى متصف بالصفات العليا من أوصاف الجمال والجلال منزه في نفسه عن النقص ومقدس في فعله عن الشر والفساد جلّت عظمته، والخليفة الأرضي بما هو كذلك لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوجوده المشوب بكل نقص وشين الوجود الإلهي المقدس المنزه عن جميع النقائص وكل الأعدام، فأين التراب ورب الأرباب وهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرّف ما جهلوه واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة وليس من الاعتراض والخصومة في شيء والدليل على ذلك قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم إنك أنت العليم الحكيم حيث صدَّرَ الجملة بأن التعليلية المشعرة بتسلم مدخولها فافهم، انتهى.

أقول: إن الجعل الحاصل في الخلافة إنما هو لأجل أن يحكي الخليفة مستخلفه بتسبيحه بحمده وتقديسه له بوجوده والدار الأرضية لا تدعه منغمراً في تسبيحه وتحميده وتقديسه بل تجره إلى الفساد والشر، والغاية من هذا الجعل بيناً هو التسبيح والتقديس بالمعنى الحاصل في قول عز من قائل: ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ فقول الملائكة نحن خلفائك أو فاجعلنا خلفاء لك أي فما فائدة جعل هذه الخلافة الأرضية ، فردّ الله سبحانه ذلك عليهم بقوله: ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون وعلّم آدم الأسماء كلها**﴾.

وروي في لغة العرب أن الخليفة والإمام واحد في الاستعمال إلا أن بينهما فرقاً، فالخليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله فهو مأخوذ من أنه خلف غيره وقام مقامه. والإمام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته فيما تقدم فيه، وسنروي جملة من

الأدلة النقلية والعقلية الواردة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عرضنا في مبحث وجوب الخلافة.

وروى الشيخ أبو الفضل الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير قول عز من قائل: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾** في رأي من آرائه عن ابن عباس وابن مسعود أن الله تعالى أخبر الملائكة بأن سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء والغرض في إعلامه إياهم أن يزيدهم يقيناً على وجه علمه بالغيب لأنه وجد بعد ذلك على ما أخبرهم به وقيل ليعلم آدم أنه خلق للأرض لا للجنة فقالت الملائكة **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾** على وجه التعرف لما في هذا التدبير والاستفادة لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير إني جاعل في الأرض خليفة، وإني عالم بأن سيكون في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فتحذف اختصاراً وكذلك قوله **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾** في ضمنه اختصار شديداً، أي فنحن على ما تظنه ويظهر لنا في الأمر أولى بالخلافة في الأرض لأنا نطيع وغيرنا يعصي، وفي قوله **﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾** اختصار أيضاً لأنه يتضمن إني أعلم في مصالح المكلفين ما لا تعلمون وما يكون مخالفاً لما تظنون على ظواهر الأمور.

أقول: إن مثل هذه الحذوف العجيبة والاختصارات البديعة كثيرة في القرآن والحذف معدود في أنواع الفصاحة، ومما جاء في الشعر قول الشنفري:

ولا تقبروني إنّ قبري محرّم عليكم ولكن خامري أُم عامر

ومعناه أي لا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر يعني الضبع.

وقول عنترة:

هـــل تُبَلغنـــي دارهـــا شـــدنيـــةٌ لُعِنَـــتْ بمحـــروم الشـــراب مصـــرّم

ومعناه أي دُعي عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة إذا كانت لا تنتج كانت أقوى على السير، انتهى.

أقول: إنما أرادت الملائكة بقولهم **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾** ولد آدم الذين ليسوا ـ بأنبياء ولا معصومين ـ لا آدم نفسه ومن يجري مجراه من الأنبياء والمعصومين.

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا، قال: فلما أجيبوا بما ذكر في القرآن علموا أنهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله تعالى آدم بعد هبوطه أنه يبني له في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون، فقال الله تعالى للملائكة إني أعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله **﴿أعلم ما لا تعلمون﴾** وهذا يدل على أنه تعالى لا يفعل القبيح لأنه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لأنه إنما يفيد في الجواب متى حمل على أنه أراد إني أعلم بالمصالح فأفعل ما هو الأصلح.

روي في تفسير العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ما علم الملائكة بقولهم **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾** لولا أنهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها ويسفك الدماء.

أقول: يمكن أن يشير بها إلى دورة في الأرض سابقة على دورة بني آدم هذه كما وردت فيه الأخبار ولا ينافي ذلك ما مر أن الملائكة فهمت ذلك من قوله تعالى: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾** بل لا يتم الخبر بدون ذلك

وإلا كان هذا القول قياساً من الملائكة مذموماً كقياس إبليس.

وروي في تفسير العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام قال زرارة: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: أي شيء عندك من أحاديث الشيعة؟ فقلت: إن عندي منها شيء كثيراً فقد هممت أن أوقد لها ناراً فأحرقها، فقال عليه السلام: وارها تنسى ما أنكرت منها، فخطر على بالي الآدميون فقال ما كان على الملائكة حيث قالوا ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ قال وكان يقول أبو عبد الله عليه السلام إذا حدث بهذا الحديث هو كسر على القدرية، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام إن آدم عليه السلام قال له في السماء خليل من الملائكة فلما هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك وشكى إلى الله تعالى وسأله أن يأذن له فأذن له فهبط عليه فوجده قاعداً في قفرة من الأرض فلما رآه آدم وضع يده على رأسه وصاح صيحة، قال أبو عبد الله عليه السلام يرون أنه أسمع عامة الخلق فقال له الملك يا آدم ما أراك إلا وقد عصيت ربك وحملت على نفسك ما لا تطيق أتدري ما قال لنا الله فيك فرددنا عليه قال لا، قال ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ قلت: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ فهو خلقك أن تكون في الأرض أيستقيم أن تكون في السماء، قال أبو عبد الله عليه السلام والله عزى بها آدم ثلاثاً.

بيان ما ذكر في معصية آدم وحقيقة تأويل قول عز من قائل ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾ وإن معنى غوى أي خاب لأنا نعلم أنه إذا لم يصر إلى ما ندب إليه فقد خاب لا محالة بإلقاء نفسه في المشقة الدنياوية يكون معناه غوى بمعنى ترك ما أمر به ندباً لا أنه تأكيد للعصيان وما قاله المخالفون بأنه الغي خلاف الرشد لكن الرشد هو التوصل بشيء إلى شيء فمن ارتكب ما يبعده عن مطلوبه كان ضالاً غاوياً لو كان بمخالفة أمر ندبي وارتكاب نهي تنزيهي.

أقول: إن النهي قد يكون مولوياً تحريمياً يستحق مخالفة الذم والعقاب

على مخالفة مولاه التي هي المعصية القبيحة وقد يكون مولوياً على وجه الكراهة والتنزيه مرخصاً في مخالفته التي تسمى أيضاً معصية إما مجازاً أو إما لأنه اسم المعصية أعم منها ومن مخالفة النهي التحريمي القبيحة، وقد يكون إرشادياً كنواهي الطبيب للمريض التي لا يترتب على مخالفها إلا الوقوع في المشقة التي أرشد إلى التجنب عنها بالنهي ولا يترتب على هذا النهي من حيث مخالفة المولى ذم ولا عقاب ولا لوم ولا قبح وإنما اللوم على إلقاء النفس في المشقة التي أرشد بالنهي إلى اجتنابها وتسمى هذه المخالفة أيضاً معصية، إما مجازاً وإما لأنه اسم المعصية أعم منها ومن القسمين الأولين من المخالفة وحينئذٍ أن المراد من معصية آدم هي مخالفة النهي التنزيهي الكراهي أو النهي الإرشادي. ومما يرشد إلى كون النهي لآدم إرشادياً قول عز من قائل: ﴿**يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى * وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**﴾[1].

---

(١) سورة طه: آية ١١٥ ـ ١١٧.

القول في الجبر والتفويض

وتعلق الإرادة الإلهية من جهة والإرادة الإنسانية الفاعلية بالفعل من جهة ثانية في قول عز من قائل: ﴿**لله ما في السموات وما في الأرض**﴾[1] وقوله: ﴿**له ملك السموات والأرض**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**له الملك وله الحمد**﴾[3]. أثبت في هذه الآيات وفي نظائرها الملك لنفسه على العالم بمعنى أنه تعالى مالك على الاطلاق والعبد مملوك على الاطلاق وقلنا مالك على الاطلاق ليس بحيث يملك على بعض الوجوه ولا يملك على بعض الوجوه كما أن الفرد من الإنسان يملك عبداً أو شيئاً آخر فيما يوافق تصرفاته أنظار العقلاء، وأما التصرفات السفهية فلا يملكها وكذا العالم مملوك لله تعالى مملوكية على الاطلاق كما قدمنا لا مثل مملوكية بعض أجزاء العالم لنا حيث أن ملكنا ناقص إنما يصحح بعض لا جميعها فإذا الإنسان المالك لحيوان الحمولة مثلاً إنما يملك منه أن يتصرف فيه بالحمل والركوب مثلاً، وأما أن يقتله عطشاً أو جوعاً أو يحرقه بالنار من غير سبب موجب فالعقلاء لا يرون له ذلك أي كل مالكية في هذا الاجتماع الإنساني مالكية ضعيفة إنما يصحح بعض التصرفات المقصورة في العين المملوكة لا كل تصرف ممكن وهذا بخلاف ملكه تعالى للأشياء فإنها ليس لها من دون الله تعالى من رب يملكها وهي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكل

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٤.

(٢) سورة الحديد: آية ٥.

(٣) سورة التغابن: آية ١.

تصرف متصور فيها فهو له تعالى فأي تصرف تصرف به في عباده وخلقه فله ذلك من ضمير أن يستتبع قبحاً ولا ذماً ولا لوماً في ذلك ولأن العقلاء لا يرون له ذلك لأنه قادر على وضع الكافر في الجنة والمؤمن في النار إلا أنه لا يفعله لطفاً وإن فعله فهو ظلماً ويستحيل على الرحيم الظلم وعلى الحكيم فعل القبيح ولأن القبح والحسن يستتبعان استحساناً وذماً في المجتمع الإنساني فكيف على الحكيم الخبير فيكون ملك هذا المتصرف محدود مصروف إلى التصرفات الجائزة عند العقل وإما هو تعالى فكل تصرف به فهو تصرف من مالك وتصرف في مملوك فلا قبح ولا ذم وقد أيد هذه الحقيقة بمنع الغير عن أي تصرف في ملكه إلا ما يشاء أو يأذن فيه وهو السائل المحاسب دون المسؤول المأخوذ قال عز من قائل: **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾**[1] وقال تعالى: **﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾**[2] وقال تعالى: **﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾**[3] وقال تعالى: **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾**[4] فإن الله هو المتصرف الفاعل في ملكه وليس لشيء غيره شيء من ذلك إلا بإذنه ومشيئته فهذا ما يقتضيه ربوبيته وقول عز من قائل **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ إلى أن قال: ﴿وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**[5] وقال تعالى **﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾**[6] ففي ذلك إمضاء لطريقة العقلاء في المجتمع بمعنى أن هذه المعاني الدائرة عند العقلاء من حسن وقبيح ومصلحة ومفسدة وأمر ونهي وثواب وعقاب أو مدح أو ذم

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٥.
(٢) سورة يونس: آية ٣.
(٣) سورة الدهر: آية ٣٠.
(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٣.
(٥) سورة النحل: آية ٩٢.
(٦) سورة الأعراف: آية ٢٧.

كقولهم الخير يجب أن يؤثر والحسن يجب أن يفعل والقبيح يجب أن يجتنب كما أنها هي الأساس للأحكام العامة العقلانية، فلو لم يكن في مورد أمر أو نهي من الأوامر العقلائية ما فيه صلاح الاجتماع بنحو ينطبق على المورد لم يقدم العقلاء على مثله وكل المجازاة إنما تكون بالمسانخة بين الجزاء وأصل العمل في الخيرية والشرّية، ومن أحكام العقلاء إلى الأمر والنهي وكل حكم تشريعي لا يتوجه إلا إلى المختار دون المضطر والمجبر على الفعل وأيضاً أن الجزاء الحسن أو السيء أعني الثواب والعقاب لا يتعلقان إلا بالفعل الاختياري، اللهم إلا فيما كان الخروج عن الاختيار والوقوع في الاضطرار مستنداً إلى سوء اختيار المختار كمن أوقع نفسه في اضطرار المخالفة فإن العقلاء لا يرون عقابه قبيحاً ولا يبالون بقصة اضطراره وقولنا إن التشريع كما لا يلائم الجبر كذلك لا يلائم التفويض إذ لا معنى للأمر والنهي المولويين فيما لا يملك المولى منه شيئاً مضافاً إلى أن التفويض لا يتم إلا مع سلب إطلاق الملك منه تعالى عن بعض ما في ملكه وهذا يستدعي القول بما قاله أهل البيت لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين الحديث. وقوله عليه السلام مساكين القدرية أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه الحديث.

وروي في العيون بعدة طرق لما انصرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في صفين قام إليه شخص ممن شهد الواقعة معه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا من مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر، فقال الشيخ: احتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال: مهلاً يا شيخ لعلك تظن قضاء حتماً وقدراً لازماً لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر ولسقط معنى الوعد والوعيد ولم تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب والمذنب أولى بالإحسان

من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها يا شيخ إن الله كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكروهاً ولم يخلق السموات والأرض وما بينها باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. الحديث.

قولنا في القضاء والقدر

القضاء والقدر من أقدم المباحث العقلية التي طرقت في الإسلام هي أن الإرادة الإلهية الأزلية تعلقت بكل شيء من العالم فلا شيء في العالم موجوداً على وصف الإمكان بل إن كان موجوداً فبالضرورة لتعلق الإرادة بها واستحالة تخلّف مراده تعالى عن إرادته وإن كان معدوماً فبالامتناع لعدم تعلق الإرادة بها وإلا لكانت موجودة وإذا اطردت هذه القاعدة في الموجودات وقع الإشكال في الأفعال الاختيارية الصادرة منا فإنا نرى في بادي النظر أن نسبة هذه الأفعال وجوداً وعدماً إلينا متساوية دائماً يتعين واحد من الجانبين بتعلق الإرادة به بعد اختيار ذلك الجانب فأفعالنا اختيارية والإرادة مؤثرة في تحققه سبب في إيجاده ولكن فرض تعلق الإرادة الإلهية الأزلية المستحيلة التخلف بالفعل يبطل اختيارية الفعل أولاً وتأثير إرادتنا في وجود الفعل ثانياً وحينئذٍ لم يكن معنى للقدرة قبل الفعل ولا معنى للتكليف لعدم القدرة قبل الفعل وخاصة في صورة الخلاف والتمرد فيكون تكليفاً بما لا يطاق.

أقول: إن تأثير الإرادة الإلهية في صيرورة الفعل ضرورياً يوجب كون الفعل اختيارياً أي كون الفعل ضرورياً بالنسبة إلى الإرادة الإلهية ممكناً اختيارياً بالنسبة إلى الإرادة الإنسانية الفاعلية فالإرادة في طول الإرادة وليس في عرضها حتى يحصل التزاحم ويلزم من تأثير الإرادة الإلهية بطلان تأثير الإرادة الإنسانية فظهر أن ملاك خطأ المجبرة فيما أخطأوا فيه عدم تمييزهم كيفية تعلق الإرادة بالفعل وعدم فرقهم بين الإرادتين الطوليتين وبين الإرادتين العرضيتين وحكمهم ببطلان تأثير إرادة العبد في الفعل لتعلق إرادة الله تعالى به.

روى الشيخ الصدوق في القضاء والقدر قول الإمام الصادق عليه السلام لزرارة حين سأله فقال ما تقول يا سيدي في القضاء والقدر؟ قال: أقول إن الله إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم والكلام في القدر منهي عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل وقد سأله عن القدر فقال له: بحر عميق فلا تلجه، ثم سأله ثانية عن القدر فقال؛ طريق مظلم فلا تسلكه، ثم سأله ثالثة فقال: سر الله فلا تتكلمه.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في القدر إلا أن القدر سر من سر الله وستر من ستر الله وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله مختوم بخاتم الله سابق في علم الله ووضع العباد عن علمه ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بقدرة الصمدانية ولا بعظمة النورانية ولا بعزة الوحدانية لأنه بحر زاخر موّاج خالص لله عز وجل عمقه ما بين السماء والأرض عرضه ما بين المشرق والمغرب أسود كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان تعلو مرة وتسفل أخرى في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد الصمد فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سره وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

أقول: إن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يوجد الشر في أفعالهم ومعرفة الله عز مقامه من أن الإنسان سيرتكب شراً لا يعني أن الله خالق للشر في أفعال العباد أو أن يكون الله تعالى هو الموجد للفعل في عبده ثم المعاقب له عليه فذلك مستحيل كل الاستحالة لأنه ظلم والظلم ليس ممن يتعاطاه العادل وما ربك بظلام للعبيد. وأما ردنا على قول القائلين إن الله عز مقامه موجد لأفعال العباد بقوله تعالى: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**[1]. وهذا مردود لأن

---

(١) سورة الصافات: آية ٩٦.

هذه الآية تتمة لآية سابقة عليها بلا فصل قول عز من قائل: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾[1]. ومن الجمع بين الآيتين يظهر أن المقصود بهما الرد على اولئك الذين ينحتون الأصنام من الصخور أو يعملونها من التمور ثم يتوجهون إليها بالعبادة ويقربون لها القرابين فأبان الله تعالى بهذه الآية أنه جلّ وعلا قد خلق اولئك المشركين وخلق تلك المواد التي ينحتون منها أصنامهم.

قال الشيخ المفيد قدس سره في شرح العقائد وقد روي عن الحسن الثالث عليه السلام أنه سأله عن أفعال العباد أهي مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها. وقد قال سبحانه إن الله بريء من المشركين ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم.

وبيان ذلك في قول السيد محمد حسين الطباطبائي في الميزان للأفعال جهتان، جهة ثبوت ووجود وجهة الانتساب إلى الفاعل، وهذه الجهة الثانية هي التي تتصف بها الأفعال بأنها طاعة أو معصية أو حسنة أو سيئة فإن النكاح والزنا لا فرق بينهما من جهة الثبوت والتحقق وإنما الفرق الفارق هو أن النكاح موافق لأمر الله تعالى والزنا فاقد للموافقة المذكورة وضرب اليتيم تأديباً وضربه ظلماً. انتهى.

وروى في قرب الإسناد عن البزنطي قال قلت للرضا عليه السلام: إن أصحابنا بعضهم يقول بالجبر وبعضهم بالاستطاعة، فقال لي: اكتب قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وتقوي، أديت إليّ فرائضي وبنعمتي قوّيت على معصيتي جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني وذلك أني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون، فقد نظمت لك كل شيء تريد، الحديث.

---

(١) سورة الصافات: آية ٩٥.

وروي في التوحيد عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: إن الله عز وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليه والله أعز منهم يريد أمراً فلا يكون. قال فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع مما بين السماء والأرض، انتهى.

الاستنتاجات المستخلصة من آية الاستخلاف:

أقول في سياق البحث يشعر:

أولاً: بأن الخلافة المذكورة أنى كانت خلافة الله تعالى لا خلافة نوع من الموجود الأرضي كانوا في الأرض قبل الإنسان وانقرضوا ثم أراد الله تعالى أن يخلفهم بالإنسان وذلك لأن الجواب الذي أجاب سبحانه به عنهم وهو تعليم آدم عليه السلام الأسماء لا يناسب ذلك وعلى هذا فالخلافة غير مقصورة على شخص آدم عليه السلام بل بنوه يشاركون فيها من غير اختصاص ويكون معنى تعليم الأسماء إيداع هذا العالم في الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجاً دائماً ولو اهتدى إلى السبيل أمكنه أن يخرجه من القوة إلى الفعل ويؤيد عموم الخلافة قوله تعالى: **﴿إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾**[1] وقول عز من قائل: **﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾**.

ثانياً: أنه سبحانه لم ينف عن خليفة الأرض الفساد وسفك الدماء ولا كذّب الملائكة في دعواهم التسبيح والتقديس وقررهم على ما ادعوا بل إنما أبرأ شيئاً آخر وهو أن هناك أمراً لا يقدر الملائكة على حمله ولا يتحمله هذا الخليفة الأرضي فإنه يحكي عن الله سبحانه أمراً ويتحمل منه سراً ليس في وسع الملائكة ولا محالة يتدارك بذلك أمر الفساد وسفك الدماء، وقد يدل

---

(١) سورة الأعراف: آية ٦٨.

(٢) سورة يونس: آية ١٤.

سبحانه قوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾. ثانياً بقوله: ﴿ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض﴾. والمراد بهذا الغيب هو الأسماء لا علم آدم بها فإن الملائكة ما كانت تعلم أن هناك أسماء لا يعلمونها لا أنهم يعلمون وجود أسماء كذلك ويجهلون من آدم أنه يعلمها وإلا لما كان لسؤاله تعالى إياهم عن الأسماء وجه وهو ظاهر بل كان حق المقام أن يقتصر بقوله قال يا آدم انبئهم بأسمائهم حتى يتبين لهم أن آدم يعلمها لا أن يسأل الملائكة عن ذلك فإن هذا السياق يعطي أنهم ادعوا الخلافة وأذعنوا انتفائها عن آدم وكان اللازم أن يعلم الخليفة بالأسماء فسألهم عن الأسماء فجهلوها وعلمها آدم فثبت بذلك لياقته بها وانتفائها عنهم. وقد ذلل سبحانه السؤال بقوله ﴿إن كنتم صادقين﴾ وهو مشعر بأنهم كانوا ادعوا شيئاً كان لازمه العلم بالأسماء.

روي في بحار الأنوار للعلامة المجلسي عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ أول شيء خلق الله ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وسكنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع من مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر من جزء وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين.

الاعتقاد في العرش

قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة: اعتقادنا في العرش أنه جملة جميع الخلق والعرش في وجه آخر هو العلم وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله عز من قائل: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ فقال: استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، فأما العرش الذي هو حملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة لكل واحد منهم ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا، واحد منهم على صورة بني آدم فهو يسترزق الله تعالى لولد آدم، وواحد منهم على صورة الثور يسترزق الله للبهائم كلها، وواحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، وواحد منهم على صورة الديك يسترزق الله للطيور فهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية. وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم. هذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة في العرش وحملته وإنما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم لأنه الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد ﷺ على شرائع الأربعة من الأولين نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومن قبل هؤلاء صارت العلوم إليهم وكذلك صار العلم من بعد محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام إلى ما بعد الحسين من الأئمة.

قول رسول الله ﷺ والكرسي من قسم.

الاعتقاد في الكرسي: قال الشيخ الصدوق: خلق الله تعالى الكرسي،

والكرسي في وجه آخر هو العلم وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وسِعَ كرسيه السموات والأرض﴾ قال: هو علمه.

بيان قول رسول الله صلى الله عليه وآله فخلق القلم قال الشيخ الصدوق رحمه الله: اعتقادنا في اللوح والقلم أنهما ملكان من قسم واللوح من قسم.

بيان قول رسول الله صلى الله عليه وآله والجنة في قسم.

الاعتقاد في الجنة: قال الشيخ الصدوق رحمه الله: اعتقادنا في الجنة أنها دار البقاء ودار السلامة لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر وأنها دار الغنى ودار السعادة ودار المقامة ودار الكرامة لا يمس أهلها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون وأنها دار مراتب منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك وحور العين واستخدام الولدان المخلدون والجلوس على النمارق والزرابي ولباس السندس وكل منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد على حسب ما تعلقت همته ويعطي من عند الله من آجله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف فصنف منهم يعبدون شوقاً إلى جنته ورجاء ثوابه فتلك عبادة الخدام وصنف منهم يعبدون خوفاً من ناره فتلك عبادة العبيد وصنف منهم يعبدون حباً له فتلك عبادة الكرام وهم الأمناء وذلك قوله عز وجل ﴿وهم من فزع يومئذٍ آمنون﴾.

بيان قول رسول الله صلى الله عليه وآله فخلق العقل من جزء.

والعقل ذلك المصدر الذي يمد الإنسان بسيل من الفكر والإدراك، وأولى ظواهر حياة الإنسان العقلية هي نظرية المعرفة وهي تعليل لنشوء معالم

إنسانية جديدة بالاستعانة بمعرفة سابقة عليها وتعود جملة المعارف إلى علل أصلية وهي مصدر سيل الأفكار والإدراكات، وينقسم الإدراك إلى إدراك ساذج وهو التصور وإلى إدراك ينطوي على الحكم والفتوى وهو التصديق وباستطاعة الإنسان أن يفهم **نظرية المعرفة** على ضوء تحليل أقسام الوجود إذ من الموجود الخارجي ينشأ الوجود الذهني على إنمائه بوسيلة الحواس ويرتقي إلى درجة المعرفة العقلية فإن النفس الإنسانية على أثر إدراكها المحسات بوسيلة الحواس الظاهرة تسجل صورها المكتنفة بالهيئات في الحس المشترك ثم تنقلها بصفة أنها مدركات جزئية إلى مرحلة الاختزان في القوة المتخيلة إن كانت من مقولة الصور أو القوة المتوهمة إن كانت من مقولة المعاني الجزئية كالصداقة والعداوة مثلاً ثم تحيلها إلى القوة العاملة بعد تجريدها التام عن كل الهيئات والخصوصيات لأجل الحكم والتميز وتحليل العالم الخارجي إلى مبادئه المعنوية فتحصل بذلك عند العقل صور مجردات شاملة من مختلف الموجودات في العالم بجواهرها وأعراضها ومفاهيم أنواعها وأجناسها وتتم معرفة النظام الكوني والعقلي في سلسلة الموجودات من حلقة العنصر إلى حلقة المجردات الإبداعية فالخطوة الأولى من خطوات المعرفة الإنسانية هي التجربة وملاحظة الحوادث التي تمر بالإنسان وهو يستقي كثيراً من معارفه من هذا العالم المحس البارز عن طريق الحواس والعقل كما يدرك منقولات الحواس إليه بعد تجريدها عن الهيئات كذلك يدرك أشياء أخرى لا ترقى إليها الحواس وهي المعقولات المحضة، وصفة القول أن طريق المعارف الإنسانية كلها هي الحواس والعقل، والذي ثبت في فنه أن كل مجرد عاقل عقلاً كاملاً فالعقل مادة إنما تحصل به المدركات بحلول الروح بل كما يقال باتحاد النفس حسب تعبير أهل الحكمة بأن النفس تعلقها بالبدن تعلقاً اتحادياً لا انضمامياً وليس الحلول المذكور أعلاه من وجه قول القائل:

رق الـــزجـــاج وراقـــت الخمـــر فتشـــابهـــا فتشـــاكـــل الأمـــر
فكـــأنمـــا خمـــر ولا قـــدح وكـــأنمـــا قـــدحٌ ولا خمـــرُ

ويكون اتحاد النفس بالبدن مثل وجود الماء في القدح لا متصلاً ولا منفصلاً فالنفس مثلها ـ على باب التشبيه ـ مثل الكهرباء تحرك المعادن بحركات شتى انتقالية ودورانية وتحدث في المعادن حالات الحرارة الظاهرة كما وتحدث في المصابيح حالة الإنارة، كذا النفس تحدث في العين حالة الإبصار وفي الأذن حالة السمع وفي العقل حالة الإدراك وهي ليست بلحم ولا عظم ولا دم فافهم وتدبر، فهي في الأبدان مسحونة بقول خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ﷺ ما خلقتم للبقاء بل خلقتم للفناء وإنما تنقلون من دار إلى دار. . . إلى قوله ﷺ وإنها ـ أي النفس ـ في الأرض غريبة وفي الأبدان مسحونة.

واعتقادنا في النفس أنها ليست من جنس البدن وأن فيض الوجود يسري من الصورة إلى المادة فقد ثبت عند أهل الفن من أهل الحكمة أن الشخص الإنساني صورة ومادة ونفسه صورته وبدنه الهيولي مادته ومن الأدلة البرهانية المحققة أن شيئية الشيء بصورته لا بمادته وأن فيض الوجود يسري من الفصل إلى الجنس والمادة هي الوجود اللامتحصل والصورة هي الوجود المتحصل حيث لا وجود لغير المتحصل إلا الوجود الذي سرى إليه من الوجود المتحصل قول العلامة السماوي رحمه الله:

جئت للعالم أتلو صحف العالم همساً
جئت أملي فيه درسي وهو يمليني درساً
أنا جزء الكون إن لم أك نفس الكون نفساً
أنا أدري أين منه أنا لكن ليس يدري

بحث في واجب الوجود وممكن الوجود

وبهذا يتضح أن الموجودات الممكنة تدرك تارة بالحس وتارة بالتجربة وتارة بالعقل «بحث في واجب الوجود وممكن الوجود»، وقولنا ممكن الوجود احترازاً من واجب الوجود فإنه لا يحتاج إلى موجد وإنما وجوده ينطلق من حتمية وجوده الذاتية بينما كل ممكن الوجود يحتاج إلى موجد وكل ممكن الوجود حادث وكل حادث مسبوق بالعدم وكل واجب الوجود قديم وهو غير مسبوق بالعدم وليست هناك حقيقة مجردة إلا الله تعالى لأنه ليس هناك مع ممكن الوجود إلا العدم وواجب الوجود، والعدم لا شيء ولا يصدر من اللاشيء شيء وممكن الوجود بذاته متساوي الطرفين بالنسبة إلى طرفي الوجود والعدم فلا يترجح وجوده إلا بالعلة، ولما كان حكم الأمثال سواء، وكل موجودات العالم ممكنة فكلها مما تحتاج إلى العلة ولا يعقل أن تكون علتها ممكنة وإلا لاحتاجت العلة أيضاً إلى الترجيح بمقتضى بداهة تساوي حكم الأمثال، وهذا يقودنا إلى أن العلة هي واجب الوجود بالذات إذ يستحيل وجود المعلول من غير علة وإلا.

بيان استدلالي في استحالة كون واجب الوجود مادياً.

قولنا: في العلة والمادة ويستدعي هذا جملة مباحث في قوانين العلية والسببية والمادة وقوانينها المادية نأتي على خلاصة البحث. أقول إن إمكان الممكن دليل وجوب علته وإلا لزم الترجيح بلا مرجح ومرجعه إلى وجود المعلول بما هو معلول من غير علة وهو بديهي البطلان وإذا انتهى الشك إلى البديهي تعقم كل فهم وانسد باب كل علم والشك في بداهة استحالة وجود

المعلول من غير علة كالشك في أن الكل أعظم من الجزء والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان إذن لا بد أن يكون واجب الوجود قديماً بذاته ويستحيل أن يكون واجب الوجود مادياً والمادي لا بد أن يكون إما جوهراً أو عرضاً ولا يعقل أن يكون عرضاً إذ لا استقلال للعرض في الوجود بل لا بد وأن يكون موجوداً مسبوقاً بالموضوع الذي تلون فيه فينحصر أن يكون جوهراً ومنه تعرف أن الطاقة لا يعقل أن تكون واجبة الوجود وقديمة بالذات لأنها إما أن تكون جوهراً شفافاً أو عرضاً، وحيث أن لا قدم للعرض فلا بد وأن تكون جوهراً ويستحيل أيضاً أن يكون القديم جوهراً مادياً لأن الجوهر المادي مركب من الهيولي والصورة والهيولي وجود لامتحصل والصورة وجود متحصل وكما أن اللامتحصل محتاج في وجوده إلى محصل يحصل وجوده فإن المحصل بما هو محصل لا يعقل وجوده إلا بأن يكون محصلاً لما يتحصل به.

أقول: إن المركب من جزئين فضلاً عن أن يكون مركباً من أكثر من جزئين لا يعقل أن يكون قديماً بذاته لأن تركيبة من جزئين فرض احتياج كل جزء إلى الجزء الآخر، وقد عرفت أن الاحتياج ينافي العدم فتعين أن يكون واجب الوجود بالذات مجرداً عن المادة.

أقول: ولما كانت المادة لا تنفصل عن الحركة حسب تعبير الماديين ولما كانت المادة قاصرة ذاتياً على تحريك نفسها فهي محتاجة إلى من يحركها ولما كانت المادة محتاجة يستحيل أن تكون قديمة إذن هي ممكنة والممكن يحتاج إلى علّة إمكانه أي أن إمكان الممكن دليل وجوب علته إذن فالمادة يلزمها الحركة ومن كان متحركاً يستحيل أن يكون قديماً بل هو حادث وهو المطلوب.

بيان المادة والحركة: أثبت الفيلسوف الإسلامي الكبير صدر الدين

الشيرازي صدر المتألهين في مؤلفه **المظاهر الإلهية** أن الحركة ملازمة للمادة. **قوله** إن العالم متجدد الوجود والهوية وأن حقيقته عين التغير وكل موجود زماني مسبوق بالعدم الصريح الزماني بحسب ذاته وجوهره وكل هوية مادية كائنة فاسدة لا بقاء لها آنين ولا شأن لها إلا التجدد وكل وجود وتعين يتبدل وجوده في مكانه الأول مثلاً ساكناً فيه كمال أو فعل لكنه بعد بالقوة في المعنى الذي هو المقصود من الحركة.

وقوله فالحركة إذن كمال أول للشيء لا من حيث هو إنسان أو فرس أو نحاس بل من حيث هو أمر بالقوة فهي وجود بين قوة محض وفعل محض، وقوله وظن قوم أن الحركة هي الطبيعة أعني جوهر الشيء الصوري وليس كذلك بل هي متحركية الطبيعة وحالها لا نفسها فإن الحركة هي نفس الخروج من القوة إلى الفعل لا ما به يخرج الشيء منها إليه كالإمكان ونظائره.

وقوله فالتسود ليس سواداً اشتد بل اشتداد الموضوع في سواديته فليس في الموضوع سوادان سواد أصل مستمر وسواد زايد عليه لاستحالة اجتماع مثلين في موضوع واحد بل يكون له في كل آن مبلغ آخر فتكون هذه الزيادة المتصلة هي الحركة لا السواد فالاشتداد يخرجه من نوعه الأول ويدخله في نوعه الثاني.

وقال الدكتور جعفر آل ياسين في الحركة الجوهرية ونظرية الزمان في فلسفة الشيرازي قوله: والحركة عند الشيرازي إما طبيعية أو قسرية أو إرادية فإن كانت الأولى فظاهر أن فاعلتها هي الطبيعة وكذلك إن كانت قسرية لأن القاسر علّة معدة للحركة وإن كانت إرادية فمصدرها النفس ولكنها ليست الفاعلة القريبة لها بل إنها لا تفعل إلا من جهة كونها طبيعية أو مستخدمة إياها وإن مباشراً لحركة لا بد وأن يكون أمراً متجدداً والجسم غير خال من حركة أو سكون والساكن من شأنه الحركة أيضاً ولو لم يكن متجدداً لم يمكن

صدور الحركة عنه لاستحالة صدور المتجدد عن ثابت ويمكننا النظر إلى حقيقة العلاقة بين واجب الوجود «القديم» وممكن الوجود «الحادث» بالنظر إلى مفهوم الحركة الجوهرية في صميم الأشياء.

بحث في نظرية الحركة الجوهرية

العالم عالمان عالمٌ عقلي يتصف بالثبات والدوام ويكون مجرداً عن الحوادث وعالماً حسياً مادياً يتصف بالتغير والتجدد والحدوث والانقضاء وأن دلالة التغير بالنسبة إلى العالم الحسي الذي يكون من مستلزمات المادة المبدعة وما بين العالمين تعلّق وارتباط فرجوعاً إلى مفهوم الحركة الجوهرية التي ينتظم من خلالها العالم المادي نحو الكمال ويتطور تكون الحركة الجوهرية هي الرابط بين العالم المتغير والعلّة الأولى أي أن حقيقة الارتباط بين الحادث والقديم تعزّى حقيقة إلى مفهوم الحركة الجوهرية في صميم الأشياء ولما كانت طبيعة الشيء معبرة عن صفة الشيء ولمّا كان جوهر إبداع الطبيعة ثبات التجدد والحدوث فهناك[1] ـ إذن ـ أمر ثابت للجسم ناشيء عن طبيعته الجسمية ذلك هو الحركة المستمر والتطور الدائم بسبب الحركة الجوهرية في صميم الأشياء «فالحركة الجوهرية صفة ثابتة للعلاقة ثابت التجدد بين الحادث والقديم إذن يكون ارتباط العالم بالعلّة الأولى واجب الوجود هو من جهة بقائها لأن بين العلّة والمعلول مجانسة ومسانخة من حيث التجدد أو الثبات، فالطبيعة بما هي ثابتة مرتبطة إلى المبدأ الثابت وبما هي متجددة يرتبط إليها تجدد المتجددات وحدوث الحادثات كما أن الهيولى من حيث لها فاعلية ما صدرت عن المبدأ الفعال بانضمام الصورة إبداعاً ومن حيث أنها قوة وإمكان يستصح بها الحدوث والانقضاء والدثور والفناء فهذان الجوهران بدثورهما وتجددهما الذاتيين واسطتان للحدوث والزوال في

---

(١) انظر رسالة الحدوث لقطب الحكماء وصدر الأولياء صدر الدين الشيرازي، مخطوط ضمن مجموعة رسائل الملا صدرا.

الأمور الجسمانية وبهما يحصل الارتباط بين القديم والحادث وتنحسم مادة الأشكال التي أعيت الفضلاء في دفعه»[1].

وكان الفيلسوف والحكيم والمبدع قطب الحكماء صدر الأولياء صدر الدين الشيرازي أول من أبدع في صياغة قلائد وفرائد نظرية الحركة الجوهرية والتي كان لصياغتها الأثر الأكبر في توضيح المرام وتلقيح الأفهام لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فكان قوله في الحركة الجوهرية إنجازاً فكرياً قلّما يتفلّق عنه ذهن إلا شرذمة من العرفاء وواحد بعد واحد من الأولياء إذ تمعن في مسألة الحركة وكيفية وقوعها ومصدرها مسقطاً بذلك رأي من قامت عليه دعامة نظرية فلاسفة المسلمين باعتبار وجوب كون المعلول قديماً حتى يتحقق عقلياً ـ حسب آراؤهم ـ ارتباط المعلول بالعلة، ولما كانت العلة قديمة لم تسبق بالعدم كان المعلول قديماً أيضاً ليصح الارتباط فقد رفض صدر المتألهين هذا الارتباط وفرض مكانه حقيقة ظاهرة الثبات المتجددة معللاً بذلك حقيقة الارتباط بين الحادث والقديم[2] ومستنداً إلى أن الأمور الحادثة لها صفة معينة من الثبات وصفة الثبات هذه هي التي يكون عليها الشيء حال إبداعه ولحظة إيجاده وهي صفة ثباته، فما من شيء إلا وله ثبات معين وهي صفة الثبات في الشيء ذاته، هذا خُلُف ـ إذن أن هناك صفة ذاتية للشيء ألا وهي علة تجدده وتبدله لأن «تجدد الشيء إن لم يكن صفة ذاتية له ففي تجدده لا يحتاج إلى جاعل يجعله متجدداً بل إلى جاعل يجعل نفسه جعلاً بسيطاً لا مركباً يتخلل بين مجعول ومجعول إليه ولا شك في وجود أمر حقيقته مستلزمة للتجدد والسيلان وهو عندنا الطبيعة»[3].

---

(١) الأسفار لصدر الدين الشيرازي ٣/ ٦٨.

(٢) من أراد زيادة الوضوح فليراجع بتمعن بحث الحركة الجوهرية ضمن مباحث الأسفار الأربعة للحكيم المتأله صدر الدين الشيرازي قدس الله سره في مبحث نظرية البداء.

(٣) الأسفار الأربعة في الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي ٣/ ٦٨.

لذلك أسقط صدر الدين رأي فلاسفة المسلمين ما أقاموا عليه دعامة نظريتهم من أن الحركة واسطة الارتباط بين الحادث والقديم وأكد قائلاً: «والذي جعله الحكماء واسطة لارتباط الحادث بالقديم وهي الحركة غير صالح لذلك فإن الحركة أمر عقلي إضافي نسبي عبارة عن خروج الشيء من القوة إلى الفعل لاما به يخرج منها إليه وهو من الوجود الحدوثي والحدوث التدريجي والتجدد والزمان كمية ذلك الخروج والتجدد، فالحركة خروج هذا الجوهر من القوة إلى الفعل تدريجياً والزمان مقداره وشيء منهما لا يصلح أن يكون واسطة في ارتباط الحادث بالقديم، وكذا الأعراض لأنها تابعة في الثبات والتجدد لمحالها»[1]. فالحركة الجوهرية هي التي تفسر حقيقة الارتباط بين الحادث والقديم كونها سبباً في الحركة المستمر والتطور الدائم بسبب ثابت لكل جسم ناشىء عن طبيعته الجسمية فلا يمكن أن تكون الحركة ـ كما فرضها بعض فلاسفة المسلمين ـ هي الرابط والمفسر لعلاقة ارتباط العلّة القديمة بالحادث المتجدد وذلك «إذا كان وجود كل متجدد مسبوقاً بوجود متجدد آخر يكون علّة تجدده، فالكلام عائد في تجدد علّته، وهكذا في تجدد علة علته فيؤدي ذلك إما إلى التسلسل أو الدور أو إلى التغير في ذات المبدأ الأول»[2].

أما ما بنى عليه فلاسفة المسلمين نظريتهم بالرابط بين الحادث والقديم وهو الحركة له جذور وأصول في الفلسفة اليونانية ولا سيما لدى ارسطو الذي فرض أن كل الحركات الكونية يكون لها محركاً يحركها وأن علّة المتحرك يجب أن تكون متحركة، كذا الحركة في كل شيء يجب أن تعود إلى علّة متحركة وبذلك أسند ارسطو الحركة إلى العلّة القديمة الأزلية وبذلك

---

(١) كتاب المشاعر للفيلسوف الشيرازي منه نسخة مخطوطة موجودة في مدارج مكتبة الحسينية الشوشترية في النجف الأشرف فليراجع.

(٢) الأسفار: للشيرازي ٣/ ٦٨.

يوجب أن تكون العلّة القديمة متحركة أيضاً في حالة إرجاعه كل الحركات إلى العلّة الأولى وأن كل متحرك حادث فوجد نفسه أمام حقيقة هي خلاف الفرض الأول من أن القديم لا يكون حادثاً. ولكن الفيلسوف الشيرازي أبدع بصياغته للحركة الجوهرية، فهي المعبرة عن كل الحركات الخارجية التي تتصف بها الأشياء بل إن كل حركة في الشيء تعبير للحركة الذاتية في جوهره، بل إن الحركة الجوهرية هي علة لمجموع الحركات الكونية، وذلك لأن علّة المتحرك يجب أن تكون متجددة فإذن لكل شيء صفة ذاتية هي علّة تجدده بل إن صدر المتألهين الشيرازي رفض مفهوم الحركة جملة بالإضافة إلى كونها كرابط بين الحادث والقديم ولكنه رفض تفسيرهم للحركة من كونها ـ حسب قولهم ـ من أنها مفهوم خارجي يوجد في آن وينعدم في آن تدريجياً وكونها «هوية تدريجية توجد في الخارج شيئاً فشيئاً وتنعدم شيئاً فشيئاً»[1] أي أن مفهوم الحركة لدى الآخرين من أن الشيء يرد من خارج لإحداث التغير وكل جسم متغير لا بد من دخول الحركة عليه من خارج. إلا أن صدر الدين أعطى الحركة المفهوم الفلسفي العقلي من أن الحركة ليس لها وجود خارجي إنما هي انتزاع عقلي من حقيقة الشيء المتغير بذاته، فالحركة لدى صدر الدين «ليست من الهويات الخارجية بل أمر عقلي معناها الخروج من القوة إلى الفعل على التدريج وهي كسائر المفاهيم الاعتيادية التي تصلح لأن تكون عنواناً لحقيقة خارجية والذي ينتزع من هذا المعنى المصدري هو الذات الخارجية التي تخرج وجودها من القوة إلى الفعل تدريجياً، فوجوده لا محالة تدريجي وحدوثه بعينه يلزم الزوال وانقطاع بعضها إلى بعض عين الاتصال وليس هذا الذي ذكرناه صفة الحركة لأنه ليس في الحركة حركة وليس لها وجود تدريجي بل عبارة عن تدريج وجود آخر وخروجه إلى الفعل

---

(١) الأسفار: للشيرازي ٣/ ١٧١.

لذلك أسقط صدر الدين رأي فلاسفة المسلمين ما أقاموا عليه دعامة نظريتهم من أن الحركة واسطة الارتباط بين الحادث والقديم وأكد قائلاً: «والذي جعله الحكماء واسطة لارتباط الحادث بالقديم وهي الحركة غير صالح لذلك فإن الحركة أمر عقلي إضافي نسبي عبارة عن خروج الشيء من القوة إلى الفعل لاما به يخرج منها إليه وهو من الوجود الحدوثي والحدوث التدريجي والتجدد والزمان كمية ذلك الخروج والتجدد، فالحركة خروج هذا الجوهر من القوة إلى الفعل تدريجياً والزمان مقداره وشيء منهما لا يصلح أن يكون واسطة في ارتباط الحادث بالقديم، وكذا الأعراض لأنها تابعة في الثبات والتجدد لمحالها»[1]. فالحركة الجوهرية هي التي تفسر حقيقة الارتباط بين الحادث والقديم كونها سبباً في الحركة المستمر والتطور الدائم بسبب ثابت لكل جسم ناشيء عن طبيعته الجسمية فلا يمكن أن تكون الحركة ـ كما فرضها بعض فلاسفة المسلمين ـ هي الرابط والمفسر لعلاقة ارتباط العلّة القديمة بالحادث المتجدد وذلك «إذا كان وجود كل متجدد مسبوقاً بوجود متجدد آخر يكون علّة تجدده، فالكلام عائد في تجدد علّته، وهكذا في تجدد علة علته فيؤدي ذلك إما إلى التسلسل أو الدور أو إلى التغير في ذات المبدأ الأول»[2].

أما ما بنى عليه فلاسفة المسلمين نظريتهم بالرابط بين الحادث والقديم وهو الحركة له جذور وأصول في الفلسفة اليونانية ولا سيما لدى ارسطو الذي فرض أن كل الحركات الكونية يكون لها محركاً يحركها وأن علّة المتحرك يجب أن تكون متحركة، كذا الحركة في كل شيء يجب أن تعود إلى علّة متحركة وبذلك أسند ارسطو الحركة إلى العلّة القديمة الأزلية وبذلك

---

(١) كتاب المشاعر للفيلسوف الشيرازي منه نسخة مخطوطة موجودة في مدارج مكتبة الحسينية الشوشترية في النجف الأشرف فليراجع.

(٢) الأسفار: للشيرازي ٣/ ٦٨.

يوجب أن تكون العلّة القديمة متحركة أيضاً في حالة إرجاعه كل الحركات إلى العلّة الأولى وأن كل متحرك حادث فوجد نفسه أمام حقيقة هي خلاف الفرض الأول من أن القديم لا يكون حادثاً. ولكن الفيلسوف الشيرازي أبدع بصياغته للحركة الجوهرية، فهي المعبرة عن كل الحركات الخارجية التي تتصف بها الأشياء بل إن كل حركة في الشيء تعبير للحركة الذاتية في جوهره، بل إن الحركة الجوهرية هي علة لمجموع الحركات الكونية، وذلك لأن علّة المتحرك يجب أن تكون متجددة فإذن لكل شيء صفة ذاتية هي علّة تجدده بل إن صدر المتألهين الشيرازي رفض مفهوم الحركة جملة بالإضافة إلى كونها كرابط بين الحادث والقديم ولكنه رفض تفسيرهم للحركة من كونها ـ حسب قولهم ـ من أنها مفهوم خارجي يوجد في آن وينعدم في آن تدريجياً وكونها «هوية تدريجية توجد في الخارج شيئاً فشيئاً وتنعدم شيئاً فشيئاً»[1] أي أن مفهوم الحركة لدى الآخرين من أن الشيء يرد من خارج لإحداث التغير وكل جسم متغير لا بد من دخول الحركة عليه من خارج. إلا أن صدر الدين أعطى الحركة المفهوم الفلسفي العقلي من أن الحركة ليس لها وجود خارجي إنما هي انتزاع عقلي من حقيقة الشيء المتغير بذاته، فالحركة لدى صدر الدين «ليست من الهويات الخارجية بل أمر عقلي معناها الخروج من القوة إلى الفعل على التدريج وهي كسائر المفاهيم الاعتيادية التي تصلح لأن تكون عنواناً لحقيقة خارجية والذي ينتزع من هذا المعنى المصدري هو الذات الخارجية التي تخرج وجودها من القوة إلى الفعل تدريجياً، فوجوده لا محالة تدريجي وحدوثه بعينه يلزم الزوال وانقطاع بعضها إلى بعض عين الاتصال وليس هذا الذي ذكرناه صفة الحركة لأنه ليس في الحركة حركة وليس لها وجود تدريجي بل عبارة عن تدريج وجود آخر وخروجه إلى الفعل

---

(١) الأسفار: للشيرازي ٣/ ١٧١.

يسيراً يسيراً، فالحركة عبارة عن متحركية شيء آخر في الحصول لا متحركية نفسها وإلا لتسلسلت الحركات إلى غير نهاية»[1]. إذن لو لم يكن لكل شيء إمكانية بالتطور لبطلت حركته فالحركة إذن «تجدد أمر وتغيره لا المتجدد فهي نفس نسبة التجدد لا الذي بها التجدد»[2].

وهذا يعني أن هناك تجدد وانقضاء في نفس كل كائن وحركة ذاتية تتمثل في الكائنات وهي من الصفات الذاتية لها، وهذا يعني أن التجدد صفة ذاتية لطبيعة كل شيى كائن، والذي وقع فيه الآخرون بل لم تتفلّق له عقولهم هو الخطأ في العلاقة بين العلّة والمعلول فإنهم أشادوا دعامة فكرهم في نظرية الفيض في صدور العالم على قاعدة التعقل والإمكان وهو أن الصادر من الحق هو موجود واحد وهو العقل وأن سلسلة الصدور الباقية تكون على قاعدة التعقل والإمكان وهذا عين ما قاله أبو البركات البغدادي المتوفى عام ٥٤٧هـ في الرد على من قال في نظرية الفيض والتي تقول في صدور العالم عن طريق التعقل لا السببية وأن أبو البركات البغدادي أيد قولهم في أول الصوادر من الحق وهو موجود واحد وهو العقل ولكنه اختلف معهم في بقية سلسلة الصدور على قاعدة التعقل واستعاض عنها بقاعدة الأسباب والمسببات في حدوث العالم مفسراً بها ظاهرة الكثرة على مذهب صدر الدين الشيرازي والذي مفاده من أن العالم أوجد دفعة واحدة وبصورة مباشرة رجوعاً إلى ترتيب السبب على المسبب ورأيه من أن «العالم صدر على الترتيب السببي والمسببي بأن تكون أبسط أجزاءه وأشرفها هو أقربها إلى الفاعل الحق ثم يتلوه في الصدور ما يتلوه في البساطة والشرف، وهكذا إلى أن تنتهي إلى أقصى الوجود»[3].

---

(١) الأسفار: للشيرازي ٣/ ١٧١.

(٢) الأسفار: للشيرازي ٣/ ٦٧.

(٣) المبدأ والمعاد: للشيرازي ص٤٦.

فالعالم عند صدر الدين بقسميه العقلي وهو الثابت الدائم والمادي الحادث المتغير إنما صدرا عن الواجب من دون تقدم وتأخر والتمايز الذي بين العالمين يكون من باب التفصيل والإجمال وأن كلا العالمين يستندان إلى العلّة الواجبة من دون وسط وشرط وذلك لأن علتهما الفاعلية هي عينها علتهما الغائية «أما الكثرة فهذه ناتجة عن ظاهرة الصدور والترتيب إلى السبب ومسببه الذي نشأ عنه العالم»[1] والذي قاله أبو البركات مفسراً بها نظرية الفيض ومعبراً بها عن ظاهرة الكثرة كما هو مبدأ صدر الدين الشيرازي «فيكون الله تعالى بحسب ما وجب من مبدأيته الأولى وقدرته وحكمته أراد الخلق بأسره على طريق الجملة لإيجاد كل ممكن الوجود ثم على طريقة التفصيل لإخراج كل ممكن في القصور والتقرير إلى الفعل بحسبه في تقديره وتوقيته أولياً وزمنياً، الزمني لأجل الزمني والمتأخر لأجل المتقدم والمتقدم لأجل المتأخر والشخص لأجل النوع من جهة دوام البقاء والنوع لأجل الشخص من جهة الحصول في البقاء فتصدر من الموجودات أشياء يكون الله فاعلها بذاته ويكون صدورها عنه وبذاته ويفعل أشياء يكون منها بعض مخلوقاته كالآلات والأسباب»[2]، انتهى.

أقول: يستحيل أن يكون المتجدد قديماً لأنه محتاج إلى من يجدده إذن يكون المتجدد حادثاً فتكون المادة حادثة غير قديمة وهو المطلوب، انتهى.

أقول: إن بعض العلوم الطبيعية وكل نظريات العلوم التجريبية مردها إلى حكم العقل ولا تخضع للتجربة كلية منها مبدأ العلّية أي مبدأ انعدام الصدفة.

وكذا مبدأ الانسجام بين العلة والمعلول أن الأمور المتماثلة تماثلاً

---

(١) المبدأ والمعاد: للشيرازي ص٤٦.

(٢) المعتبر في الحكمة لأبي البركات البغدادي، حيدر آباد ١٣٥٨هـ، ٣/ ١٦٠.

حقيقياً لا بد أن تكون مستندة إلى علّة مشتركة.

كذا مبدأ عدم التناقض أي اجتماع النفي والإثبات معاً فكل هذه لا تخضع إلى التجربة وكما إذا قيل بأن الواحد نصف الاثنين فكلها ترجع إلى حكم العقل.

وروي في الكافي للكليني عن الإمام الصادق عليه السلام سأله سائل ما العقل؟ قال: ما عُبد به الرحمن واكتسِب به الجنان.

وقال أبي جعفر عليه السلام إنما يُداقُّ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا.

وروى الكافي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿**فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أُولوا الألباب**﴾.

كذا قال يا هشام ثم وعظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة فقال: ﴿**وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون**﴾ (الآية).

كذا قال عليه السلام يا هشام ثم خوّف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿**ثم دمرنا الآخرين وأنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون**﴾ وقال: ﴿**إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها بينة لقوم يعقلون**﴾ (الآية).

كذا قال يا هشام إنّ العقل مع العلم فقال: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالِمون**﴾ (الآية).

كذا قال عليه السلام يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿**وإذا قيل لهم**

اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليها آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ (الآية). وقال تعالى: **﴿ومنهم من يستمع إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون﴾** (الآية) وقال تعالى: **﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾** (الآية).

كذا قال يا هشام نصبُ الحق لطاعة الله أي إنما نصب الحق والدين بإرساله الرسل وإنزال الكتب ليطاع في أوامره ونواهيه ولا نجاة إلا بالطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد ولا علم إلا من عالم رباني ومعرفة العلم بالعقل، انتهى.

القول في صفات الإمام

يجب أن يكون عالماً لا يجهل وشجاعاً لا يعلو عليه حسب ولا يدانيه نسب، فهو في الذرف من قريش والشرف من هاشم والبقية من إبراهيم والنهج من النبع الكريم والنفس من الرسول ﷺ والرضى من الله والقول عن الله فهو شرف الأشراف والفرع من عبد مناف قائم بالرياسة مفكر في الطاعة إلى يوم الساعة، أودع الله قلبه سره وأطلق به لسانه فهو معصوم ليس بجبان ولا جاهل.

والإمام أمر إلهي وروح قدسي ومقام عليّ ونور جليّ وسر خفيّ، فهو ملكي الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عالم بالمغيبات خصاً من رب العالمين ونصاً من الصادق الأمين، وهذا كله لآل محمد سلام الله عليهم لا يشاركهم فيه مشارك لأنهم معدن التنزيل ومعنى التأويل.

والإمام لطف وكل لطف واجب على الله فالإمامة واجبة على الله تعالى.

واللطف كما عرفت هو ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية وهذا المعنى حاصل في الإمامة.

وبيان ذلك أن من عرف عوائد الدهماء وجرب قواعد السياسة عَلِم ضرورة أن الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد فيما بينهم يردع الظالم عن ظلمه والباغي عن بغيه وينتصف للمظلوم عن ظالمه ومع ذلك يحملهم على القواعد العقلية والوظائف الدينية ويردعهم عن المفاسد الموجبة لاختلال النظام في أمور معاشهم وعن القبائح الموجبة للوبال في معادهم بحيث

يخاف كل مؤاخذته على ذلك كانوا مع ذلك إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد ولا نعني باللطف إلا ذلك فيكون الإمام لطف وهو المطلوب.

واعلم أن كل ما دل على وجوب النبوة فهو دال على وجوب الإمامة إذ الإمامة خلافة النبوة قائمة مقامها إلا في تلقي الوحي الإلهي بلا واسطة وكما أن تلك واجبة على الله تعالى في الحكمة فكذا هذه، وأما الذين قالوا بوجوبها على الخلق فقالوا يجب عليهم نصب الرئيس لدفع الضرر ومن أنفسهم ودفع الضرر واجب. قلنا لا نزاع في كونها دافعة للضرر وكونها واجبة إنما النزاع في تفويض ذلك إلى الخلق لما في ذلك من الاختلاف والواقع في تعيين الأئمة فيؤدي إلى الضرر المطلوب زواله وأيضاً اشتراط العصمة ووجوب النص يدفع ذلك كله، انتهى.

ومن صفاته: قول العلامة الحلي في الألفين والإمام له صفات.

أما الأول: أنه واحد فلأن وحدته توجب عدم من يقرّبه إلى الطاعة، ويبعده عن المعصية فلا يحتاج فتنتفي علّة الحاجة فيه وهي عدم العصمة فيه.

وأما الثاني: أنه يولّي ولا يُولّىٰ عليه فلأن لو لم يكن الخطأ مأموناً لم يؤمن أن يولّي من لا تحسن ولايته وفي ولايته سبب لهلاك الدين وفساد المسلمين.

وأما الثالث: أنه يعزل ولا يُعزل فلأنه إذا لم يعزل أمن ارتكابه الخطأ وإذا عزل هو جاز أن يعول الأصلح في الولاية.

وأما الرابع: يجب على غيره طاعته ولا يجب طاعة غيره حال كونه إماماً فحاجته إلى العصمة ظاهرة وإلا لزم أحد أربعة أمور وأما إفحامه أو إمكان وجوب المعصية في نفس الأمر أو تكليف ما لا يطاق أو التناقض لأنه إن وجب طاعته فيما يعلم صوابه لزم إفحامه لأن قوله غير حجة إذن ودعوى المكلف بعدم الظفر بالدليل لا يمكن ردها إن وجب مطلقاً لزم إمكان وجوب

المعصية لجواز أمره بها وإن كان في بعض الأحكام غير معين لزم تكليف ما لا يطاق وإن لم تجب طاعته في شيء ناقض وجوب طاعته.

وأما الخامس: كلامه وفعله كل منهما دليل فلأنه لو كان الخطأ عليه جائزاً لم يكن كلامه دليلاً.

وأما السادس: اعتقاد الصواب في أفعاله وأقواله والجزم بعدم خطأه فلأنه فلو جاز عليه الخطأ لم يحصل اعتقاد الصواب في أفعاله وأقواله والجزم بعدم خطأه لعدم اجتماع الجزم مع إمكان النقيض لا يقال ينتقض بالعاديات لأنا نقول ثبوت العادة غير معلوم ها هنا فيستحيل الجزم.

وأما السابع: له التصرف المطلق فلأن التصرف المطلق يستحيل من الحكيم أن يجعله لمن يجوز منه الظلم والكفر وأنواع التعدي والخطأ في الأقوال والأفعال.

وأما الثامن: مخالفة تحل محاربته إلى أن يرجع إلى طاعته بمجرد مخالفته فلأن مخالفة غير المعصوم بمجرد مخالفته في شيء كان لا يمكن الجزم بإيجابها للمحاربة والقتل لجواز كون الحق في طرف المخالف فيلزم أن يكون قابلاً الحق أو فاعله يمكن أن يجب محاربته بمجرد ذلك وهو محال بالضرورة.

وأما التاسع: يجب تعظيمه كتعظيم النبي ﷺ فلأنه تعظيم النبي ﷺ واجب في كل حال وغير المعصوم يمكن صدور ما يوجب الحد والعقوبة منه فإن لم يجب مقابلته بالعقوبة كان إغراء بالقبيح وإن وجب عقوبته فإن وجوب التعظيم اجتمع النقيضان وإن لم يجب التعظيم ناقض الحكم بوجوب تعظيمه دائماً.

وأما العاشر: أنه حافظ للشرع فلأنه غير المعصوم لا يحصل الجزم بحفظه للشرع فلا يحصل الوثوق بقوله فتنتفي فائدته.

وأما الحادي عشر: المحاربة والجهاد بأمره ودعاءه فإن الإنسان لا يقتل نفسه ويقتل غيره إلا بقول من يعرف يقيناً صوابه وأنه ينزل منزلة النبي ﷺ ولا يتحقق ذلك إلا بالمعصوم.

وأما الثاني عشر أنه مقيم للحدود فلأنه مقيم الحدود لا بد وأن يستحيل عليه الميل والحيف والمراقبة في الحد ويستحيل عليه سبب الحد وإلا لكان غيره مقيماً أيضاً فلا ينحصر المقيم فيه.

وأما الثالث عشر: أنه داعٍ إلى الطاعات مقرب إليها مبعد عن المعاصي إذا تقرر ذلك فلأنه المقرب إلى الطاعات لا بد أن يكون أقرب من غيره دائماً إليها والمبعد عن المعاصي لا بد أن يكون دائماً بعيداً عنها وهذا هو العصمة.

وقال العلامة الحلي في **صفات الإمام** الخفية أن الصفات المشترطة في الإمام خفية لا يمكن الاطلاع عليها للبشر كالإسلام والعدالة والشجاعة والعفة وغيرها من الكيفيات النفسية ـ قد يقال إن عدم إمكان الاطلاع على الصفات النفسية ممنوع لا سيما في مثل ما ذكره من الصفات وإلا كيف تحكم الناس فيما بينهم من بعضهم على بعض بالإسلام والعدالة وما سواها وأما مثل الشجاعة فأمرها بارز. نعم إنما يشكل الحال في السياسة وغنىٰ النفس عما في أيدي الناس وأمثالهما من الصفات التي لا تعرف إلا بعد الاختبار لا سيما إذا اعتبرنا الأفضلية فيها فإنه يدور بين القناعة بالإمام المفضول أو العاري عن بعض صفات الفضل وبين الاختبار زمناً طويلاً ليقع الاختبار على الأفضل على أنه كيف تظفر بالأفضل وبنوا الإسلام ما أكثرهم والبلاد ما أوسعها ومن الذي يختار فترضى الأمة باختياره ومن قائد الأمة وسائسها وحافظ الدين أيام الاختبار إلى أمور جمة لا يمكن الالتزام بها إذا قلنا بالاختيار، ولكن ذلك كله لا يرد على القول بوجوب نصب الإمام عليه عز

شأنه ـ فلو كان نصبه منوطاً باختيار العامة لكان إما أن يشترط العلم بحصولها في المنصوب بالاختيار وهو تكليف ما لا يطاق أو يشترط الظن وقد نهى الشرع عن اتباعه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن إن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ ﴿**إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين**﴾ ﴿**اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ ﴿**ويظنون بالله الظنون**﴾ وغير ذلك من الآيات الدالة على النهي عن اتباع الظن فكيف يكون طريقاً في إثبات مسألة علمية وحكم عام يعم به البلوى لايقال الشارع قد أمر باتباع الظن في قبول الشهادات والمسائل الفروعية لأنا نقول العام إذا خص بدليل لا يخرج عن دلالته في ما عدا محل التخصيص.

روى الكليني في أصول الكافي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إن الله جعلني إماماً لخلقه ففرض عليَّ التقرير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقري ولا يُطغي الغني غناه.

وروي في الكافي أيضاً عن المعلى بن خُنيس قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام يوماً جعلتُ فداك ذكرتُ آل فلان وما هم فيه من النعيم فقلت لو كان هذا إليكم لعشنا معكم، فقال هيهات يا معلى أما والله أن لو كان ذلك ما كان إلا سياسة الليل وسياحة النهار ولبس الخشن وأكل الجشب تروي ذلك عنا فهل رأيت ظلامة قط صيّرها الله تعالى نعمة إلا هذه.

روي في الكافي احتجاج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباءة وترك الملأ وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك فقال أمير المؤمنين عليه السلام عليَّ بعاصم بن زياد فجيء به فلما رآه عبس في وجهه فقال له: أما استحييت من أهلك أما رحمت وُلدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو

يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك أوليس الله يقول: ﴿**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**﴾ إلى قوله ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾[1] فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عز وجل: ﴿**وأما بنعمة ربك فحدّث**﴾[2] فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّع بالفقير فقره فألغى عاصم بن زياد العباء ولبس المُلاء.

---

(١) سورة الرحمن: الآيات: ١٠ ـ ١١ و١٩ ـ ٢٢.

(٢) سورة الضحى: آية ١١.

صفة الإمام العملية

إن الحكمة الإلهية اقتضت في توحيد الإمام جمعهم على الحق وصدهم عن الباطل وحفظ الشريعة عن التلاعب والقدرة على تسيير نظامها وتمشية أحكامها إلى ما سوى ذلك من وظائف الإمام وهذا لا يكون في سائر البشر مهما علت مراتبهم وسمت فضائلهم فلا يقوم بذلك غير المعصوم في حفظ حوزة الدين وبيضته فإن غيره يجوز عليه الخطأ فلا يحصل به الغرض ويستحيل على الخالق عز وجل أن يفوض أمره إلى من يرتكب الخطأ فيفتى بغير علم ويقول على الله ما لا يعلم فلا يؤمن من أن يأمر أو يعمل بما يخالف الشريعة وما عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشتر النخعي إلا الصيغة العملية المثلى للإمام بما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم فكيف بأوليائه وعترة نبيه صلى الله عليه وآله وثقله الذين هم بقية الله في الأرض نور على نور إلى يوم القيامة.

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي أنت مني بمنزلة هٰرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي أثبت له جميع مراتب هٰرون من موسى واستثنى النبوة. ومن جملة منازل هٰرون من موسى أنه كان خليفة له لكنه توفي قبله وعلي عليه السلام عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون خلافته ثابتة لا موجب لزوالها كما أن أرباب الفنون في العلوم كلها يرجعون إلى علي عليه السلام فإن أصحاب التفسير يأخذون بقول حبر الأمة ابن عباس وهو كان أحد تلامذته حتى قال إنه شرح في باء بسم الله الرحمن الرحيم من أول الليل إلى آخره وأرباب الكلام يرجعون إليه. أما المعتزلة فيرجعون إلى أبي علي الجبائي وهو يرجع في العلم إلى أبي هاشم محمد بن الحنفية وهو يرجع إلى أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام. وأما

الأشاعرة فإنهم يرجعون إلى أبي الحسن الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي.

وأما الإمامية فرجوعهم إليه ظاهر ولو لم يكن إلا كلامه في نهج البلاغة الذي قرر فيه المباحث الإلهية في التوحيد والعدل والقضاء والقدر وكيفية السلوك ومراتب المعارف الحقة وقواعد الخطابة وقوانين الفصاحة والبلاغة وغير ذلك من الفنون لكان فيه غنية للمعتبر وعبرة للمتفكر.

وأما أرباب الفقه فرجوع رؤساء المجتهدين من الفرق إلى تلامذته مشهور وفتاويه العجيبة في الفقه مذكورة في مواضعها.

وقول رسول الله عليه السلام في حقه: أقضاكم علي، ومعلوم أن القضاء لازمة الفقه وأن القضاء يحتاج فيه إلى العلوم فيلزم إحاطته بكل العلوم.

وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم والله ما من آية نزلت في ليل أو نهار أو سهل أو جبل إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت، وذلك على إحاطته عليه السلام بمجموع العلوم الإلهية وإذا كان أعلم كان متعيناً للإمامة وهو المطلوب كان علي أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون هو الإمام لأن الأزهد أفضل. أما أنه أزهد فناهيك في ذلك تصفّح كلامه في الزهد والمواعظ والأوامر والزواجر والإعراض عن الدنيا وأعرض عن مستلذاتها في المأكل والمشرب والملبس ولم يعرف له أحد ورطة في فعل دنيوي حتى أنه كان يختم أوعية خبزه فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن يضع فيه أحد وُلدي اداماً، ويكفيك بزهده أنه آثر بقوته وقوت عياله المسكين واليتيم والأسير حتى نزل في ذلك قرآن دل على أفضليته وعصمته، وقول أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل

الإمام عليه السلام على البصرة: أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد فوالله ما كثرت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من عقائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من أرضها شبراً ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى أو أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان ألا وأن الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرقّ جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها.

القول في عهد الإمام إلى الأشتر النخعي والي الإمام على مصر وأعمالها فهو عهد شامل وقول عادل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا ترى فيه مغمز لقائل وجدال لمجادل ينبوعه من السيرة النبوية وسناه من ضوء الربوبية فهو جامع للأحكام الشرعية شامل للمعاملات المدنية متضمن للحقوق البشرية أجادت به الذهنية العلوية فهو إشراق من إشراقات العقل النيّر والقلب الخيّر.

العهد: ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على

الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحبُّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشُحَّ عما لا يحلُّ لك فإن الشحّ بالنفس الإنصاف منها في ما أحبَّت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم وألطف بهم ولا تكونن عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخَلْق يفرُطُ منهم الزلل ويعرضُ لهم العِلل ويؤتى على أيديهم في الغمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاّك ولا تندمن على عفوٍ ولا تبجحنَّ بعقوبة ولا تُسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحبُّ الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية فإن سُخْط العامة يُجحف برضا الخاصة وأنّ سُخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس أحدٌ في الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف واسأل بالألحاق وأقلَّ شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند مُلمات الدهر من أهل الخاصة.

أطلق عن الناس عقدة كل حق واقطع عنك سبب كلِّ وتَرْ ولا تعجلن إلى تصديق سامح فإن الساعي غاشٌّ وإن تشبّه بالناصحين، إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأَثَمةِ واخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلق ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بِمُرِّ الحق لك وأقلّهم مساعدة في ما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً [ذلك] من هواك حيث وقع، والطف بأهل الورع والصدق ثم رُضْهم على أن لا

يُطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإنَّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة والزم كلاًّ منهم ما ألزم نفسه واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظَنِّ راعٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عنهم وترك استكراهه إياهم علَى ما ليس قِبَلَهُم فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حسن الظن برعيتك وأن أحق من حَسُنَ ظنك به لمنّ حسُنَ بلاؤك عنده واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلُح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك، فَوَلِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جيباً وأفضلهم حلماً ممن يبطىء عن الغضب ويَستَرِيحُ إلى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياءِ وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف وإنَّ أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم ولا تصحُّ نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استثقال دُوَلهم ثم اعرف لكل امرىءٍ منهم ما أبلى ولا تضيفن بلاء امرىء إلى غيره ولا يدعونك شرفٌ امرىء إلى أن تعظِّم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعةُ امرىءٍ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرُّماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشّف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحق ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علّته وتقلُّ معه حاجته إلى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيرُه من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولّهم محاباة وأثرة

فإنهم جماعٌ من شُعَب الجور والخيانة ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء فإن تعاهُدَك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة عندك إخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلّة ووسمته بالخيانة وقلّدته عار التهمة، وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يُدرَك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً ولا يثقلن عليك شيء خفّفت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وإن العمران محتمل ما حمّلته وإنما يؤتي خرابُ الأرض من أعواز أهلها وإنما يُعوِزُ أهلها لإشراق أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعِبر.

ثم انظر في حال كتّابك فولّ على أمورهم خيرهم ممن لا يجهل مبلغ قدْرِ نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدْرِ نفسه يكون بقَدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحُسن الظنّ منك فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحُسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت عنه أُلزِمته ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله فإنهم موادّ المنافع وأسباب المرافق وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضنيعاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك بابُ مضرة للعامة وعيبٌ على الولاة فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ﷺ منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن فارق حُكرةً بعد نهيك إياه فنكّل به وعاقبه في غير إسراف.

وفي علاقة الولاة إزاء رعيتهم قوله عليه السلام واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطيء فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تُصعّر خدّك لهم وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وتعهّد أهل اليتم وذوي الرقة في السن من لا حيلة له ولا ينصِبُ للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغُ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتُقعِد عنهم جُندك وأعوانك من أحراسك وشُرطِك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من غير موطن لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير مُتتعتع ثم احتمل الخُرْقَ منهم والعِيّ ونحّ عنهم الضيق والأنف ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتّابك ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرْجُ به صدور أعوانك وامضِ لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه ولا تُطوِّلنّ احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلةُ علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم عِلْم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظمُ الصغير ويقبحُ الحسن ويحسن القبيح ويشابُ الحقُّ بالباطل وإنما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سماتٌ تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين إما امرؤٌ سخت نفسه بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حقٍّ تعطيه أو فعل كريم تسويه أو مبتلي بالمنع فما أسرع كفَّ الناس عن مسألتك إذا أَيِسُوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة ثم إن للوالي خاصة وبطانةً فيهم

استئثارٌ وتطاول وقلّة إنصاف في معاملة فاحسِمْ مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وحاميتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضرُّ بمن يليها من الناس في شرب أو عملٍ مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبُه عليك في الدنيا والآخرة.

والزم الحق من لزمهُ من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإنّ مغبة ذلك محمودة وإن ظَنَّت الرعية بكَ حيفاً فأصحِر لهم بعذرك واعدِل عنك ظنونهم بأصحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك وأعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعنّ صُلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضىً فإنَّ في الصلح دعةً لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمّة فحُط عهدك بالوفاء وارعَ ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جُنة دون ما أعطيت ولا تغدرنّ بذمتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلن عدوك ولا تعقِد عقداً تجوّزُ فيه العلل ولا تعوّلن على لحن قولٍ بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق ولا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يُضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العَمْد وإياك والمنَّ على رعيتك بإحسانك أو التزيّد في ما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فإنّ المن يبطل الإحسان والتزيُّد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التسقط فيها عند إمكانها أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما تعني به مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم إملك حميّة أنفك

وسورة حدّك وسطوة يدك وغَرْب لسانك واحترس من كل ذلك بكفّ البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة أو سنّة فاضلة وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدتُ إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكي لا تكون لك علة عند تسرُّع نفسك إلى هواها وأنا أسأل الله أن يوفقني لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه.

ومن صفات الإمام العصمة وقولنا في العصمة يستدعي جملة مباحث نتعرض لها تباعاً إن شاء الله تعالى.

القول في عصمة الإمام

إن الأدلة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام بحث يستوجب منا سردها في مجلدات بل بحثاً مطولاً، إلا أننا نعرض إلى جملة تغني الدارس والقارىء.

الأول: القوة الشهوية والوهمية منشأ المفسدة والقوة العقلية هي منشأ المصلحة وهي المانعة لهما والإمام إنما جعل معاضداً للثانية ومتمماً لفعلهما في كل وقت لغلبة الأوليين في كثير من الناس ولا يتم ذلك إلا مع كونه معصوماً إذ غير المعصوم قد تقوى الشهوية والغضبية عليه وتكون العقلية مغلوبة معه فلا يحصل المنع منه.

الثاني: علّة الحاجة إلى الإمام في القوة العملية، أما غلبة القوة الشهوية بالقوة أو بالفعل إما دائماً أو في الجملة وهذا مانعة الخلو وهو ظاهر إذ لو كانت القوة الشهوية مغلوبة للعقلية دائماً في كل الناس لم يحتج فعل الطاعات والانتهاء عن المعاصي مع العلم بها إلى الإمام لتحقق سبب الأولى الذي من جملته القدرة والداعي وانتفاء الصارف فيجب انتفاء سبب الثانية ويستحيل وجود ذي المبدأ بدون مبدئه فيمتنع فثبت صحة المنفصلة.

فنقول: الأول يستلزم عصمة الإمام لأن نقيض الممكنة إنما هو الضرورية ولثبوت ذلك في الإمام غير المعصوم فيحتاج إلى إمام آخر ويتسلسل وبالثاني يلزم الاستغناء عن الإمام في أكثر الوقت لأكثر الناس في أكثر الأصقاع ولا تكون الحاجة إليه إلا نادراً وهو محال والثالث هو المطلوب إذ غير المعصوم يتحقق فيه هذا فيحتاج إلى إمام آخر ويتسلسل فلا بد أن يكون معصوماً، وهذا القسم الثالث هو الحق، ولبيان ذلك وجوب

كون الإمام ذو نفس خاصة فيها النفس القدسية زيادة على الأصل وليس الزيادة والنقصان كونها متجزأة وهذا محال.

وقول رسول الله ﷺ: أنا وعلي خلقنا من نفس واحدة فيكون من خلال هذا التصريح أن علياً نفس النبي بدليل آية المباهلة ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ الآية. وقول رسول الله ﷺ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، يستدعي هذا جملة مباحث في النفس لأنها من وعاء الدهر وتخصيص نفس المعصوم بخصوصية مميزة عن نفس العوام من النوع حتى يصبح بها عصمة الإمام ابتداءً وهو المطلوب.

بيان في وجوب كون نفس الإمام خصصت بخصوية ترتفع فوق تخصيصات ما أعطته عامة الناس وعلمائها.

وقول رسول الله ﷺ: أنا وعلي خلقنا من نور واحد الحديث، عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ: خلق الله قضيباً من نور قبل أن يخلق الدنيا بأربعين ألف عام فجعله أمام العرش حتى كان أول مبعثي فشق منه نصفاً فخلق منه نبيكم والنصف الآخر علي بن أبي طالب، انتهى هذا الحديث بعين لفظه، أورده الكنج الشافعي أبي عبد الله محمد يوسف بن محمد القرشي في كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام كما وأورد الكنج الشافعي نقلاً عن الرياض النضرة وفيه قال أخرجه أحمد في المناقب وميزان الاعتدال نقلاً عن ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعاً يسبح ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد حتى افترقا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزئ علي، انتهى.

وروى أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء في فضائله عن عبد الله بن

مسعود قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وأن علي بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن، انتهى.

وقال الإمام الصادق عليه السلام علمنا غابر ومزبور وكتاب مسطور من رق منشور ونكت في القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ونقر في الأسماع ولا تنفر منه الطباع وعندنا الجفر الأبيض والجفر الأحمر والجفر الأكبر والجفر الأصغر والجامعة والصحيفة وكتاب علي عليه السلام. وقال شيخ الفقهاء والمحدّثين الشيخ علي اليزدي الحائري في إيراده شرح الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لسان الحروف ومشكاة أنوار الظروف أبو عبد الله زين الكافي، أما قوله علمنا غابر فإنه أشار به إلى العلم بما قضى من القرون والأنبياء وكلما كان من الحوادث في الدنيا، وأما المزبور فإنه أشار إلى المسطور في الكتب الإلهية والأسرار الفرقانية المنزلة من الأسماء على المرسلين والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وأما الكتاب المسطور فإنه أشار به إلى أنه مرقوم في اللوح المحفوظ، أما قوله نقر في الأسماع فإنه أشار به إلى أنه كلام عليّ وخطاب جلي لا ينفر منه الطبع ولا يكرهه السمع لأنه كلام عذب يسمعونه ولا يرون قائله فيؤمنون بالغيب، وأما الجفر الأبيض فإنه أشار إلى أنه وعاء فيه كتب الله المنزلة وأسرارها المكنونة، وأما الجفر الأحمر فإنه أشار به إلى أنه وعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عند من له الأمر ولا يظهر حتى يقوم رجل من أهل البيت، وأما الجفر الأكبر فإنه أشار به إلى المصادر الوفقية التي هي من الف با ت ثا إلى آخرها وهي الف وفق، وأما الجفر الأصفر فإنه أشار به إلى المصادر الوفقية التي هي مركبة من أبجد إلى قرشت وهي سبعمائة وفق، وأما الجامعة فإنه أشار به إلى كتاب فيه علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأما الصحيفة فهي صحيفة فاطمة عليها السلام فإنه أشار بها إلى ذكر الوقائع والفتن والملاحم وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأما كتاب علي فإنه أشار إلى كتاب أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله من خلق فيه أي من

شق فمه ولسانه المبارك وكتب علي وأثبت فيه كلما يحتاج إليه من الشرائع الدينية والأحكام والقضايا حتى فيه جَلدة ونصف الجلدة، انتهى. وقول أمير المؤمنين عليه السلام : نحن الأسرار الإلهية المودعة في الإجسام البشرية.

أقول من جملة الروايات المتقدمة في أحاديث العترة الطاهرة المكرمة ندرك التخصيص الواضح والنص الجلي الصادح في أقوال سيد الأنام لتخصيص نفس المعصوم بخصوصية الإلهام وإدراك المستور والمعلوم بعلم مودع من رسول الله وتخصيصهم بسر من أسرار الله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا وعلي خلقنا من نور واحد وأن علياً نفس النبي بدليل آية المباهلة **﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾** الآية.

وأقول في التعليق على هذه الخصوصية التي طفحت بها آية المباهلة بتخصيص نفس علي عليه السلام لأنه المرتضى عليه السلام لما لم يكن له نظير في الأنفس كان وجوده مغنياً عن وجود سواه من الأمة إذ لو كان لعلي عليه السلام نظير من الأنفس لما حباه الله عز مقامه عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة.

أقول: ومما دلت عليه الآية الكريمة بكون خاصة من خصائص أمير المؤمنين وفضل تضمحل دونه الخصائص وتفنى في جنبه الفضائل والمناقب فهو فضل تعنو له الجباه بخوعاً وتطامن لديه المفارق خشوعاً ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وقول الأزري في أزريته:

إنما المصطفى مدينة علم وهو الباب من أتاه آتاها

وقوله:

وهو في آية التباهل نفس المصطفى ليس غيره إيّاها

وقد أورد الفخر الرازي وهو الخطيب محمد بن عمر المعروف بفخر

الدين الرازي في تفسير آية المباهلة في جزءه الثاني من تفسيره الكبير مفاتيح الغيب ومع غرامه بنقض المحكمات وهيامه في التشكيك والشبهات لم يناقش من دلالتها على هذا المقدار من تفضله عليه السلام وإنما ناقش المحمود بن الحسن حيث صرح بدلالتها على تفضيله على من كان قبل محمد من الأنبياء عليه وعليهم السلام وهذه عبارة الرازي بعين لفظه، قال: كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثني عشرية وكان يزعم أن علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ إذ ليس المراد بقوله «وأنفسنا» نفس محمد صلى الله عليه وآله لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علي بن أبي طالب(رض) فدلت الآية على نفس علي هي نفس محمد ولا يمكن أن يكون المراد أن هذه النفس هي عين تلك فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه وتركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة وفي حق الفضل لقيام الدلائل على أن محمداً صلى الله عليه وآله كان نبياً وما كان علي كذلك ولانعقاد الإجماع على أن محمداً عليه السلام كان أفضل من علي ومحمداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون علي أفضل من سائر الأنبياء، انتهى.

أقول: ولعلك إذا ضممت قوله تعالى ﴿**وأنفسنا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه**﴾ الآية. وأمعنت النظر في الآيتين ينجلي لك من الأسرار ما كان خفياً، وقد أورد هذه النكتة السيد شرف الدين الموسوي في كلمته الغراء في تفضيل الزهراء فليراجعها من كان يريد الشفاء من كل داء فافهم وتدبر، انتهى.

وروى الصدوق(ره) في كتاب المعراج بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخاطب علياً عليه السلام ويقول: يا علي إن الله تعالى كان ولا

شيء معه فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله فكنا أمام العرش نسبح الله ونقدسه ونحمده ونهلله وذلك قبل أن يخلق السموات والأرضين فلما أراد أن يخلق آدم خلقني وإياك من طينة عليين وعجننا بذلك النور وغمّسنا في جميع الأنوار وأنهار الجنة ثم خلق آدم واستودع صلبه تلك الطينة والنور فلما خلقه استخرج ذريته من ظهره واستنطقهم وأقرهم بربوبيته فأول خلق الله أقر له بالربوبية أنا وأنت والنبيون على قدر منازلهم وقربهم من الله عز وجل، فقال الله صدقتما وأقررتما يا محمد ويا علي وسبقتما خلقي إلى طاعتي وكذلك كنتما في سابق علمي فيكما فأنتما صفوتي من خلقي والأئمة من ذريتكما وشيعتكما ولذلك خلقتكم. ثم قال النبي ﷺ: يا علي فكانت الطينة في صلب آدم ونوري ونورك بين عينيه فما زال ذلك النور ينتقل بين أعين النبيين والمنتجبين حتى وصل النور والطينة إلى صلب عبد المطلب فافترق نصفين فخلقني الله من نصفه واتخذني نبياً ورسولاً وخلقك من النصف الآخر فاتخذك خليفة على خلقه ووصياً ووليّاً فلما كنت من عظمة ربي كقاب قوسين أو أدنى قال لي يا محمد من أطوع خلقي لك فقلت علي بن أبي طالب عليه السلام فقال اتخذه خليفة ووصياً فقد اتخذته صفياً ووليّاً، يا محمد كتبت اسمك واسمه على عرشي من قبل أن أخلق الخلق محبة مني لكما ومن أحبكما وتوليكما وأطاعكما إلى آخر الرواية، إلى أن قال ﷺ: يا علي فمن ذا يلج بيني وبينك وأنا وأنت من نور واحد وطينة واحدة وولدك ولدي وشيعتكم شيعتي الخبر، انتهى.

البحث المخصوص في نفس المعصوم

أن النفس تدرك الصورة الكلية المجردة لا بل تكون محلاً لها وهذا بديهي والبديهي هو الاستدلال الذي يحصل في الذهن ابتداء أي بدون واسطة البرهان أي كون النفس محل للمجرد ولو كانت النفس مادة يستلزم هذا كما ثبت في فنه أن المادي لا يكون محلاً للمجرّد إذ لو انقسم المادي لانقسم المجرد وهو باطل عقلاً فنفس المعصوم هكذا تدرك المجردات كونها خالية من الكدورات فنفوس الأولياء تكون ملتذة متنعمة كونها حاصلة على الكمالين النظري والعملي والكمال النظري الإحاطة بحقائق الموجودات بمراتبها والاطلاع على الجزئيات بإدراك كلياتها أما الكمال العملي هو صفاء ونقاء السر الداخلي عما سوى الله وهذا غير حاصل لجميع البشر بمراتبها والكمال النظري بمرتبة الصورة والكمال العملي بمرتبة المادة وإن الإدراكات تنتقل من الصورة إلى المادة فحدّ النفس أنها جوهر ملكوتي يستخدم البدن في حاجاته وهي حقيقة البدن وذاته وقول رسول الله ﷺ إني وزنت بأمتي فرجحت بهم، الحديث. ولا ريب في أن هذا التفاوت لأجل الاختلاف في الصفات وهي إدراكات النفس وفيوضات الصورة على المادة لاشتراك الكل في الجسمية ولواحقها ولما كانت نفس النبي ﷺ بهذه المرتبة فنفس علي عليه السلام تكون بهذه المنزلة والخصوصية بدليل خصوصية الاقتران، انتهى.

أقول: إن تخصيص نفس المعصوم بخصوصية خاصة ابتداء يكون كما تقدم وليس من لوازم الذاتية وأن تخصيص نفس المعصوم لا يكون بلا مخصص لاستحالة التخصيص من غير مخصص والمخصص هو عز مقامه.

أقول: إنه لم يخلق أحد مجبولاً على الاتصاف بجميع الفضائل الخلقية إلا من أيد من عند الله بالنفس القدسية وقول أمير المؤمنين علي عليه السلام نحن الأسرار الإلهية المودعة في الأجسام البشرية.

أقول: إن استدلالنا على الأمور الخارقة للعادة والأمور المستورة عن الحواس الظاهرة يكون في طريقين إذ إن للعقل طريق إلى تصديق الأمور الخارقة للعادة والأمور المستورة عن الحواس الظاهرة فيكون استدلاله على الشيء إما عن طريق علله وهو الاستدلال اللمي أو من طريق لوازم الشيء وآثاره وهو الاستدلال الإني فإن استدلالنا مثلاً على النبوة يكون عن هذين الطريقين، إما عن طريق آثاره وتبعاته وهو اشتمال الدين الذي يأتي به النبي ويكون الإمام متمماً لمسيرته من بعده على سعادة الإنسان في الدارين. وإما عن طريق لوازمه وهو أنه لما كانت النبوة خارقة للعادة كذا تكون الإمامة بدليل الأولوية الحالية التي تكون بعد النبوة بلا فصل وفي كونها أمراً إلهياً فكيف يحتج الباري عز مقامه بإمام لا يكون حجة على الخلق أجمع ولا يؤيد بأمور خارقة للعادة من لدنه فدعواهما ممن يدعيهما هي دعوى أن الذي وراء الطبيعة وهو إلهها الذي يهديها إلى سعادتها ويهدي النوع الإنساني منها إلى كماله وسعادته يتصرف في بعض أفراد النوع تصرفاً خارقاً للعادة وهو التصرف بالوحي ولو كان هذا التصرف الخارق للعادة جائزاً جاز غيره من خوارق العادة لأن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد.

أقول: لقد ثبت أن الله عز مقامه يتصرف في بعض أفراد النوع تصرفاً خارقاً للعادة كالمعجزات والأمور الخارقة للعادة التي يقوم بها النبي وذلك فلو كانت دعوى النبوة من النبي حقاً وكان النبي واجداً لها لكان من الجائز أن يأتي بأمر آخر خارق للعادة مرتبطة بنبوته فكذا يكون تخصيص أمير المؤمنين علي عليه السلام بأمور خارقة للعادة وأقول خارقة للعادة أي من باب المعاجز والمعجزة هي خرق لقوانين الكلية والسببية وتخصيص أمير

المؤمنين عليه السلام بالأمور الخارقة للعادة يكون بدليل الاقتران والمساواة بين إمامته عليه السلام وبين نبوة رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله والتي تقتضي المساواة بالوجه لا بالعين وتكون المساواة بين إمامته عليه السلام ونبوة رسول الله صلى الله عليه وآله فكلاهما أمران إلهيان فهذا لازمه الوحي وهذا لازمه المحدَّث بقول الله عز مقامه و**﴿ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث﴾** الآية.

وجاء برواية المجلسي(ره) في البحار: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد يسبّح الله تعالى عن يمين العرش الحديث.

وفي أخبار المعراج قول رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله يا محمد من خلّفته في أمتك الحديث بطوله تجده في مظانه إلى قوله يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري.

أقول: إن الأمور الخارقة للعادة في النبوة وتوابعها من العصمة التي خص بها رسول الله صلى الله عليه وآله هي من لوازم النبوة كذا تكون من لوازم الإمامة بلا فصل فكما أن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام أولوية حالية لا أولوية مآلية وكون إمامته بالأولوية الحالية فحالها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل فلا يجوز أن يوجد إمامان في زمان واحد وإن وجد، كما في حال رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ولكن واحد ناطق والآخر صامت فينطق الصامت من بعد ارتحال الناطق بلا فصل وأن الأمر في الرسول أو النبي والإمام هو أمر واحد كونهما أمران إلهيان وكونهما إلهيان فأمرهما أمراً حقيقياً لأنهما في الخارج، ومن المعلوم أن الأمور الخارجية من حيث أنها خارجية لا تعرضها الخطأ والغلط.

وقول العلامة الطباطبائي محمد حسين في أبواب الميزان أن الوجود الخارجي لا يوجد فيه الخطأ والغلط لوضوح أن ما في الخارج هو ما في

الخارج وإنما يعرض الخطأ والغلط في العلوم التصديقية والأمور الفكرية من جهة تطبيقها على الخارج فإن الصدق والكذب من خواص القضايا تعرضها من حيث مطابقتها للخارج وعدمها.

أقول وكون العقول القاصرة لم تدرك هذا المعنى في الاقتران بين النبوة والإمامة من حيث خوارق العادات والعصمة والمعاجز، أمّا يكون هذا من قصور العقول في إدراك العلوم التصديقية والأمور الفكرية وخبطها خبط عشواء في الخطأ والغلط وإما يكون من باب اللجاج والعناد فقد وضح الأمر وانجلى الستر فبان الصبح لذي عينين وقول الشاعر:

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فلم تزل تفتأ النفوس ذوات الهوس حسداً لبني هاشم الذين كرمهم الله وشرّفهم وجعلهم سادات البشر فبهم ينزّل الله الغيث وبهم يمنع السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبهم تنبت الأرض نباتها وتنزل السماء قطرها فهم حجة الله وآية الله وسر الله ونور الله وحجاب الله وستر الله **﴿وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾** الآية. كما قال قائلهم شعراً:

بئر معطلة وقصر مشرف مثل لآل محمد مستطرق
فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى والبئر علمهم الذي لا ينزف

وعندنا أن تخصيص نفس الإمام المعصوم بخصوصية خاصة يثبتها الدليل العقلي والنقلي، فأما بموجب الدليل النقلي جاء برواية ثقة الإسلام شيخنا الكليني قدس سره عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن موسى بن عمر عن محمد بن سنان عن عمّار بن مروان عن المنخّل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام فقال لي يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح، روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح

القوة وروح الشهوة فبروح القدس يا جابر عرفوا ما فوق العرش إلى ما تحت الثرى ثم قال يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحَدَثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب، انتهى.

وأما التخصيص بالدليل العقلي أن بين العلة والمعلول حيثية وجهة مناسبة ولولا هذه الحيثية والجهة المناسبة للزم تأثير كل شيء في كل شيء، أي أن بين العلة والمعلول سنخية والسر في ذلك أن كل معلول من سنخ علّته ويناسبها في صفاتها التراقي وغاية ابتهاجه أن يتصف بمثل كمالاتها ولذا قيل، كما قال الشيخ النراقي في جامع سعاداته، الكل ما يصدر عن شيء لا يمكن أن يكون من جميع الجهات هو هو ولا أن يكون من جميع الجهات ليس هو بل من جهة هو هو ومن جهة ليس هو وهذا عينه جاء في معنى كلام قدماء الحكمة الممكن زوج تركيبي وكذا الإمام فهو ممكن حقاً أي مسبوق بالعدم ولا ريب في أن جميع الموجودات معلومة للواجب سبحانه صادرة عن محض وجوده ومترشحة عن فيضه ووجوده فهو غاية الكل والكل طالبة نحو كمالاتها إلا أن ما هو في سلسلة الصدور إليه أقرب والواسطة بينهما أقل تكون مناسبة له أتم وشوقه إلى الاتصاف بكماله أشد وورد هذا المقصد في أسفار قطب الحكماء وصدر الأولياء صدر الدين الشيرازي في الأسفار «كل ما هو أقرب إلى الملأ الأعلى كان في باب الظهور والعالم أقوى، وكل ما هو أبعد منه كان أخفى وأضعف ظهوراً ومعلومية» ولا ريب في أن الذوات المجردة النورية التي هي من عالم الأمر مقتبسة من مشكاة نوره فلها غاية القرب إليه في سلسلة الصدور فتكون شديدة الشوق إلى الاتصاف بنحو كماله والنفس الإنسانية لكونها منها ومن عالم الأمر بقول عز من قائل: ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾[1]، لذا تكون نفس الإمام المعصوم صادرة عن محض وجوده

---

(١) سورة الإسراء:

ومترشحة عن فيضه ووجوده ومتصلة بطبقة لوح قدره فتخبر بما تراه مكتوباً في نفوسها الناطقة التي هي لوح القدر والتي يحصل فيها تبادل المحو والإثبات تبعاً لتدرج الأسباب والشروط فيكون نظرها إلى النفوس الناطقة باب من أبواب خصوصيتها، انتهى.

بحث في كيفية اتصالها بلوح القدر

ونظرها إلى النفوس الناطقة في اللوح وكيفية إخبارها بما تراه مكتوباً في نفوسها يستدعي هذا جملة مباحث

والمبحث الأول في طبيعة لوح القدر

والعالَم عالمان: عالَم القضاء وهو عالَم الثبات والاستقرار وعالم القدر وهو عالَم التغير والتجدد وكون العالمان مراتب علمية إلهية وجب تقرير العلاقة بين مرتبتي القضاء والقدر والذات الإلهية المنزهة عن التبديل والتغير وكون العلم الأزلي هو عين ذات العلة، فالعناية الإلهية ليست نقشاً زائداً على ذات العلة بل هي عين العلم الأزلي الذي هو عين ذاته، فالعناية حسب هذا المفهوم الذي يكون على رأي قطب الحكماء وصدر الأولياء صدر الدين الشيرازي في مجموعة من رسائله وهي رسالة القضاء[1] «عبارة عن ارتسام صورة في ذاته هي كون ذاته تعالى بحيث تفيض عنه صور الأشياء معقولة له مشاهدة إياها مرضياً بها عنده على نظام هو فوق الأنظمة الممكنة خيراً وكمالاً فليس لها محل بل هو علم بسيط قائم بذاته مقدس عن شائبة كثرة وتفصيل محيط بجميع الأشياء»، فكل التفصيلات التي تؤدي إلى الخير والكل معلوم لله أزلياً وهذا العلم هو عين الذات الذي يستوجب صدور الأشياء بمقتضى ذلك العلم.

وجاء في الرسالة العرشية ضمن مجموعة رسائل الشيخ الرئيس ابن سينا طبع حيدر آباد ١٣٥٣هـ «العناية تصور نظام الخير في الكل فيدخل في

---

(١) رسالة القضاء والقدر ـ مجموعة رسائل صدر المتألهين، نسخة مخطوطة موجودة في مدارج المكتبة الحسينية الشوشترية ـ النجف الأشرف.

الوجود على حسب ما علم فذلك التصور المتعال عن التغير هو العناية» ورجوعاً إلى مفهوم العناية الإلهية، ترتبت مراتب العلم الإلهي ضمن مرتبتين مرتبة علم القضاء ومرتبة علم القدر فأحكام علم القضاء الذي ورد بنص رسالة في القضاء لصدر الدين الشيرازي «عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات بإبداع الباري تعالى إياها في العالم العقلي على الوجه الكلي». أما أحكام العلم الإلهي في مرتبة القدر فقد أورد الشيرازي في أسفاره هو علم تفصيلي جزئي للموجودات في سلسلة وجودها وتحققها بصورة مجزأة مسلسلة مستندة إلى أسبابها وعللها متحققة حسب استعدادها وقابليتها للتحقق، انتهى.

فرجوعاً إلى ما أكدنا سابقاً بأن هناك عالمان عالم الثبات وهو مقدس عن شائبة كثرة وتفصيل كما قال الشيرازي وهو المسمى بأم الكتاب وقال عز من قائل: ﴿**وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾ الآية. وهذا يدلل أن القضاء محمول إلى عالم عقلي يسمى بالقلم الذي من عالمه تفاض علينا كل العلوم الحقة فقد أكد الشيرازي في رسالة القضاء «ومن المتحقق أن صدر جميع ما أوجده الله من ابتداء العالم إلى آخره منتقشة فيها على وجه بسيط عقلي مقدس عن شائبة كثرة وتفصيل، وذلك الانتقاش هو صورة القضاء عالم الجبروت وهو المسمى بأم الكتاب بهذا الاعتبار كما قال تعالى: ﴿**وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾ ويسمى بالقلم باعتبار إفاضة الصور العلمية على النفوس الكلية على ما قال سبحانه ﴿**اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم**﴾ وكلما يفيض علينا من العلوم الحقة إنما يفيض من ذلك العالم، انتهى.

فيلزم أن لا يطرأ على العلم الإلهي في مرحلة القضاء أي تغير وتبديل فالعلم هنا هو عين الذات الإلهية أو هو من لوازم ذاته المتعالية عن التغير والتبدل، انظر الشيرازي (المظاهر الإلهية)، بالإضافة إلى أن القلم وهو العلم

المتضمن فكرة القضاء على ما أسلفنا ذكره يفيض إلى رتبة علم القدر فيكون المفاض إلى عالم القدر إنما هو من باب السبب في تحقق الموجودات طبقاً لأسبابها في عالم القضاء فيكون القدر كما نص عليه صدر الدين في أسفاره.

«عبارة عن وجود صور الموجودات في العالم النفسي المساوي على الوجه الجزئي مطابقة لما في موادها الخارجية مستندة إلى أسبابها وعللها وأجناسها لازمة لأفعالها المعينة وأمكنتها المخصوصة ويشملها القضاء شمول العناية للقضاء، انتهى.

فيكون القدر بمرتبتين قدر علمي وهو عبارة عن «ثبوت صورة جميع الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة لما في موادها الخارجية مستندة إلى أسبابها وعللها واجبة لازمة لأوقاتها منطبعة في قوة إدراكية ونفس انطباعية، انتهى[1].

والمرتبة الثانية هي مرحلة القدر الخارجي وهي مرحلة تحقق الموجودات بحيث تتخذ صور الموجودات قوالبها المادية لغرض التحقق، فالقدر الخارجي ـ على ما ورد في المظاهر الإلهية لصدر الدين الشيرازي ـ وجود صور الموجودات «في موادها الخارجية مفصلة واحدة بعد واحد مرهونة بأوقاتها وأزمنتها موقوفة على موادها واستعدادها متسلسلة من غير انقطاع ولا زوال» فالعلم في مرتبة القدر متنزل بهيئة مجزأة مفصلة في العلم الإلهي في مرتبة القضاء، أما الوسط الذي تستقر فيه صور الموجودات فهو لوح القدر وهو لوح المحو والإثبات قول عز من قائل: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾ الآية، فلوح القدر هو النفس الفلكية في مرتبة الخيال، وقول صدر الدين في المظاهر الإلهية هو «عالم الخيال وعالم المثال

---

(١) المظاهر الإلهية لصدر الحكماء والأولياء الحكيم صدر الدين الشيرازي قدس الله سره القدوسي.

وهو لوح القدر كما أن ذلك العالم هو عالم النفوس الناطقة الكلية لوح القدر وكل منهما كتاب مبين إلا أن الأولى لوح محفوظ هو (أم الكتاب) والثاني كتاب المحو والإثبات.

ورجوعاً إلى هذا المفهوم من لوح القدر تكون مرحلة القدر للعلم الإلهي هي مرحلة استلام العلم بصورة مجزأة مسلسلة فعلوم هذه المرحلة هي علوم متدرجة وبصورة متتالية والصور الواردة إليها على هيئة الجزئية بحكم موقعها الوجودي ويكون علمها بالممكنات بالأسباب ولكن بشرط أن تكون هذه الأسباب معللة. كذلك لا يمكن إحاطتها بتلك الشرائط تفصيلياً لأن المعرفة تكون فيها بالتدرج والتتالي كما أسلفنا ولذلك يحصل لديها التغيّر والتبدل في أحكام القضايا والحوادث فالحكم الجديد للحادثة في طبقة القدر هي عملية محو للحكم السابق الذي علمته، ثم في المرحلة الجديدة اللاحقة للمحو تكتمل الأسباب والشروط بحيث لا يمكن للفعل أنه يتخلف فعند ذلك يثبت لطبقة القدر الحكم القطعي بتحقق الفعل ومن ثم يأخذ طريقه للتنفيذ وهذا هو أمر الإثبات.

ويرى صدر الدين في أسفاره أن نفس النبي أو الإمام تتصل مباشرة بألواح هذه الطبقة فيخبر بما يراه مكتوباً في نفوسها وإخباره هنا صدق وحق، أما إذا اتصل بها مرة أخرى ورأى في تلك الألواح غير ما رآه في المرة الأولى فله أن يخبر أيضاً لأن الإخبار الأول معلق على تحقق شروط وأسباب فتغير الكتابة الأولى دليل عدم مناسبة الشروط والأسباب لها لأن الطبقة القدرية تحكم على حادثة معينة من خلال علومها المتدرجة المحدودة وهكذا يكون إخبار النبي أو الإمام في المرة الثانية صدقاً أيضاً فأخبار النبي في الحالين هو صحيح لأن الأول معلق على الأسباب والشروط والثاني هو تحقق أو غياب تلك الأسباب وذلك ما يوجب تنفيذ الحادثة أو تعطيلها وعليه فإن إخبار الأنبياء والأئمة بهذا اللون من العلم يعلقونه على المشيئة والإرادة لأنه من

العلم المخزون الذي لم يُطلع عليه الله أحداً من خلقه، انتهى.

فقد روى ثقة الإسلام الكليني في باب ذكر الأرواح التي في الأئمة عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئَمة ما أصحاب المشئَمة والسابقون السابقون أولئك المقربون**﴾ الآية الواقعة، فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون وجعل في المؤمنين أصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون.

أما في باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام.

روى (قده) في عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سعيد عن يحيى الحلبي عن أبي الصباح الكناني عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾[1]. قال خلقٌ من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده.

---

(١) سورة الشورى: آية ٥٢.

وعن محمد بن يحيى عن عمران بن موسى عن موسى بن جعفر عن علي بن أسباط عن محمد بن فضيل عن أبي حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام أهو علمٌ يتعلمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب أما سمعت قول الله عز وجل ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية أيقرؤن أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فقلت: لا أدري ـ جعلت فداك ـ ما يقولون فقال [لي] بلى قد كان في حالٍ لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب فلما أوحاها إليه علَّم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم.

أقول: وهذا عينه ما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام فقد أتى رجلٌ أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: جبرئيل عليه السلام من الملائكة والروح غير جبرئيل ـ فكرر ذلك على الرجل ـ فقال له لقد قلت عظيماً من القول ما أحدٌ يزعم أن الروح غير جبرئيل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنك ضال تروي عن أهل الضلال يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزّل الملائكة بالروح**﴾[1] والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم، وقد أورد هذه الرواية شيخنا الكليني(قده) في كتاب الحجة، انتهى.

---

(١) سورة النحل: آية ٢.

القول في النفس

أول ما يتطرق إلى أذهاننا مسألة تعلق النفس بالبدن هل هو تعلق انضمامي أم تعلق إتحادي، فقد ذهب صدر الدين الشيرازي إلى أن النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء وعلى هذا الاحتمال يكون تعلق النفس بالبدن تعلقاً «إتحادياً هو التركيب الإتحادي بين النفس والذات، فالنفس حينئذٍ في مرتبة الإبصار باصرة وفي مرتبة الذوق هي الذائقة وهلم جرا، وهي كما قال الحكيم السبزواري في منظومته ـ والنفس في وحدتها كل القوى ـ وأن اتحاد النفس مع الذات قصد في فنه أي اتحاد النفس مع الكون وأن الكون وهو نفس الذات ويصح حينئذٍ أن يقال أن الكون هو النفس إذ لولاها لما حصل أثر وما تحرك حجر عن حجر ولما كان المعلول رشحة من العلّة ولما كان ممكن الوجود رشحة من واجب الوجود إذ يكون واجب الوجود علّة لممكن الوجود والذي ثبت في فنه أن الممكن بذاته متساوي الطرفين بالنسبة إلى طرفي الوجود والعدم فلا يترجح وجوده إلا بالعلّة ولما كان حكم الأمثال سواء وكل موجودات العالم ممكنة فكلها مما تحتاج إلى العلة ولا يعقل أن تكون علتها ممكنة وإلا لاحتاجت العلة أيضاً إلى الترجيح بمقتضى بداهة تساوي حكم الأمثال إذن أن العلة هي واجب الوجود بالذات.

والقول أن الكون هو النفس يكون حمل الكون على النفس ولازم العمل الإتحاد بين المحمول والمحمول عليه إذن تكون النفس كمرآة تنعكس فيها الصور المائلة في القلوب. وفي التعابير المتعارفة السائدة اعتبار القلب مركزاً لهذه الصور، ولما كانت النفس هي المرآة التي تنعكس فيها هذه الصور فهي تابعة طبعاً للقلب الذي يخلق الصور مقابلة للنفس لتنعكس فيها

والتابع بحكم التبعية يسري إليه ما في المتبوع، ولما كانت النفس تابعة فلا محالة تصدأ إذا صدأت القلوب وتكون صافية جليّة إذا انجلى عنها صدؤها ولما نتج أن النفس مرآة القلوب فالحسنات حسنات القلوب والذنوب ذنوبها والمعصوم ليس ممن يصدر عنه الذنوب فهو معصوم ابتداء فيتوجب خصوصية نفسه وذاته وفعاله وكون الحسنات حسنات القلوب والذنوب ذنوبها إن التحقيق المحقق في فنه أن النفس في وحدتها كل القوى والأعضاء الحساسة وغيرها هي كالآلات وعمال تدير عملها النفس، فالنفس هي الباصرة ولكن بآلة البصر والنفس هي السامعة ولكن بآلة السمع والنفس هي المفكرة ولكن بآلة التفكير واستناد فعل المعلول ومعلوله إلى علته الأولى من استناده إلى المعلول مثلاً أن حركة الأفلاك بتأثير الجاذبية واستناد حركة الأفلاك إلى الله تبارك وتعالى أولى وأقوى من استنادها إلى الجاذبية لما ثبت عند الحكماء من أن المعلول رشحة من العلة فالرشحة الأولى يكون تأثيرها أقوى من المعلول الأول على المعلول الثاني فحسنات القلوب وذنوبها مستندة إلى النفوس استناداً صحيحاً وهو المطلوب.

والذي ثبت في فنه أن النفس هي ظل لوجود الواجب جلّت قدرته ورشحة من فيض نور فعله الأقدس وأنها ظل فيض الواجب الواهب للوجود الإمكاني بجميع ما فيه ويكون الأمر مردداً عند بعض المفكرين بين أن يكون ذلك الظل من الوجود المائل على هذه المرآة هو الأصل للوجود أم أن هذا الوجود الإمكاني للنفس وغيرها من سائر الوجودات الإمكانية هو الأصل في الوجود والذي ثبت في فنه كون الوجود الإمكاني ظلاً لوجود الواجب وتوضيح هذا بالقول أن ظل الضوء ضوء أيضاً ولكنه ضعيف فإن الفيء المنتشرة في الأرض والأمكنة عند إشراق الشمس بنورها القوي على مساحة خاصة من الأرض ليس ظلاماً وغسقاً بل هو منير أيضاً ولكن نوره أضعف من

نور المكان الذي قابل الشمس مقابلة تامة ومثله التصور البدائي الذي يتمثل بسبب التعقل ليتوصل به إلى التصديق بالحق هو عقل وتعقل أيضاً لكنه ضعيف حتى ينتهي إلى التصديق والجزم بالحق وحينئذٍ يكون عقلاً كاملاً واصلاً مشرقاً بتصديقه ويقينه وأن الوجود الإمكاني الذي يستحيل أن يكون مترجماً بذاته من غير مرجح يستحيل أن يكون وجوده هو الأصل لوجوده وهو لسان ناطق بأعلى صوته بأنه مترجح بغيره وأنه في فيض وجود الواجب الذي سوّاه وخلقه وجمع أجزاءه وركبه وهذا لسان ناطق وبرهان صادق على أن علة الحادث هو القديم وموجد الممكن هو الواجب.

وروي أن عجوزاً وهي ليست من العالمات سئلت عن كيفية استدلالها على الخالق جلّ مقامه فقالت الأثر يدل على المسير سماوات ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على اللطيف الخبير؟ أقول إن كانت حسنات القلوب وذنوبها مستندة إلى النفوس استناداً صحيحاً فتكون النفس هي الفاعلة على الاطلاق وهذا عين قول الملا هادي السبزواري في شرح المنظومة والنفس في وحدتها كل القوى.

قال الحجة الشيخ السماوي في رباعيته التي جاء في بعض مقاطعها مقارناته بين النفس والكون قوله:

فيك يا نفس كما في الكون نور وظلام
كلما ساد نظام فيك يندك نظام
أنت حرب وسلام وهو حرب وسلام
أوليست وحدة العدل اقتضت ما
ليس يدري

وقوله:

كالشمس على الكون طلوع وأفول
أنت نفس الكون إن صح اتحاد وحلول

أشـــرقـــت فيـــك عقـــول مثلمـــا ضلـــت عقـــول
وعلـــــى قـــــارعـــــة الشـــــك جثـــــا مـــــن
ليس يدري

وقوله:

أنـــت كـــالمـــوجـــة تنحّـــل بـــأخـــرى وتـــذوب
لـــك مثـــل الـــدهـــر عنـــدي حسنـــات وذنـــوب
أنـــت كـــالمـــرآة تصـــديـــن إذا تصـــدى القلـــوب
أنـــت حيّـــرت أخـــا اللـــب فـــأضحـــى
ليس يدري

والقول في كون المعصوم قادر على ارتكاب المعصية إلا أنه لا يفعلها لطفاً وفي حالة كونه غير معصوم يمكن أن يكون إنسان عادي وعدم عصمته تكون الشهوية والوهمية آثاراً للمؤثر النفسي ويمكن القول أن تكون لصوره النفسية صوراً متنوعة يمكن أن يتنوع بها نفس حيواني فتصير حيواناً ذا صورة خاصة منوعة كصورة المكر والحقد والشهوة والوفاء والافتراس، ثم إن لهذه الصورة أيضاً أفعالاً وأحوالاً تحصل بتراكمها التدريجي صورة خاصة جديدة توجب تنوع النوعية الإنسانية ولا يعني تنوع النفس إحلالها فالمنسوخ من الأنسان إنسان ممسوخ لا أنه ممسوخ فاقد للإنسانية.

وقول الحكيم الإلهي القاضي الطباطبائي في ميزانه.

قوله: فجميع أجزاء هذا العالم الطبيعي مؤثرة في الجميع وإنما القسر الدائم أن يجعل في غريزة نوع من الأنواع اقتضاء كمال من الكمالات أو استعداد ثم لا يظهر أثر ذلك دائماً، إما لأمر في داخل ذاته أو لأمر خارج ذاته متوجه إلى إبطاله بحسب الغريزة فيكون تغريز النوع المقتضي أو المستعد للكمال تغريزاً للكمال تغريزاً باطلاً وتجبيلاً هباء لغواً وكذا لو فرضنا إنساناً

تغيرت صورته إلى صورة نوع آخر من أنواع الحيوان كالقرد والخنزير فإنما هي صورة على صوره فهو إنسان خنزير أو إنسان قرد لا إنسان بطلت إنسانيته وحلت الصورة الخنزيرية أو القردية محلها فالإنسان إذا كسبت صوره في صورة الملكات تصورت نفسه بها ولا دليل على استحالة خروجها في هذه الدنيا من الكمون إلى البروز على حد ما ستظهر في الآخرة بعد الموت، انتهى.

أقول: لا يلتبس عليك الأمر بالقول بتناسخ الأرواح كلا فإن التناسخ وهو تعلق النفس المستكملة بنوع كمالها بعد مفارقتها البدن ببدن آخر محال فإن هذا البدن إن كان ذا نفس استلزم التناسخ تعلق نفسين ببدن واحد وهو وحدة الكثير وكثرة الواحد وإن لم تكن ذا نفس استلزم رجوع ما بالفعل إلى ما بالقوة، كرجوع الشيخ إلى الصبا وهو محال أيضاً وكذلك يستحيل تعلق نفس إنساني مستكملة مفارقة ببدن نباتي أو حيواني، وقد ثبت في فنه أن الموجود الذي له قوة الكمال والفعلية إذا خرج من القوة إلى الفعل فإنه يستحيل بعد ذلك رجوعه إلى القوة ثانياً «وكذلك كل ما هو أكمل وجوداً فإنه لا يرجع في سيره الاستكمالي إلى ما هو أنقص وجوداً منه من حيث هو كذلك والإنسان بموته يتجرد بنفسه عن المادة فيعود موجوداً مجرداً مثالياً أو عقلياً وهاتان الرتبتان فوق مرتبة المادة، والوجود فيهما أقوى من الوجود المادي ويستدعي إغناء الموضوع إلى دراسة مستفيضة بالمثل الافلاطونية النورية والمثل المعلقة والوجودات البرزخية الوسطية والمثل الإشراقية عند السهروردي. وسنفرّد بحثاً وافياً في المستقبل إنشاء الله.

ومن شرائط العصمة أو الأدلة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

قول العلامة الحلي في الألفين: الإمكان هو تساوي طرفي الوجود والعدم بالنسبة إلى الماهية أو ملزومة وهو علة الحاجة إلى العلّة المتساوية

النسبة إلى الطرفين بل الواجبة وعلّة احتياج الأمة إلى الإمام وهو إمكان المعاصي والطاعات عليهم فلا بد أن يجب للعلّة في الطاعات وعدم المعاصي أن لا يكون ذلك ممكناً لها وهي معنى العصمة.

وقوله: الممكن محتاج إلى غيره من حيث الإمكان والمغاير من جهة الإمكان هو الواجب فالممكن من حيث هو محتاج إلى الواجب فممكن الطاعة محتاج إلى واجبها وهو المعصوم فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

وقوله: لو كان الإمام غير معصوم لزم أحد الأمرين إما فرق الإجماع أو كون نقيض اللازم علة غائية مجامعة في الوجود للملزوم والتالي بقسميه باطل، فالمقدم مثله بيان الملازمة يتوقف على مقدمتين:

أحدهما: أن بقاء نظام النوع ودفع الهرج والمرج علة غائية، مقصودة من نصب الإمام.

وثانيهما: أن مساواة الإمام لغيره في عدم العصمة وعدم النص عليه مع اختلاف الأهواء وتباين الآراء موجب للتنازع والهرج والمرج وهو أعظم الأسباب في إثارة الفتن وإقامة الحروب لأنا نرى في الرياسات المنحصرة ذلك فكيف مثل هذا الأمر العظيم إذا تقرر ذلك.

فنقول: لو لم يكن الإمام معصوماً لكان تعيينه إما أن يكون بنص النبي ﷺ أو لا.

والأول يلزم منه خرق الإجماع إذ الأمة بين من يوجب العصمة والنص ومن ينفيهما ولا ثالث، فالثالث خارق الإجماع والثاني وهو أن لا يكون بنص النبي ﷺ يلزم منه اختلال نظام النوع والهرج والمرج وهو ظاهر لكن انتظام النوع وأضداد ما ذكر غاية مجامعة في الوجود للإمام فيكون نقيض اللازم علة غائية مجامعة في الوجود للملزوم وأما بطلان التالي بقسميه فظاهر.

العصمة تنفي التسلسل وجوب كون الإمام معصوماً وألا تسلسل لأن الحاجة الداعية إلى الإمام هي ردع الظالم عن ظلمه والانتصاف للمظلوم منه فلو جاز أن يكون غير معصوم لافتقر إلى إمام آخر ويتسلسل وهو محال ولأنه لو فعل المعصية فإن وجب الإنكار عليه سقط محله من القلوب وانتفت فائدة نصبه وإن لم يجب سقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو محال ولأنه حافظ للشرع فلا بد من عصمته ليؤمن من الزيادة والنقصان وقوله تعالى: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ وقد استدل الإمامية على شرائط العصمة بوجوه:

الأول: لو لم يكن الإمام معصوماً لزم عدم تناهي الأئمة واللازم باطل فالملزوم مثله بيان الملازمة أنّا قد بيّنا العلة المحوّجة إلى الإمام وهي ردع الظالم عن ظلمه والانتصاف للمظلوم منه وحمل الرعية على ما فيه مصالحهم وردعهم عما فيه مفاسدهم فلو كان هو غير معصوم افتقر إلى إمام آخر يردعه عن خطئه ويلزم عدم تناهي الأئمة وهو باطل.

الثاني: لو لم يكن معصوماً لجازت المعصية عليه ولنفرض وقوعها يلزم إما انتفاء فائدة نصبه أو سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واللازم بقسميه باطل فكذا الملزوم بيان اللزوم أنه إذا وقعت المعصية عنه فأما أن يجب الإنكار عليه أو لا فمن الأول يلزم سقوط محله من القلوب وأن يكون مأموراً بعد أن كان آمراً ومنهياً عنه بعد أن كان ناهياً إذ تنتفي الفائدة المطلوبة من نصبه وهي تعظيم محله في القلوب والانقياد لأمره ونهيه ومن الثاني يلزم عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو باطل إجماعاً.

الثالث: أنه حافظ للشرع وكل من كان كذلك وجب أن يكون معصوماً، أما الأول فلأن الحافظ للشرع إما الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع أو البراءة الأصلية أو القياس أو خبر الواحد أو الاستصحاب.

وقول رسول الله ﷺ تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب وبرهة بالسنّة وبرهة بالقياس فإذا فعلوا ذلك فقد ضلّوا وأضلوا فلم يبق أن يكون الحافظ للشرع إلا الإمام عليه السلام وذلك هو المطلوب. وقد أشار الباري تعالى بقوله: ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم**﴾ لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وأما الثاني فلأنه إذا كان حافظاً للشرع ولم يكن معصوماً لما أمِن في الشرع من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل.

والرابع: أن غير المعصوم ظالم ولا شيء من الظالم للإمامة فلا شيء من غير المعصوم بصالح للإمامة أما الصغرى فلأن الظالم واضع للشيء في غير موضعه وغير المعصوم كذلك، وأما الكبرى فلقوله تعالى ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾، والمراد بالعهد عهد الإمامة بدلالة الآية على ذلك كما ويجب أن يكون الإمام منصوصاً عليه لأن العصمة من الأمور الباطنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى فلا بد من نص من يعلم عصمته عليه أو ظهور معجزة على يده تدل على صدقه هذه إشارة طريق تعيين الإمام وقد حصل الإجماع على أن التنصيص من الله ورسوله وأما سابق سبب مستقل في تعيين الإمام عليه السلام وإنما الخلاف في أنه هل يحصل تعيينه بسبب غير النص أم لا فمنع أصحابنا الإمامية من ذلك وقالوا لا طريق إلا النص لأنّا قد بيّنا أن العصمة شرط في الإمامة والعصمة أمر خفي لا اطلاع لأحد عليه إلا الله تعالى فلا يحصل العلم بها في أي شخص هي إلا بإعلام عالم الغيب وذلك يحصل بأمرين:

أحدهما: إعلامه بمعصوم كالنبي فيخبرنا بعصمة الإمام وتعيينه.

وثانيهما: إظهار المعجزة على يده الدالة على صدقه في ادعائه الإمامة كما ويجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه لأنه مقدم على الكل فلو كان فيهم من هو أفضل منه لزم تقديم المفضول على الفاضل وهو قبيح عقلاً وسمعاً.

الخليفة والعصمة في قول عز من قائل: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾.

الأول: بدأ الله تعالى بالخليفة قبل الخليقة والابتداء من الحكيم إنما هو بالأهم فدل على أن الخليفة أهم فلا بد وأن يكون الخليفة أكمل من كل الخلق في القوة العملية والعلمية وأشرفهم ومن يكون كذلك وليس ذلك إلا المعصوم.

الثاني: فائدة الخليفة تكميل قوى العلم والعمل لسائر الخلائق وتكميل كل مستعد على قدر استعداده، ولما كانت مراتب الناس في الاستعداد متفاوتة في الكمال والنقصان وجب أن يكون المُكَمل الموصّل كل مستعد إلى أقصى نهاية كماله كاملاً في القوتين العملية والعلمية أصلاً في الكمال إلى أقصى نهاية الكمال البشري ولا يتحقق ذلك مع غير العصمة فوجب أن يكون معصوماً وهذا المعنى الموجب مشترك في كل خليفة الله تعالى في أرضه فيجب عموم الحكم لعموم العلّة وهذا مقتضى الحكمة الإلهية والخليفة كما يقال على النبي ﷺ يقال على الإمام عليه السلام ولأن النبي ﷺ لا يعم من كل عصر وهو ظاهر فلو اختص ذلك بالنبي لاختص باللطف بعض الأمة لكن رحمة الله عامة شاملة للكل وعناية في حق أهل كل عصر فوجب الإمام.

الثالث: إنما سُمي الخليفة خليفة لأنه يحكم في الخلق بحكم الله تعالى ويحملهم على أمره ونهيه فهو خليفة الله تعالى وهذا قول ابن مسعود وابن عباس والسدي ووكد ذلك قوله تعالى: ﴿**إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق**﴾ وفائدته لا تحصل إلا مع العصمة فوجب عصمته، أما.

الأولى فلأن خلق الشهوات والنفرات في الطبايع البشرية من مكملات التكليف بحيث يحصل الثواب التام بامتثال الأوامر والإنزجار عن النواهي

وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿**ونهى النفس عن الهوى**﴾ ومن الناس من يستصغر الكمال وحصوله في تحصيل مقتضى الشهوة ولا يبالي بحفظ ظاهر نظام النوع لذلك وجب في الحكمة وضع الخليفة ليقوّي القوة العقلية ويساعدها على القوة الشهوية والغضبية ويحمل الناس على المعروف ويزجرهم عن المنكر ويردع القوي عن الضعيف وهذه عناية من الله تعالى لا تختص بأحد بل تعم الخلائق في جميع الأصقاع والبلاد والأزمان ولجميع الأشخاص، فالمطلوب منه عصمة غيره لو تمكن من الكل فكيف لا يكون هو معصوماً ولا وجه لحاجة المكلف إليه إلا جواز الخطأ عليه فلو جاز عليه الخطأ لاحتاج إلى خليفة آخر ودار أو تسلسل وهو محال لأن من به صلاح كل وجه وفساده يجب أن يكون عارياً عن كل وجوه المفاسد ولأن المراد منه زجر الكل عن كل معصية في كل عصر وفي كل وقت والأمر بالطاعات كذلك فلا بد وأن يكون معصوماً وهو ظاهر، وأما المقدمة الثانية فلأنه إذا لم يكن معصوماً انتفت فائدته وفعل الحكيم إذا كان لغرض وتوقف الغرض على شرط من فعله ولم يفعله لا شك أنه يكون ناقصاً لغرضه وهو مضاد لحكمته وأيضاً الخليفة أمين مخلوف على الأديان والدماء والأموال فلو جاز عليه الخطأ والخيانة امتنع من الحكيم جعله أميناً وأمرنا باتباعه وهو ظاهر.

الرابع: علي عليه السلام أفضل من الملائكة والملائكة معصومون والأفضل من المعصوم معصوم فعلي عليه السلام معصوم، أما المقدمة الأولى فلقوله تعالى: ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**﴾ والعالمون هم ما سوى الله تعالى وعلي عليه السلام من آل إبراهيم والمصطفى أفضل منه ولأن النبي محمد صلى الله عليه وآله أفضل من الملائكة ونفس النبي وعلي واحدة في الكمال فيكون علي عليه السلام أفضل من الملائكة، أما أفضلية النبي صلى الله عليه وآله فلما بين في علم الكلام ونشير هنا إلى دليل على ذلك.

فنقول أنه عليه السلام أفضل من آدم وآدم أفضل من الملائكة فالنبي أفضل من الملائكة، أما المقدمة الأولى فإجماعية، وأما المقدمة الثانية فلأن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم والمسجود له أفضل من الساجد وهو ضروري، وأما اتحاد نفس علي ونفس النبي بمعنى اتحادهما في الكمالات فبقوله تعالى: ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ ـ في آية المباهلة ـ والإجماع على أن المراد بقوله أنفسنا علي عليه السلام، وأما المقدمة الثانية وهي أن الملائكة معصومون.

الأول: قوله تعالى؛ ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾.

الثاني: قوله تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ يتناول جميع فعل المأمورات وترك المنهيات لأن النهي عن الشيء يستلزم الأمر بتركه فإن قيل ما الدليل على قوله ويفعلون ما يؤمرون يفيد العموم.

قلنا: لا شيء من المأمورات إلا ويصح استثنائه منه والإستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل على ما بيّن في أصول الفقه ولأن صفة مدح فلولا العموم لشاركوا من عداهم في ذلك فلم يكن لاختصاصهم بصفة المدح فايده.

الثالث: قوله تعالى: ﴿**بل عباد مكرمون لا يسبقون بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ صريح في براءتهم عن المعاصي وكونهم في كل الأمور للأمر الإلهي والوحي.

الرابع: أنه تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في البشر بالمعصية ولو كانوا عصاة لما حسن منهم ذلك.

الطعن الخامس: أنه تعالى حكى عنهم أنهم يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ومن كانوا كذلك امتنع صدور المعصية منهم، وأما المقدمة الثانية

وهي أن الأفضل من المعصوم معصوم فظاهرة، وقد نبّه الله تعالى عليها بقوله: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ وإذا ثبت أن علياً عليه السلام معصوم وجب أن يكون كل إمام معصوماً إذ لا قائل بالفرق.

وروى العلامة الحلي في الألفين: قدح جماعة من الحشوية باعتراضهم على المقدمة الثانية وتكلموا فيها المنع المنقص والمعارضة، أما المنع فلا نسلم عصمة الملائكة وما ذكرتموه في الأدلة، أما أولاً فإنه مختص بملائكة النار وباقي الأدلة يمنع عمومه في كل الملائكة، وأما النقض فبقصة هاروت وماروت في قول عز من قائل: ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه**﴾[1] فإنهما ملكان وقد وجد منهما الذنب وإلا لما عاقبهما الله تعالى حيث خيرهما بين عذاب الدنيا والآخرة فاختاروا عذاب الدنيا عاجلاً فجعلهما ببابل منكوسين في بئر إلى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان إليه ولا يراهما أحد إلا من ذهب إلى ذلك ليعلم السحر، وأما المعارضة فبوجوه:

الأول: قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ فهذا يدل على أنهم اعترضوا على الله تعالى وذلك من أعظم الذنوب ولأن طعنهم على بني آدم بالفساد غيبة والغيبة ذنب ولأنهم إما أن يكونوا قد علموا ذلك بالوحي أو بالاستنباط والأول ينفي فائدة إعادته عليه تعالى والثاني يستلزم القدح في الغير بالظن ولا يجوز.

الثاني: قوله تعالى: ﴿**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**﴾ فدل هذا

---

(١) سورة البقرة: آية ١٠١.

على أن الملائكة معذبون لأن أصحاب النار إنما يكون من يعذب فيها كما قال الله تعالى: ﴿**أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾.

الثالث: أن إبليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى وكفر وذلك يدل على صدور المعصية من جنس الملائكة هذا خلاصة كلام الحشوية. والجواب منه المنع فهو باطل لأنّا استدللنا على عصمة الملائكة والقرآن مشحون به والعقل دلّ على أنهم خير محض حتى ذهب بعضهم أنهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والفساد ولأنهم لا شهوة لهم ولا حاجة وعالمون بقبح القبيح فلا يفعلون لانتفاء داعي الحاجة والجهل. وأما قولهم في الأول أنه مختص بملائكة النار قلنا ممنوع بل هو عام لصحة الاستثناء سلمنا لكن يتم مطلوبنا به فأنّا قد بيّنا أنه أفضل من كل الملائكة فدخل المعصومون منهم وتم الدليل وعن منع عموم باقي الآيات فنقول إنه باطل لاتفاق الكل على العموم ولصحة الاستثناء لكل فرد من أفراد الملائكة وما ذكرناه من تمام الاستدلال سواء كان للعموم أو للخصوص والجواب عن النقض بوجوه:

الأول: قرأ الحسن الملكين بكسر اللام وهو مروي عن الضحاك وابن عباس ثم اختلف هؤلاء فقال الحسن كان عجلين أقليين ببابل يعلمون الناس السحر وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك فيرد على هذه القراءة تفسير قوله أنزل بعضهم بمعنى قدر.

قالت الجبرية: من القضاء والقدر وقال بعضهم القضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة ومجملة على سبيل الإبداع والقدر عبارة عن وجودها في موادها الخارجية أو بعد حصول شرائطها متصلة واحد بعد واحد. قال الله تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر**﴾.

والجواهر العقلية توجد في القضاء والقدر مرة واحدة باعتبارين، والجسمانية وما معها موجودة منهما مرتين واحتج من قرأ بكسر اللام بوجوه أحدها أنه لا يليق بالملائكة تعليم السحر وثانيهما كيف يجوز إنزال الملكين مع قوله: ﴿**ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون**﴾ وثالثها لو أنزل لكان إما أن يجعلهما في صورة رجلين أولاً فإن كان الأول مع أنهما ليسا برجلين وكان ذلك تخييلاً وتلبيساً وذلك غير جائز ولو جاز ذلك فلمَ لا يجوز أن يكون كل واحد من الناس الذين نشاهدهم لا يكون في الحقيقة إنساناً بل ملكاً من الملائكة وإن كان الثاني فهو باطل لقوله تعالى: ﴿**ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً**﴾.

الثاني: أن قوله ﴿**وما أنزل على الملكين**﴾ موضعه جر عطفاً على ملك سليمان وتقديره ما تتلوا الشياطين اقرأ على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين وهذا هو قول أبي مسلم وتفسيره، قال كما أن الشياطين نسبوا السحر إلى ملك سليمان مع أن ملك سليمان كان مبرأ عن السحر لأن المنزل عليهما كان هو المشرع والدين والدعاء إلى الخير واحتج عليه بأن السحر لو كان نازلاً عليهما لكان منزله هو الله تعالى وذلك غير جائز لأن السحر كفر وعيب ولا يليق بالله تعالى إنزال ذلك ولأن قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر يدل على أن تعليم السحر كفر فلو ثبت في الملائكة أنهم يعلمون السحر لربهم الكفر وذلك باطل ولأنه كما لا يجوز على الأنبياء أن يبعثوا بتعليم السحر كذلك لا يجوز في الملائكة بطريق الأولى ولأن السحر لا يضاف إلا إلى الكفرة والفسقة والشياطين المردة فكيف يضاف إلى الله تعالى ما نهى عنه ويتوعد عليه بالعتاب وهل السحر إلا الباطل المموه وقد أبطله الله تعالى في عدة مواضع كما قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿**إن الله سيبطله**﴾.

الثالث: أن يكون ما بمعنى الجحد ويكون معطوفاً على قوله وما كفر

سليمان كأن قال لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملكين السحر لأن السحرة كانت تضيف السحر إلى سليمان وتزعم أنه مما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فرد الله عليهم في القولين وقوله: ﴿**من أحد حتى أيضاً**﴾ أي لا يعلمان أحداً بل ينهيان عنهما أشد النهي، وأما قوله تعالى حتى يقولا ﴿**إنما نحن فتنة**﴾ أي ابتلاء وامتحان فلا تكفر وهو كقولك ما أمرت فلاناً بكذا حتى قلت له لا تفعل ونهيته أو حتى قلت له إن فعلت كذا نالك كذا ومعناه ما أمرته حتى حذرته عنه.

الرابع: إن إنزال السحر لتعليم صنعته لأنه منهي عنه والنهي عن الشيء يستلزم معرفته على تعليم السحر وجعله كفراً لقوله تعالى: ﴿**ويكن الشياطين**﴾ لاستحالة تكليف الله تعالى شخصاً «بأن يجتنب شيئاً مجهولاً مطلقاً لأنه يكون تكليفاً بالمحال فإن النهي عن الشيء يستلزم العلم به لا يقال إنه تعالى ذم الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر لأنا نقول الشياطين علموا الناس ليعملوا به ويفسدوا في الأرض فلذلك ذمهم الله تعالى.

الخامس: السحر لفظ مشترك بين معنيين أحدهما ما دق ولطف وتعجب منه العقول والأذهان بقوله إن من البيان لسحراً وثانيهما ما يذم فاعله وهو كل أمر يُخفىٰ سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع وإذا أطلق ولم يقيّد أفاد ذم فاعله، قال تعالى ﴿**وسحروا أعين الناس**﴾ ـ يعني موهوا عليهم ـ فالمنزل على الملكيين جاز أن يكون من القسم الأول وهو اختيار بعض الأصوليين.

السادس: أنه تعالى أنزل علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه وعمل به كان كافراً ومن تعلمه لئلا يعمل به ويجتنبه ويحترز منه وليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمناً كما قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى الله تعالى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني

وهذا الوجه هو اختيار المعتزلة والجواب عن المعارضة، أما عن الأول فيمنع أنهم أرادوا الاعتراض عليه تعالى بل طلباً لتعلم الشر في خلق بني آدم مع صدور الشرور منهم لأن الحكيم إذا علم باشتمال فعل على مفسدة لا يصدر منه ذلك الفعل إلا لحكمة عظيمة ومصلحة تامة تستحقر في الحكمة تلك المفاسد بالنسبة إلى وجود المصالح فأراد الملائكة بسؤالهم أن يعلمهم الله تعالى بتلك الحكمة وأيضاً فإن إيراد الاعتراض لمعرفة الجواب وحل وجه الإشكال والشبهة ليس بقبيح ولا يشتمل على إنكار وأيضاً فإن سؤالهم كان ولا يشتمل على إنكار وأيضاً فإن سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله تعالى فإن العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه ولم يذكروا ذلك عن بني آدم غيبة لهم بل لما كان محل الإشكال في خلق بني آدم إقدامهم على الفساد وسفك الدماء، ومن أراد إيراد السؤال وجب أن يتعرض لمحل الإشكال لا لغيره فلهذا السبب ذكروا في صفات بني آدم هاتين الصفتين قوله أما أن يكون قد علموا ذلك بالوحي أو بالاستنباط قلنا جاز أن يكون بالإلهام وإعارته عليه تعالى على سبيل الاستفادة كما قررنا فلا محذور وعن الثاني أن قوله تعالى: ﴿**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**﴾ لا يدل ذلك على أنهم معذبون لها بل يريد به خزنة النار والمتصرفين في النار والمدبرين لأمرها. وعن الثالث لا نسلم أن إبليس كان من الملائكة لأنه تعالى أخبر عنه في موضع آخر أنه كان من الجن.

وروي في العيون في حديث الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون، وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليحرزوا به عن سحر السحرة ويبطلوا كيدهم وما علما علماً أحداً من ذلك شيئاً إلا قالا له إنما نحن فتنة فلا تكفر فكفر قوم استعمالهم لما أمروا بالاحتراز عنه وجعلوا يفرقون بما يعملون بين المرء وزوجه، قال الله تعالى: ﴿**وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**﴾.

بحث في السحر

قد تقع أفعال خارقة للعادة الجارية للمشاهدة والنقل إلا أن البحث والتنقير يثبت عودتها إلى الأسباب الطبيعية العادية فمعظم هذه الأفعال يتقوى بها أصحابها بالاعتياد والتمرين كأكل السموم وحمل الأثقال والمشي على حبل ممدود في الهواء، وقد درس الحكيم المتأله محمد حسين الطباطبائي في ميزانه هذه الظاهرة دراسة مستفيضة وأفرد لها بحثاً فلسفياً نشير إلى بعض منه.

قوله: وكثير منها ـ أي الأفعال الخارقة ـ تتكي على أسباب طبيعية مخفية على الناس مجهولة لهم كمن يدخل النار ولا يحترق بها من جهة طلاية الطلق ببدنه أو يكتب كتاباً لا خط عليه ولا يقرأه إلا صاحبه وإنما كتب بمائع لا يظهر إلا إذا عرض الكتاب على النار إلى غير ذلك وكثيراً منها يحصل بحركات سريعة تخفي على الحس لسرعتها فلا يرى الحس إلا أنه وقع من غير سبب طبيعي كالخوارق التي يأبى أصحابها الشعبذة فهذه كلها مستندة إلى أسباب عادية مخفية على حسّنا أو غير مقدورة لنا لكن بعض هذه الخوارق لا يحال إلى الأسباب الطبيعية الجارية على العادة كالإخبار عن بعض المغيبات وخاصة ما يقع منها في المستقبل وكأعمال الحب والبغض والعقد والحل والتنويم والتمريض وعقد النوم والإحضار والتحريكات بالإرادة مما يقع من أرباب الرياضات وهي أمور غير قابلة للإنكار شاهدنا بعضاً منها ونقل إلينا بعض آخر نقلاً لا يطعن فيه.

وقوله: والتأمل التام في طرق الرياضات المعطية لهذه الخوارق والتجارب العملي في أعمالهم وإرادتهم يوجب القول بأنها مستندة إلى قوة

الإرادة والاعيان بالتأثير على تشتيت أنواعها فالإرادة تابعة للعلم والإذعان السابق عليه فربما توجد على إطلاقها وربما توجد عند وجود شرائف خاصة ككتابة شيء خاص بمداد خاص في مكان خاص في بعض أعمال الحب والبغض أو نصب المرأة حيال وجه طفل خاص عند إحضار الروح أو قراءة عوذة خاصة إلى غير ذلك، فجميع ذلك شرائط لحصول الإرادة الفاعلة، فالعلم إذا تم علماً قاطعاً أعطى للحواس مشاهدة ما قطع به ويمكنك أن تختبر صحة ذلك بأن تلقن نفسك أن شيئاً كذا أو شخصاً كذا حاضر عندك تشاهده بحاستك ثم تتخيله بحيث لا تشك فيه ولا تلتفت إلى عدمه ولا إلى شيء غيره فإنك تجده أمامك على ما تريد وربما توجد آثار معالجة بعض الأطباء الأمراض المهلكة بتلقين الصحة على المريض ويتبيّن بما مرّ أمور:

أحدها: أن الملاك في هذا التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العادة وأما مطابقة هذا العلم للخارج فغير لازم كما كان يعتقده أصحاب تسخير الكواكب والأرواح المتعلقة بالأجرام الفلكية ويمكن أن يكون من هذا القبيل الملائكة والشياطين الذين يستخرج أصحاب الدعوات والعزايم أسمائهم ويدعون بها على طرق خاصة عندهم وكذلك ما يعتقده أصحاب إحضار الأرواح من حضور الروح فلا دليل لهم على أزيد من حضورها في خيالهم أو حواسهم دون الخارج وإلا لرآه كل من حضر عندهم وللكل حس طبيعي وبه تنحل شبهة أخرى في إحضار روح من هو حي في حال اليقظة مشغول بأمره من غير أن يشعر به الواحد من الإنسان ليس له إلا روح واحدة وبه تنحل أيضاً شبهة أخرى وهي أن الروح جوهر مجرد لا نسبة له إلى زمان ومكان دون زمان ومكان وبه تنحل أيضاً شبهة ثالثة وهي أن الروح الواحدة ربما تحضر عند أحد بغير الصورة التي تحضر بها عند آخر وبه تنحل أيضاً شبهة رابعة وهي أن الأرواح ربما تكذب عند الإحضار في أخبارها وربما يكذّب بعضها بعضاً، فالجواب عن الجميع أن الروح إنما تحضر في مشاعر

الشخص المحضر لا في الخارج منها على حد ما نحس بالأشياء المادية الطبيعية.

ثانيها: أن صاحب هذه الإرادة المؤثرة ربما يعتمد في إرادته على قوة نفسه وثبات آنيته كغالب أصحاب الرياضات في إرادتهم فتكون لا محالة محدودة القوة مقيدة الأثر عند المريد في الخارج وربما يعتمد فيه على ربه كالأنبياء والأطباء من أصحاب العبودية لله وأرباب اليقين بالله فهم لا يريدون شيئاً إلا لربهم وبربهم وهذه إرادة طاهرة لا استغلال للنفس التي تطلع هذه الإرادة منها بوجه ولم تتلون بشيء من ألوان الميول النفسانية ولا اتكاء لها إلا على الحق فهي إرادة ربانية غير محدودة ولا مقيدة. والقسم الثاني إن أثرت في مقام التحدي كغالب ما ينقل من الأنبياء سميت آية معجزة وإن تحققت في غير مقام التحدي سميت كرامة أو استجابة دعوة إن كانت مع دعاء. والقسم الأول إن كان بالاستخبار والاستنصار من جن أو روح أو نحوه سمي كهانة وإن كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك سمي سحراً.

ثالثها: إن الأمر حيث كان دائراً مدار الإرادة في قوتها وهي على مراتب من القوة والضعف أمكن أن يبطل بعضها إذا كانت مختلفة في مراتب القوة وهو مشهود في أعمال التنويم والإحضار.

أقول: إن غرائب التأثير كثيرة ومتشعبة والبحث فيها يستدعي إطالة لا غرض فيها ولا سيما تقسيمها وتصنيفها والبحث في علومها والتنقير في أسرارها والعلوم الباحثة في هذه الغرائب كثيرة نذكر منها ما يفيد البحث منها.

علم الكيمياء:

وهو علم يعرف به تدبير الإجسام المعدنية وتحويلها من صورة إلى أخرى وتبديل قواها بعضها ببعض لتوليد خاص بقلبها من كونها الطبيعي إلى

كونها التركيبي ليظهر منها شخص كامل تكويني وموضوعه جسد في جسد وهو المعدني المتطرق وهو نوع واحد تندرج تحته أصناف الفلزات المتمايزة بأعراض مفارقة والغرض منه سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواص غيرها وإفادة بعضها خواص بعض ليتوصل بها إلى إيجاد جوهر ثمين من هذه الأجساد كالذهب والفضة والأحجار الكريمة ومنها:

علم الليمياء:

وهو علم الطلسمات ويعرف فيه تخريج القوى السماوية العالية الفاعلة بقوى بعض الأجرام الأرضية السافلة المنفعلة لتتألف من ذلك قوة لإحداث أمر غريب في عالم الأرض وموضوعه روح في جسد وفي بحث تأثير القوى العلوية في القوى السفلية وانفعال الأخيرة بها وما يقع منها دون فلك القمر من مخلوقات فقد تعرض اخوان الصفا وخلّان الوفا إلى هذا المعنى في الفصل الثامن والأربعون من الرسالة الجامعة قولهم:

اعلم أيها الأخ البار أيدك الله وإيانا بروح منه أن القمر ذو وجهين طرف يستمد وطرف يمد فيفيض بطرفه على عالم الكون والفساد وهو متوسط بين ثمان عوالم روحانية وثمان جسمانية فيستمد من العالم الروحاني ويفيض على العالم الجسماني.. إلى أن قالوا في جملة البحث.. وأن الوقوف عليه والوصول إليه معرفة المبدأ والمنقلب وغاية الطلب والغرض الأقصى في رسالة مسقط النطفة، واعلم أن الغرض هو الإخبار عن حالة النفوس البسيطة قبل تشخصها واتصالها بالأجسام الجزئية المحصورة الحدود بواسطة الألوان والأشكال والأعراض الآخرون والمكوث في الرحم هذه المدة لتتميم البنية وتكميل الصورة وهو الكمال الجسماني الأول لاستكمال الآلة وإعداد الأداة وأستواء رباط النفس بالهيكل واتحادها بقواه وانبساطها في البنية وتمكنها من الجملة لتحصل كاملة الآلة مستعدة لقبول ما يلقى إليها ويتصل بها من العلوم

العقلية، فإذا كان الشهر الرابع من مسقط النطفة صار التدبير للشمس واستولت على المضغة قوى روحانياتها ونفخ فيها روح الحياة وسرت فيها النفس الحيوانية وذلك لأن الشمس رئيس الكواكب في الفلك ونفسها هي روح العالم بأسره وهي المستولية على الكائنات التي دون فلك القمر وبالخاصة على مواليد الإنسان وذلك أن جرمها في العالم بمنزلة جرم القلب في البدن وسائر أجرام الكواكب والأفلاك بمنزلة أعضاء البدن ومفاصل الجسد وسريان قوى روحانياتها في العالم كسريان الحرارة الغريزية المنبثة من القلب إلى جميع أعضاء البدن كذا قولهم في الفصل التاسع والأربعون من الرسالة الجامعة (جامعة الجامعة)[1].

قولهم اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه: أن الجنين لا يحصل له في بطن أمه سوى نفس نامية ونفس حيوانية حسّية ونفس ناطقة بعد الولادة، وأن الشهر الأول يتولاه زحل والشهر الثاني يتولاه المشتري والثالث المريخ والرابع الشمس والخامس الزهرة والسادس عطارد والسابع القمر، فإن ظهر المولود في الشهر السابع عاش ثم في الثامن يعود التبرير لزحل فيموت المولود إذا ظهر، وفي التاسع عند دخول الشمس البيت التاسع في موضعها يوم مسقط النطفة حيث تكون الحركة والسفر والنقلة والتصوير والوضع والولادة، فاعلم ذلك أيها الأخ أنه ما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فإن صورة هذه الكائنات عنها موجودة في الهيولى ومنها جميع الحادثات في هذا العالم ومتى وقف الفلك عن الدوران فسد النظام وبطل عالم الكون والفساد وقد قيل إن ذلك كائن لا محالة إذا بلغت النفس الكلية أقصى غرضها لأن الغرض هو غاية يسبق إليها الوهم. انتهى. ومنها:

---

(١) رسالة جامعة الجامعة، والرسالة الجامعة من تأليف الشرفاء اخوان الصفا وخلان الوفا ـ الفصل التاسع والأربعين من الرسالة الجامعة.

كونها التركيبي ليظهر منها شخص كامل تكويني وموضوعه جسد في جسد وهو المعدني المتطرق وهو نوع واحد تندرج تحته أصناف الفلزات المتمايزة بأعراض مفارقة والغرض منه سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواص غيرها وإفادة بعضها خواص بعض ليتوصل بها إلى إيجاد جوهر ثمين من هذه الأجساد كالذهب والفضة والأحجار الكريمة ومنها:

علم الليمياء:

وهو علم الطلسمات ويعرف فيه تخريج القوى السماوية العالية الفاعلة بقوى بعض الأجرام الأرضية السافلة المنفعلة لتتألف من ذلك قوة لإحداث أمر غريب في عالم الأرض وموضوعه روح في جسد وفي بحث تأثير القوى العلوية في القوى السفلية وانفعال الأخيرة بها وما يقع منها دون فلك القمر من مخلوقات فقد تعرض اخوان الصفا وخلّان الوفا إلى هذا المعنى في الفصل الثامن والأربعون من الرسالة الجامعة قولهم:

اعلم أيها الأخ البار أيدك الله وإيانا بروح منه أن القمر ذو وجهين طرف يستمد وطرف يمد فيفيض بطرفه على عالم الكون والفساد وهو متوسط بين ثمان عوالم روحانية وثمان جسمانية فيستمد من العالم الروحاني ويفيض على العالم الجسماني.. إلى أن قالوا في جملة البحث.. وأن الوقوف عليه والوصول إليه معرفة المبدأ والمنقلب وغاية الطلب والغرض الأقصى في رسالة مسقط النطفة، واعلم أن الغرض هو الإخبار عن حالة النفوس البسيطة قبل تشخصها واتصالها بالأجسام الجزئية المحصورة الحدود بواسطة الألوان والأشكال والأعراض الآخرون والمكوث في الرحم هذه المدة لتتميم البنية وتكميل الصورة وهو الكمال الجسماني الأول لاستكمال الآلة وإعداد الأداة وأستواء رباط النفس بالهيكل واتحادها بقواه وانبساطها في البنية وتمكنها من الجملة لتحصل كاملة الآلة مستعدة لقبول ما يلقى إليها ويتصل بها من العلوم

العقلية، فإذا كان الشهر الرابع من مسقط النطفة صار التدبير للشمس واستولت على المضغة قوى روحانياتها ونفخ فيها روح الحياة وسرت فيها النفس الحيوانية وذلك لأن الشمس رئيس الكواكب في الفلك ونفسها هي روح العالم بأسره وهي المستولية على الكائنات التي دون فلك القمر وبالخاصة على مواليد الإنسان وذلك أن جرمها في العالم بمنزلة جرم القلب في البدن وسائر أجرام الكواكب والأفلاك بمنزلة أعضاء البدن ومفاصل الجسد وسريان قوى روحانياتها في العالم كسريان الحرارة الغريزية المنبثة من القلب إلى جميع أعضاء البدن كذا قولهم في الفصل التاسع والأربعون من الرسالة الجامعة (جامعة الجامعة)[1].

قولهم اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه: أن الجنين لا يحصل له في بطن أمه سوى نفس نامية ونفس حيوانية حسّية ونفس ناطقة بعد الولادة، وأن الشهر الأول يتولاه زحل والشهر الثاني يتولاه المشتري والثالث المريخ والرابع الشمس والخامس الزهرة والسادس عطارد والسابع القمر، فإن ظهر المولود في الشهر السابع عاش ثم في الثامن يعود التبرير لزحل فيموت المولود إذا ظهر، وفي التاسع عند دخول الشمس البيت التاسع في موضعها يوم مسقط النطفة حيث تكون الحركة والسفر والنقلة والتصوير والوضع والولادة، فاعلم ذلك أيها الأخ أنه ما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فإن صورة هذه الكائنات عنها موجودة في الهيولى ومنها جميع الحادثات في هذا العالم ومتى وقف الفلك عن الدوران فسد النظام وبطل عالم الكون والفساد وقد قيل إن ذلك كائن لا محالة إذا بلغت النفس الكلية أقصى غرضها لأن الغرض هو غاية يسبق إليها الوهم. انتهى. ومنها:

---

(١) رسالة جامعة الجامعة، والرسالة الجامعة من تأليف الشرفاء اخوان الصفا وخلان الوفا ـ الفصل التاسع والأربعين من الرسالة الجامعة.

علم الهيمياء:

وهو علم يعرف فيه أحوال السيارات والفواعل العلوية في القوابل السفلية وتسخير الروحانيات والعزائم والدعوات ومعرفة استخراج الأعوان وسائر التسخيرات، ومنها.

علم السيمياء:

وهو علم الحيل السحرية ويقال له علم الخيالات وهو علم يقتدر بها على إرائة مثالات خيالية لا حقيقية لها في الخارج وموضوعه روح في روح، منها.

علم الريمياء:

وهو علم النيرنجات والنيرنج معرب «نورنك» ويقال له علم الشعوذات ويعرف فيه إظهار خواص الامتزاجات ونحوها والغرض منه تخريج القوى الكامنة في جواهر العالم الأرضي بعضها ببعض لتحدث عنها فعل غريب وقد يلحق علم الأعداد والأوفاق وهو العلم الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة في جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك على ترتيب مخصوص ومنها الخافية وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء واستخراج أسماء الملائكة أو الشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب، انتهى.

القول في العصمة

رواية شيخنا الصدوق رحمه الله في أماليه.

قال: حدثنا أحمد بن زياد قال حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال حدثنا أبو الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً، فقام إليه عمر بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال فما تعمل في قول الله عز وجل **﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾** وقوله عز وجل: **﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه﴾** وقوله تعالى في يوسف: **﴿ولقد همت به وهمَّ بها﴾** وقوله عز وجل في داود: **﴿وظن داود إنما فتناه﴾** وقوله في نبيه محمد: **﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾** فقال مولانا الرضا عليه السلام: ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله عز وجل برأيك فإن الله عز وجل يقول: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾**.

أما قوله عز وجل في آدم عليه السلام **﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾** فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عز وجل فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عُصم بقوله عز وجل: **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾** وإما قوله عز وجل **﴿وذا**

النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه﴾ إنما ظن أن الله عز وجل لا يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قوله عز وجل ﴿وأما إذا ما ابتلٰيه ربه فقدر عليه رزقه﴾ أي ضيّق عليه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر، وأما قوله عز وجل في يوسف: ﴿ولقد همت به وهمَّ بها﴾ فإنها همت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله كذلك لنصرف عنه السوء يعني القتل والفحشاء يعني الزنا، وأما داود فما يقولون من قبلكم فيه فقال علي بن الجهم يقولون إن داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان فاطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها، وكان اوريا قد أخرجه في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدم اوريا أمام الحرب فقدم فظفر اوريا بالمشركين وصعب ذلك على داود فكتب الثانية أن قدمه أمام التابوت فقتل اوريا رحمه الله وتزوج داود بامرأته.

قال فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل فقال يا بن رسول الله فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب فجعل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول ما تقول فكان هذا خطيئة حكمه لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع قول الله عز وجل يقول:

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ إلى آخر الآية. فقلت يا بن رسول الله فما قصته مع اوريا؟ فقال الرضا عليه السلام إن المرأة في أيام داود إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً وأول من أباح الله عز وجل له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام فذلك الذي شق على اوريا.

وأما محمد نبيه صلى الله عليه وآله وقول الله عز وجل: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين وإحدى من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبده له لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين قال الله عز وجل ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ في نفسك وأن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة من علي عليه السلام قال فبكى علي بن الجهم وقال يا بن رسول الله أنا تائب إلى الله عز وجل أن أنطق في أنبياء الله بعد يومي هذا إلا بما ذكرته.

وروى شيخنا الصدوق قال حدثنا محمد بن علي قال حدثنا علي بن إبراهيم ابن هاشم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير قال ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له فما صفة العصمة فيه وبأي شيء تعرف؟ قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منفية عنه لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص، ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من هو فوقه وليس أحد فكيف يحسد من هو دونه، ولا يجوز أن

يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل، ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة كما ننظر إلى الدنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح وطعاماً طيباً لطعام مر وثوباً ليناً لثوب خشن ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له نأتي على بعض منها: ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعيونني بورع واجتهاد وعفّة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من أرضها شبراً ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّي هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى أو أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرقّ جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام مقالة تشير إلى مكانته ومنزلته وأن علياً عليه السلام نفسُ النبي صلى الله عليه وآله بدليل آية المباهلة ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ الآية، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله معصوماً كذا كان علي عليه السلام معصوماً بدليل المناظرة وهو المطلوب.

وروى شيخنا الصدوق قدس سره في أماليه قال حدثنا محمد بن عمر البغدادي الحافظ، قال حدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا محمد بن ثواب قال حدثنا إسحاق بن منصور عن كادح يعني أبي جعفر البجلي عن عبد الله بن لهيعة عن عبد الرحمن يعني ابن زياد عن سلمة بن يسار عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما قدم علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح خيبر قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى للمسيح بن مريم لقلت فيك اليوم قولاً لا تمر بملأ إلا أخذوا التراب من تحت رجليك ومن فضل طهورك يستشفوا به ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك وأنك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وأنك تبرأ ذمتي وتقاتل على سنتي وأنك غداً على الحوض خليفتي وأنك أول من يرد الحوض وأنك أول من يكسى معي وأنك أول داخل الجنة من أمتي وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم ويكونوا غداً في الجنة جيراني وأن حربك حربي وسلمك سلمي وأن سرك سري وعلانيتك علانيتي وأن سريرة صدرك كسريرتي وأن ولدك ولدي وأنك تنجز عداتي وأن الحق معك وأن الحق على لسانك وقلبك وبين عينيك الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وأنه لن يرد عليّ الحوض مبغض لك ولن يغيب عنه محب لك حتى يرد الحوض معي. قال فخرّ علي عليه السلام ساجداً ثم قال الحمد لله الذي أنعم علي بالإسلام وعلّمني القرآن وحببني إلى خير البرية خاتم النبيين وسيد المرسلين إحساناً منه وفضلاً منه علي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعدي، انتهى.

الخلاف في مدرك وجوب الخلافة

اعلم أن الناس اتفقوا على أن الإمام لا يصير إماماً بنفس الصلاحية للإمامة بل لا بد من أمر متجدد وإلا لزم أحد أمرين: إما المنع من مشاركة اثنين في الصلاحية لها وذلك بعيد قطعاً أو كون إمامين في حالة واحدة وهو مجمع على خلافه ثم اتفقت الأمة بعد ذلك على أن نص النبي ﷺ على شخص بأنه الإمام طريق إلى كونه أمام وكذلك الإمام إذا نص على إنسان بعينه على أنه إمام بعده ثم اختلفوا في أنه هل غير النص طريق إليها أم لا؟.

قالت الإمامية: لا طريق إليها إلا النص بقول النبي ﷺ أو الإمام المعلومة إمامته بالنص أو بخلق المعجز على يده وقال جماعة من المعتزلة والزيدية الصالحية[1] والبترية[2] وأصحاب الحديث والخوارج الاختيار طريق إلى ثبوت الإمامة كالنص وهو مذهب الأشاعرة والسليمانية[3] وجميع أهل السنة والجماعة. وقالت الزيدية غير الصالحية والبترية الدعوة طريق إلى ثبوتها والدعوة هو أن يباين الظَلَمة من أهل الإمامة ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ويدعو إلى اتباعه فإنه يصير بذلك إماماً عندهم ثم اختلف القائلون بالاختيار في اشتراط الإجماع فذهب الأكثر إليه خلافاً للجويني فإنه جوّز في

---

(١) وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي الهمداني الكوفي وكان من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ثم خالف بعد حين طريقته.

(٢) وهم أصحاب كثير النوي وجماعة آخرين على شاكلته وكان أبتر اليد وقيل إنما سموا البترية نسبة إليه وقد يسمون الأبترية، وقد جاء لعنه وجماعة معه على لسان الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) وهم من فرق الزيدية أيضاً نسبة إلى سليمان بن جرير.

إرشاده انعقاد الإمامة لواحد وإن لم يجتمع عليه أهل الحل والعقد واستدل بأن فلان انتدب لإمضاء الأحكام الإسلامية ولم يتأن إلى انتشار إيثار الاختيار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة ولم يثبت عدد معدود وحد محدود جاز أن تنعقد الإمامة بعقد واحد من أهل الحل والعقد مثل ما قال أصحابنا ونقل عن أصحابه منع عقد الإمامة لشخصين في طريق العالم فإن اتفق عقد عاقدين بالإمامة لشخصين كان بمنزلة تزويج امرأة من اثنين ثم قال: والذي عندي أن عقد الإمامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمحال غير جائز إجماعاً وأن بعد المدد فللاحتمال في ذلك وهو خارج عن القطع وإذا انعقدت الإمامة لشخص لم يجز خلعه من غير حدث إجماعاً وإن فسق وخرج عن سمة الأئمة بفسقه فانخلاعه من غير خلع ممكن وإن لم يحكم بانخلاعه فجواز خلعه أو امتناع ذلك وتقويم أوده ممكن ما وجدنا إلى التقويم سبيلاً كل ذلك من المجتهدات المحتملات عندنا وخلع الإمام نفسه من غير سبب محتمل والحق مذهب الإمامية والذي يدل على حقيقته ما ذكره العلامة الحلي قدس الله سره ونوّر ضريحه في الألفين وجوهاً في إبطال مذهب المخالف.

الأول: أن الإمامة عندنا من جملة ما هو أعظم أركان الدين وأن الإيمان لا يثبت بدونها وعندهم أنها ليست من أركان الدين بل هي من فروع الدين لكنها من المسائل الجليلة والمطالب العظيمة فكيف يجوز استناد مثل هذا الحكم إلى اختيار المطلق وإرادته ولو جاز ذلك لجاز فيما هو أدون منه من أحكام الفروع.

الوجه الثاني: أن الشارع نص على عدم الخيرة فقال الله تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ فنقول إما أن يكون الله تعالى قضى بترك الإمامة فلا يجوز للأمة

الخيرة بإثباتها[1]، وإما أن يكون قضى بها فتكون كغيرها من أحكام الشريعة التي نص الله تعالى عليها ولم يهملها وهو المطلوب.

الوجه الثالث: القول بالاختيار ونصب الإمام بقول المكلفين تقديم بين يدي الله تعالى ورسوله وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال عز من قائل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾.

الوجه الرابع: أن الله سبحانه وتعالى في غاية الرحمة والشفقة على العباد والرأفة بهم فكيف يهمل الله تعالى أمرنصب الرئيس مع شدة الحاجة إليه[2] ووقوع النزاع العظيم مع تركه أو مع استناده إلى اختيار المكلفين فإن كل واحد منهم يختار رئيساً وذلك فتح باب عظيم للفساد ومناف للحكمة الإلهية[3] تعالى الله عن ذلك.

الوجه الخامس: أن الله تعالى قد بيّن جميع أحكام الشريعة أجلها وأدونها حتى بين الله تعالى كيفيات الأكل والشرب وما ينبغي اعتماده في دخول الخلاء والخروج منه والعلامات الجليلة والحقيرة فكيف يهمل مثل

---

(١) بل حتى لو لم نعلم بقضائه تعالى بترك الإمامة وإنما علمنا سكوته عنها فإن السكوت أيضاً يمنع الأمة من الخيرة بإثباتها لأن سكوته تعالى إن كان لعدم وجوبها فكيف توجبها الأمة وإن كان سكوته مع أنها واجبة عليه فهو وإن كان محالاً إلا أن الأمة أجدر بالسكوت فيما سكت عنه العليم اللطيف سبحانه أفهل ترى أن الأمة أعلم وأدرى بالواجب بالصالح.

(٢) ولو فرض محالاً أنه تعالى أهمله مع شدة الحاجة إليه لكانت الأمة أحق بالإهمال فلماذا تكلفت اختياره فإن قلت إنما أهمله رأفته بالأمة يقعوا في محذور مخالفته ولئلا يقع الهرج والمرج بالنص عليه قلنا إذا كان في نصبه محاذير لم تكن في نصبه مصلحة أو تكون المفسدة أغلب فلا يجب عليه نصبه فتكون الأمة في فسحة من هذا الواجب فهي بالإهمال أجدر فلا وجوب عليها لهذه المحاذير.

(٣) فإن حكمته تعالى في توحيد الزعيم جلية لأن الأمة تكون جميعها متمسكة بحبل واحد ويكون قائدها واحداً ودليلها واحداً وفي ذلك من الفوائد دنيا ودين اً فلا يخفى على أحد فيما إذا كان الزعيم جامعاً للشروط.

هذا الأصل العظيم ويجعل أمره إلى اختيار المكلفين مع علمه تعالى باختلافهم وتباين آرائهم وتنافر طباعهم.

الوجه السادس: القول باستناد الإمامة إلى الاختيار مناقض للغرض ومنافٍ للحكمة لأن القصد من نصب الإمام امتثال الخلق لأوامره ونواهيه والانقياد إلى طاعته وسكون ثائرة الفتن وإزالة الهرج والمرج وإبطال التغلب والمقاهرة وإنما يتم هذا الغرض ويكمل المقصود لو كان الناصب للإمام عين المكلفين لأنه لو إستند إليهم لاختار كل منهم من يميل طبعه إليه وفي ذلك ثورات وفتن عظيمة ووقوع هرج ومرج بين الناس فيكون نصب الإمام مناقضاً للغرض من نصبه وهو باطل[1].

الوجه السابع: وجوب طاعة الإمام حكم عظيم من أحكام الدين فلو جاز استناده إلى المكلفين لجاز استناد جميع الأحكام إليهم وذلك يستلزم الاستغناء عن بعثة الأنبياء لأنهم إنما بعثوا لنصب الأحكام فإذا كان أصلها مستغنى عن النبي ﷺ كان غيره أولى[2].

---

(١) ولكن لو فرض تسالمهم على رجل واحد واتفاق طباعهم وميولهم إليه لم تكن هناك فتن ولا هرج ولا مرج فلا يناقض نصبه الغرض حينئذٍ، فالأحرى في الجواب أن يقال إن الحكمة الإلهية في توحيد الإمام جمعهم على الحق وصدّهم عن الباطل وحفظ الشريعة عن التلاعب والقدرة على تسيير نظامها وتمشية أحكامها إلى ما سوى ذلك من وظائف الإمام وهذا لا يكون في سائر البشر مهما علت مراتبهم وسمت فضائلهم فلا يقوم بذلك غير المعصوم فإن غيره يجوز عليه الخطأ فلا يحصل به الغرض فلا يؤمن أن يأمر أو يعمل بما يخالف الشريعة فكيف تكون من الذين طاعته وموافقته وإن خالف الدين فنحن إن خالفناه وافقنا الدين ولكن خالفنا الأمر بطاعته إن صح أننا مأمورون بطاعته وإن وافقنا خالف الدين ولكن وافقنا الأمر بطاعته ونحن في محذور على التقديرين وأين هذا مما لو كان الإمام معصوماً.

(٢) وقد يدفع هذا الإشكال بأن الواجب على الأمة حكم واحد وهو نصبه الإمام وهذا لا يستلزم الاستغناء عن بعثة الأنبياء عليهم السلام لأنهم يأتون بشرائع ذات أحكام لا تحصى تسير البشر تسييراً صحيحاً لا حيف فيه ولا إجحاف وأنى للبشر في علمها =

الوجه الثامن: إما أن يشترط في الاختيار اتفاق الأمة عليه أولاً والأول باطل لعدم القائل به على ما نقله الجويني وأثبت القاضي عبد الجبار[1] إمامة أبي بكر لأن بايعه واحد وهو عمر برضى أربعة أبي عبيدة وسالم مولى حذيفة وأسد بن حصين وبشر بن سعد ولأنه من المعلوم بالضرورة امتناع الكل في لحظة واحدة على اختيار شخص واحد ثم من المعلوم امتناع معرفة الخلق كلهم لشخص واحد ومعرفة اجتماع شرائط الإمامة فيه لأنا نعلم تباعد أمكنة المكلفين وتنائي مواضعهم ومثل هؤلاء يمتنع اتفاقهم على ذلك[2].

وأما الثاني فأما أن يشترط فيه انعقاد عدد معين أو لا والأول باطل لعدم

= ومداركها بوضع شرائع صحيحة تغني عن الشرائع الإلهية فمن ثم يجوز أن يستند إلى الأمة نصب الإمام ولا تستغني عن بعثة الأنبياء عليهم السلام.

(١) المعتزلي ابن أحمد ابن عبد الجبار الهمداني الأسدآبادي شيخ المعتزلة في عصره استدعاه الصاحب بن عباد إلى الري وبقي فيها مواظباً على التدريس إلى أن توفي عام ٤١٥هـ.

(٢) وقد يدفع هذا الإشكال أولاً: بأن اشتراط الاتفاق لحظة واحدة لا ملزم للقول به بل نقول بجواز اتفاقهم ولو تدريجاً وبعد أمد تصبح الأمة مجمعة عليه وأما أن اتفاقهم لا يكون فمدفوع لجواز وقوعه ويكفي في الفرض الجواز.

وثانياً: لم يجوز الاتفاق لحظة واحدة وذلك فيما لو استناب أهل كل صقع رجلاً يختار عنهم واتفق النواب كلهم على واحد لحظة واحدة.

وثالثاً: بأن اتفاق الجميع لا تشترط فيه معرفة الجميع بل يكفي في معرفة أهل الصلاح والعلم والناس تتبعهم حسن ظن بهم فالأحرى إذن أن يقال في الجواب بأن الاتفاق لو فرض حصوله دفعة أو تدريجاً وإن حصل عن معرفة الجميع أو معرفة أهل العلم والصلاح فلا يغني ذلك في فائدة الإمام وحكمة نصبه فإن ذلك لا يجعله حافظاً للشريعة مأموناً من الخطأ عمداً وسهواً ولربما تعتقد بوقوع المخالفة للشريعة وهو فيما لو تعاقب إمامان وأفتى كل واحد منهما بما يخالف الآخر في الحدود أو المواريث أو سواهما فإنا نقطع بأن أحدهما خالف ما جاء به الرسول ﷺ من الدين بل يجوز عليهما معاً المخالفة وإن ما جاء به غير ما أفتيا فيه فكيف نصب في هذه الأمة أحكام الشريعة وكيف يرتضي اللطيف تعالى إمامة مثل هؤلاء وللفرار منهما مندوحة.

الدليل عليه فإنه لا عدد أولى من عدد ومن المعلوم أنه لو نقص عن العدد المشترط واحد لم يؤثر في وجوب طاعة المنصوب كما لو زاد لم يؤثر زيادته وأيضاً لو كان قول بعض المكلفين حجة على أنفسهم وعلى غيرهم بحيث يحرم بعد ذلك مخالفته ويجب اتباعه وأي دليل يدل على ذلك فإن العقل غير دال عليه ولا وجد في النقل عن النبي ما يدل عليه والثاني أيضاً باطل لأنه إذا لم يشترط العدد جاز أن ينصب شخص واحد إماماً ويجب على الخلق كلهم متابعته كما اختاره الجويني وهو معلوم البطلان ولأنه لو جاز ذلك لجاز أن ينصب الإنسان نفسه إماماً ويأمر الخلق بوجوب اتباعه ولأنه لو كان كذلك لأدى إلى وقوع الفتن وتكاثر الهرج والمرج وقيام النزاع ولما احتيج إلى المبايعة والاختيار عليه بيان الشرطية أن المقتضى لوجوب قبول قول الواحد في حق الغير ثابت في حق نفسه لأنه مسلم بشرائط الاجتهاد نص على من يستحق الرياسة والإمامة واختياره لذلك فوجب انعقاد قوله كما في حق الغير إذ لا يشترط تغاير العاقد والمعقود له بل متى كان العاقد محلاً قابلاً للفعل والمعقود محلاً قابلاً للانفعال وجب وقوع الأثر[1].

أقول أن وجوب الخلافة ينفي تفويض الاختيار إلى الناس فإنه يؤدي إلى الفتن والتنازع ووقوع الهرج والمرج بين الأمة وإثارة الفساد لأنّ الفسّاد مختلفوا المذاهب متباينو الآراء والاعتقادات فكل صاحب مذهب يختار إماماً من أهل نحلته وعقيدته ولا يمكن غيره ممن ليس من أهل نحلته أن يختار الإمام فالمعتزلي يريد إماماً معتزلياً وكذا الجبري والخارجي وغيرهم فإذا

---

(١) ولو سلم الاكتفاء بأي عدد كان فبايع كل جماعة من كل بلد رجلاً منهم على الإمامة دفعة واحدة فمن الإمام من بين هؤلاء وليس أحدهم أولى من الآخر، وقد يكون هؤلاء الأئمة بعدد العشرات أو المئات أفيجوز عليه تعالى أن يمضي مثل هذا الوجوب أو يرتضي للأمة مثل هذا النصب وأين الحكمة الإلهية في نصب الإمام وحفظه للشريعة وإصلاح الأمة فمن هو الحافظ المصلح من بين هؤلاء؟

اختار كل واحد منهم إماماً من أهل نحلته نازعتهم الفرقة الأخرى وذلك هو الهرج العظيم وقد كان في شفقة الرسول ﷺ بأمته ورحمة الله تعالى على عباده ما يزيل ذلك مع أنه تعالى نص على أحكام كثيرة لا يبلغ بعضها بعض نفع الإمامة فكيف يليق من رحمة الله تعالى ومن شفقة رسوله إهمال الرعايا وتركهم همجاً يموج بعضهم في بعض هذا مناف لعنايته تعالى ولا يرتضيه عاقل لنفسه مذهباً ـ إن وجوب الخلافة تفويض من الله فهو خصصه في ذرية إبراهيم خاصة والرسول ﷺ من ذرية إبراهيم عليه السلام ومن قبل إبراهيم نوح عليه السلام وذريته ويستحيل حصول التخصيص من غير مخصص والمخصص هو الإرادة الإلهية.

روى في تفسير العياشي عن الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال قلت له أخبرني عن أمة محمد ﷺ من هم قال أمة محمد ﷺ بنو هاشم خاصة قلت فما الحجة في أمة محمد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم قال قول الله تعالى ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾ فلما أجاب إبراهيم وإسماعيل وجعل من ذريتهما أمة مسلمة وبعث فيها رسولاً منهم يعني من تلك الأمة يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ورد في دعوته الأولى دعوته الأخرى فسئل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصح أمره فيهم ولا يتبعوا غيرهم فقال ﴿**واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام رب أنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾ ففي هذا دلالة على أنه لا يكون الأئمة والأمة المسلمة التي بعث فيها محمداً إلا من ذرية إبراهيم لقوله أجنبني وبني أن نعبد الأصنام انتهى.

القول في كيفية الوجوب

والحق عندنا أن وجوب نصب الإمام عام في كل وقت وخالف في ذلك فريقان أحدهما أبو بكر الأصم[1] وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن وجوبه مخصوص بزمان الخوف وظهور الفتن ولا يجب مع الأمن وإنصاف الناس بعضهم من بعض لعدم الحاجة إليه والفريق الثاني الغوطي[2] واتباعهم فإنهم ذهبوا إلى عدم وجوبه مع عدم الفتن فإنه ربما كان نصبه سبباً لزيادة الفتن واستنكافهم عنه وإنما يجب عند العدل والأمن إذ هو أقرب إلى شعائر الإسلام لنا ودلالة الأدلة الدالة على وجوبه على عمومها إذ مع الإنصاف والأمن يجوز الخطأ ويحتاج إلى حفظ الشرع وإقامة الحدود فيجب الإمام ومع ظهور الفتن الخطأ واقع فالمكلف إلى اللطف يكون أحوج[3].

---

(١) أحد رؤساء المعتزلة وأهل المقالات فيهم.

(٢) هشام بن عمر الغوطي وكان من أرباب المقالات وله فئة واتباع وكان في عصر المأمون.

(٣) إن الذي أوقع هذين الفريقين في الخطأ زعمهم أن حاجة الناس إلى الإمام محدودة وفاتهم أن في الناس حاجة دائمة إلى الإمام إذ لا يراد من الإمام صد الناس عن الفتن والفساد فحسب بل يراد منه أيضاً أن يدل الناس على الهدى ويعلمهم شرائع الإسلام كما جاء بها صاحب الشريعة ويحفظ الشريعة عن التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان إلى غير ذلك ومتى تحصل الأمة على ذلك بدون إمام معصوم مع ما هم عليه من الجهل بالشريعة والدين والخطأ عمداً أو سهواً.

القول في الوجوب

في ثلاثة أقوال: **أحدها** أنه واجب بالعقل لا بالأوامر السمعية[1] وهو مذهب الإمامية والإسماعيلية **وثانيها** السمعي القول بالوجوب السمعي وهو مذهب الأشاعرة **وثالثها** القول بالوجوب عقلاً وسمعاً وهو مذهب الجاحظ[2] والكعبي[3] وأبي الحسين البصري[4] وجماعة من المعتزلة، لنا أن الوجوب هنا على الله تعالى لما يأتي فيستحيل أن يكون الوجوب سمعياً[5] ولأنه لطف في الواجبات العقلية فيقدم عليها والشرع متأخرٌ عنها فلو وجب بالشرع دار ولأنها غير موقوفة على الشرع واللطف فيها لذلك والواجبات الشرعية موقوفة على الشرع ولأنه لو وجب بالشرع لكان تعيينه أما من الله تعالى أو من المكلفين.

---

(١) لأن الأوامر السمعية لا حجية فيها وإنما القصد أن الوجوب أولاً وبالذات مستفاد من حكم العقل قبل ورود الشرع به وإنما أمر الشرع إرشاد إلى حكم العقل فإن الشرع إنما عرفناه من العقل قبل أن يصبح شرعاً نافذاً لحكم ما في الأمر.

(٢) أبو عثمان بن بحر الجاحظ الشهير كان مائلاً إلى النصب وله كتب حجّة وكان قبيح المنظر أصابه الفالج وبقي مفلوجاً إلى أن مات عام ٢٥٥هـ.

(٣) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الباغي الشهير كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لها الكعبية توفي عام ٤٣٦هـ.

(٤) محمد بن علي الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة وهو أحد أئمتهم الأعلام وله تصانيف توفي عام ٤٣٦هـ.

(٥) لأن الوجوب إذا ثبت عليه تعالى كان قبل أن يأتي السمع نعم يكون السمع مرشداً إلى ذلك الوجوب العقلي كما أشرنا إليه قريباً.

والأول: باطل على هذا التقدير إجماعاً أما عندنا فلعدم الوجوب شرعاً بل عقلاً وأما عند الباقين فلعدم تعيين الله تعالى إياه.

والثاني: محال أيضاً لاستلزامه الترجيح من غير مرجح أو تكليف ما لا يطاق أو خرق الإجماع أو اجتماع الأضداد أو عدم نصب الإمام أو انتفاء فائدته والكل محال أما الملازمة فلأنه لو اختار قوم إماماً وآخرون آخر مع تساويهما في الصفات فأما أن يكون أحدهما بعينه هو الإمام أو لا يكون أحدهما أو يكون كل واحد منهما إماماً والأول يستلزم الترجيح بلا مرجح والثاني يستلزم تكليف ما لا يطاق[1] وخرق الإجماع[2] وانتفاء فائدته[3].

والثالث: يستلزم اشتراط نصب الإمام باتفاق الكل وقبله لا يجب وإلا لزم تكليف ما لا يطاق لكن اتفاقهم على واحد مع اختلاف الأهواء وتشتت الآراء وما بينهم من العداوة والشحناء لا يمكن.

والرابع: يستلزم اجتماع الضدين أو النقيضين لأنه إذا أمر كل بضد أمر الآخر فإن وجب طاعتهما اجتمع الضدان وإن لم تجب طاعة واحد منهما مع كونه إماماً تجب طاعته اجتمع النقيضان وانتفت فائدته وإن وجب طاعة واحد منهما لزم الترجيح بلا مرجح وكان هو الإمام واجتمع النقيضان أيضاً ولأنه[4] من الواجبات أيضاً والواجبات إنما تتم بالإمام أو بالإجماع فيدور أو

---

(١) وذلك لأن المفروض وجوب معرفة الإمام وطاعته فكيف يمكن للمكلفين ذلك مع عدم تعيينه.

(٢) لأن إجماع المسلمين قام على تعيين الإمام بشخصه ومعرفته بذاته ومع تردده بين اثنين أو أكثر خرج ذلك عن موضوع الإجماع.

(٣) لأن القصد من نصب الإمام حفظ الشريعة بتسيير نظامها وأحكامها كما صرح بها صاحب الشريعة ومع تردده لم يحصل المطلوب.

(٤) هذا التعليل البرهان الثاني على عدم صحة تعيين الإمام بالشرع ومن المكلفين.

يتسلسل[1] ولأنه[2] إما أن يجب عليهم[3] نصب المعصوم أو لا والثاني محال لما يأتي والأول يستلزم تكليف ما لا يطاق إذ العصمة أمر خفي لا يطلع عليه إلا الله تعالى فيلزم تكليف ما لا يطاق انتهى.

---

(١) لعل الفارق هنا بين الدور والتسلسل هو شخص الإمام ونوعه فعلى الأول يكون الدور وعلى الثاني التسلسل وبيانه أن الواجبات التي منها تعيين الإمام إذا احتاج تمامها إلى هذا الإمام الشخصي حصل الدور أو إلى إمام آخر حصل التسلسل.

(٢) وهذا التعليل البرهان الثالث على عدم صحة تعيين الإمام بالشرع ومن المكلفين.

(٣) أي على المكلفين.

الدليل النقلي في

ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام

فما نزل من القرآن في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام دليلاً نقلياً لا يقبل التأويل ولا يقبل صرفه في غير حقيقته إلا معاند ومخالف فلقد بان الصبح لذي عينين بحق من نزلت به الآيات في قول عز من قائل: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾ فقد روي موفق بن أحمد بسنده عن حكيم بن جبير عن علي بن الحسين عليه السلام قال إن أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب عليه السلام وقال عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله شعراً:

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول الله خاف أن يمكروا به ... فنجّاه ذو الطول الإله من المكر

وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقى وفي حفظ الإله وفي الستر

وبات أراعيهم وما يبيتونني ... وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

وروى الحموييني أخرجه أيضاً الثعلبي عن ابن عباس وأبو نعيم الحافظ بسنده عن ابن عباس قال بات علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة خروجه من مكة ونزلت ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾.

وروى الثعلبي في تفسيره وابن عقبة في ملحمته وأبو السعادات في فضائل العترة الطاهرة والغزالي في الأحياء بأسانيدهم عن ابن عباس وعن أبي رافع أنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه

فكلاهما كرها الموت فأوحى الله إليهما أني آخيت بين علي وليي وبين محمد نبيي فآثر علي حياته لنبي فرقد على فراش النبي يقيه بمهجته إهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه فهبطا فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرئيل يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله عز وجل يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾ انتهى.

ونزل في علي عليه السلام في قول عز من قائل ﴿**ينفقون أموالهم بالليل والنهار**﴾ فقد روى موفق بن أحمد والحمويني والثعلبي المالكي وأبو نعيم الحافظ بسندهم عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال كان عند علي عليه السلام أربعة دراهم فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية فنزل قول عز من قائل: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

وروي في جمع الفوائد في تفسير سورة البقرة عن ابن عباس قال قوله تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية**﴾ نزلت في علي عليه السلام كانت عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحداً وبالنهار واحداً وفي السر واحداً وفي العلانية واحداً انتهى.

ونزل في علي عليه السلام في قول عز من قائل: ﴿**فإن تظاهرتا فإن الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين**﴾.

روى أبو نعيم الحافظ والثعلبي أخرجا بسنديهما عن أسماء بنت عميس قالت لما نزل قوله تعالى: ﴿**فإن تظاهرتا فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً**﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ألا أبشرك إنك قرنت بجبرئيل ثم قرأ هذه الآية فقال فأنت والمؤمنون من أهل بيتك الصالحون.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾.

روى الحمويني أخرجه مجاهد عن ابن عباس قال مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وعادهما بعض الصحابة فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فقال علي عليه السلام إن برء ولداي مما بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً لله وقالت فاطمة عليها السلام مثل ذلك وقالت جارية يقال لها فضة مثل ذلك وقال الصبيّان نحن نصوم ثلاثة أيام فألبسهما الله العافية وليس عندهم قليل ولا كثير فانطلق علي عليه السلام إلى رجل من اليهود يقال له شمعون بن حابا فقال له هل تأتيني جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد صلى الله عليه وآله بثلاثة أصواع من شعير قال نعم فأعطاه ثم قامت فاطمة عليها السلام إلى صاع وطحنته واختبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله المغرب ثم أتى فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله أنا مسكين أطعموني شيئاً فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح وفي الليلة الثانية أتاهم يتيم فقال أطعموني فأعطوه الطعام وفي الليلة الثالثة أتاهم أسير فقال أطعموني فأعطوه ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح فلما إن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين عليهما السلام وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع فلما بصرهم النبي صلى الله عليه وآله انطلق إلى ابنته فاطمة عليها السلام فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلي وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال واغوثاه يا الله أهل بيت محمد يموتون جوعاً فهبط جبرئيل عليه السلام فأقرأه ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ الآية وهذا الخبر بعينه مذكور في تفسير القاضي البيضاوي في تفسيره المشهور.

ونزل في علي عليه السلام في قول عز من قائل: ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾.

روى الحافظ جلال الدين السيوطي في مصحف ابن مسعود كفى الله المؤمنين القتال بعلي.

وروى في المناقب عن ابن مسعود قال لما برز علي عليه السلام إلى عمرو بن ود قال النبي صلى الله عليه وآله برز الإيمان كله إلى الشرك كله فلما قتله قال له أبشر يا علي فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم.

ونزل في علي عليه السلام في قول عز من قائل: ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾. فقد **روى** أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي هريرة أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس أيضاً عن جعفر الصادق عليه السلام في قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين قالوا نزلت في علي عليه السلام وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال رأيت مكتوباً على العرش لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي أيدته ونصرته بعلي بن أبي طالب.

وروى عن أنس بن مالك نحوه وفي كتاب الشفاء **روى** ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا سري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي.

وروى في المناقب عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ضربة علي في يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

وروى ابن شيرويه الديلمي في فردوسه بسنده عن عروة بن الزبير عن ابن عباس قال لمّا قتل علي عليه السلام عمرو بن ود العامري وجاء عند النبي صلى الله عليه وآله وسيفه يقطر دماً فلما رأى علياً قال اللهم إعطِ علياً فضيلة لم تعطها قبله ولا بعده فهبط جبرئيل ومعه أترجة من الجنة فقال إن الله يقرئك السلام ويقول حي هذه علياً فدفعها إليه فانفلقت في يده فلقتين فإذا فيها حريرة خضراء

مكتوب فيها سطران تحفة من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب وروى الكنج الشافعي في كفاية الطالب مثل هذا الحديث أيضاً الخطيب الخوارزمي أخرجه عن ابن عباس أيضاً صاحب روضة الفضائل وصاحب ثاقب المناقب أخرجه عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبدالله الأنصاري.

قال الشيخ العطّار في كتابه مظهر الصفات كنت عند شيخي وسندي الشيخ نجم الدين الكبرى فحدثني هذا الحديث فغلب عليه الوجد والحال القوي وبكيت معه فحقرت الدنيا في أعيننا وقلعنا حب الدنيا من قلوبنا أيضاً وفي المناقب بالسند عن زياد بن مطرب قال كان ابن مسعود يقرأ وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وسبب نزوله أن عمرو بن عبد ود كان فارساً مشهوراً يعدل بألف فارس وكان قد شهد بدراً ولم يشهد أحداً ويوم الخندق ونادى هل من مبارز فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وقال أنا يا رسول الله فقال إنه عمرو اجلس فنادى ثانية فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وقال أنا يا رسول الله فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمرو فاستئذنه النبي صلى الله عليه وآله قال حذيفة بن اليمّان ألبسه رسول الله صلى الله عليه وآله درعه الفضول وعمّمه عمامته السحاب على رأسه تسعة أدوار وقال له تقدم فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وآله برز الإيمان كله إلى الشرك كله وقال رب لا تذرني فرداً اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه فاستقبل علي عليه السلام عمراً مغموراً ضربه بسيفه فشج رأسه ثم إن علياً عليه السلام ضربه على حبل عاتقه فسقط إلى الأرض فسمعنا تكبير علي عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قتله علي وقال ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم فنزلت آية: **﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾** بعلي انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب.

روى الثعلبي بسنده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب**﴾ فقال هي شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة فقيل له يا رسول الله سئلناك عنها فقلت أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة فقال إن داري ودار علي واحد غداً في مكان واحد.

وروى الثعلبي في تفسيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله طوبى شجرة غرسها الله تبارك وتعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت بالحلي والحلل وأن أغصانها لترى من وراء سور الجنة أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام نحوه أيضاً عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله تفسير حروف أبجد فقال وأما الطاء فطوبى وهي شجرة غرسها الله عز وجل بيده ونفخ فيها من روحه وأن أغصانها لترى من وراء سور الجنة تنبت الحلي والحلل وثمارها متدلية على أفواههم وتحمل لهم ما يشاؤون من حليها وحللها وثمارها لا يؤخذ منها شيء إلا أعاده الله تبارك وتعالى كما كان انتهى.

ونزل في علي عليه السلام في قول عز من قائل: ﴿**وتلقى آدم من ربه بكلمات فتاب عليه**﴾.

روى ابن المغازلي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه وغفر له.

وقال الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام في تفسيره قال علي بن الحسين حدثني أبي عن أبيه علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يا عباد الله إن آدم عليه السلام لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله تعالى نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح فقال رب ما هذه الأنوار قال أنوار الأشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ولذلك أمرت

الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح فقال آدم عليه السلام يا رب لو بينتها لي فقال الله عز وجل انظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم عليه السلام واقع أنوار أشباحنا في ظهر آدم عليه السلام على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا فقال ما هذه الأشباح يا رب قال الله تعالى يا آدم هذه الأشباح أشباح أفضل خلائقي هذا محمد صلى الله عليه وآله وأنا المحمود في أفعالي شققت له اسماً من اسمي وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل القضاء فاطم أوليائي مما يبيدهم ويشينهم شققت لها اسماً من إسمي وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل ومن الإحسان شققت اسميهما من اسمي وهؤلاء خيار خلقي وكرائم بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب فتوسل بهم إلي يا آدم وإذا دهتك داهية فاجعلهم لي شفعائك فإني آليت على نفسي قسماً حقاً لا أخيب لهم آملاً ولا أرد لهم سائلاً فذلك حين صدرت منه الخطيئة دعا الله عز وجل فتاب عليه وغفر له انتهى.

وروى في المناقب عن المفضل قال سألت جعفر الصادق عليه السلام عن قوله عز وجل و ﴿**وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات**﴾ قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو إنه قال يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألا تبت عليّ فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، فقلت له يا ابن رسول الله فما يعني بقوله فأتمهن قال يعني أتمهن إلى القائم المهدي اثني عشر إماماً تسعة من الحسين عليه السلام انتهى.

ونزل في علي عليه السلام في قول عز من قائل: ﴿**من جاء بالحسنة، فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾ أبو نعيم الحافظ والحموييني والثعلبي في قوله عز وجل: ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون**

ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أخرجوا بأسانيدهم عن أبي عبدالله الجدلي قال لي علي عليه السلام يا أبا عبدالله ألا أنبئك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة والسيئة التي من جاء بها أكبه الله في النار ولم يقبل معها عملاً قلت بلى قال الحسنة حبنا والسيئة بغضنا.

وروى في المناقب عن عبد الرحمن بن كثير عن جعفر الصادق عن أبيه عليه السلام قال هذا الحديث وزاد الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت.

وروى في المناقب بسنده عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام في قول عز وجل ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً.

قال من تولى الأوصياء من آل محمد صلى الله عليه وآله واتبع آثارهم فذاك يزيده ولاية من مضى من النبيين والمؤمنين الأولين حتى تصل ولايتهم إلى آدم عليه السلام وهو قول الله عز وجل: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾** وهو دخول الجنة وهو قول الله عز وجل: **﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾** يقول أجر المودة التي لم أسئلكم غيرها فهو لكم تهتدون بها وتسعدون بها وتنجون من عذاب يوم القيامة.

وقال ابن كثير عن الإمام الصادق عليه السلام قال قوله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** قال للمسلمين عامة وأما الحسنة التي من جاء بها فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون فهي ولايتنا وحبنا.

روى عن محمد بن زيد بن علي عن أبيه عليه السلام قال سمعت أخي محمد الباقر عليه السلام يقول دخل أبو عبدالله الجدلي على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له يا أبا عبدالله ألا أخبرك قوله عز وجل من جاء بالحسنة إلى قوله ما كنتم توعدون قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا أهل البيت انتهى وقال الشافعي شعراً ذكره أبي بكر بن شهاب الدين.

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

فقد أخرج الثعلبي في قول عز من قائل: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ في تفسيره الكبير بالإسناد إلى إبان بن تغلب عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال نحن حبل الله الذي قال ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ وعدّها بن حجر في الآيات النازلة فيهم فهي الآية الخامسة من آياتهم التي أوردها في الفصل الأول من الباب الحادي عشر من صواعقه ونقل في تفسيرها ما سمعته من قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

روى بن حجر في صواعقه المحرقة في تفسير الآية الخامسة ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً**﴾ ذاكراً كلام الإمام زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام .

قال إذا تلا قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ يدعو الله عز وجل دعاء طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلّية ويتضمن المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقة لأئمة الدين والشجرة النبوية ثم يقول وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر فينا إلى أن قال فإلى من يفزع خلق هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملّة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات**﴾ فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلا أعدال الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم

الرجس وطهرهم تطهيراً وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب هذا كلام الإمام بعين لفظه نقله بن حجر في صواعقه فافهم وتدبر.

قال أمير المؤمنين في الخطبة الثالثة والثمانين من النهج الحديدي لعبد الحميد بن أبي الحديد منها فأين تذهبون وأنّى تؤفكون والأعلام قائمة من الآيات واضحة والمنار منصوبة فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم وهم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فأنزلهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش أيها الناس خذوها[1] من خاتم النبيين ﷺ أنه يموت من مات منا وليس بميّت ويبلى من بلي منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر[2] وأترك فيكم الثقل الأصغر وركزت فيكم راية الإيمان.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الثالثة والتسعين في نهج البلاغة.

قوله عليه السلام انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هُدىً ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن

---

(١) أي خذوا هذه القضية عنه ﷺ وهي أنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور كذا قال الشيخ محمد عبده وغيره.

(٢) عمل أمير المؤمنين بالثقل الأكبر وهو القرآن وترك الثقل الأصغر وهو ولداه ويقال عترته قدوة للناس كذا قال الشيخ محمد عبده وغيره من شارحي النهج.

منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل.

وقال عليه السلام في خطبة أخرى في نهج البلاغة منها عترته خير العتر وأسرته خير الأسر شجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمرة لا تنال.

وقال عليه السلام من خطبة أخرى في نهج البلاغة نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.

وقوله في وصف العترة الطاهرة فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد أهله وليحضر عقله، الخطبة.

وقال عليه السلام من خطبة له واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق.

وقوله عليه السلام بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار[1].

---

(١) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه، السرار: كسحاب وكتاب ـ آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر. وانفجرتم: دخلتم في الفجر والمراد كنتم في ظلام حالك وهو ظلام الشرك والضلال فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا والضمير لمحمد ﷺ والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته.

وقوله عليه السلام أيها الناس استصحبوا من شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاصوا من صفو عين قد روقت من الكدر الخطبة.

وقوله عليه السلام نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة.

وقوله عليه السلام أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطي الهدى ويستجلي العمى إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم إلى أن قال عليه السلام آثروا عاجلاً وآخروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجناً.

أقول هل نزل من آياته الباهرة في أحد ما نزل في العترة الطاهرة هل حكمت محكماته بذهاب الرجس من غيرهم[1] وهل لأحد من العالمين كآية تطهيرهم هل حكم بافتراض المودة لغيرهم محكم التنزيل[2] وهل بأية المباهلة بسواهم جبرائيل يقول عز من قائل: ﴿**فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم**﴾ الآية قول الشيخ الأزري في أزريته الألفية العصماء.

هل أتت هل أتى بمدح سواهم لا ومولى بذكرهم حلاّها

أليسوا حبل الله الذي قال: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ [سورة ق] والصادقين الذين قال عز من قائل فيهم: ﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾

---

(١) كما حكمت بذهابه عنهم في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾.

(٢) كلا بل اختصهم الله سبحانه بذلك تفضيلاً لهم عن من سواهم فقال: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة**﴾ (وهي هنا مودتهم) نزد له فيها حسناً (لأهل مودتهم) شكور (لهم على ذلك).

والصادقون هنا رسول الله والأئمة من عترته الطاهرة بحكم صحاحنا المتواترة وهو الذي أخرجه الحافظ أبو نعيم وموفق بن أحمد ونقله ابن حجر في تفسير الآية الخامسة من الباب الحادي عشر من صواعقه المحرقة عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وصراط الله الذي قال: ﴿**وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه**﴾ وسبيله الذي قال: ﴿**ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ وأولي الأمر الذين قال عز من قائل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ فقد.

أخرج ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس الله سره العالي أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فكان جوابه: ﴿**ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً**﴾ يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً: ﴿**أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً أم له نصيب من الملك**﴾ يعني الإمامة والخلافة: ﴿**فإذا لا يؤتون الناس نقيراً أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ ونحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلقه: ﴿**فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً**﴾ يقول جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون به في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد ﴿**فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً**﴾ وأهل الذكر الذين قال عز من قائل: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾.

أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية في تفسيره الكبير عن جابر قال لمّا نزلت هذه الآية قال علي نحن أهل الذكر وهذا هو المأثور عن سائر أئمة الهدى وقد أخرج العلاّمة البحريني في الباب الخامس والثلاثين نيفاً وعشرين حديثاً صحيحاً في هذا المضمون والمؤمنين الذين قال عز من قائل: ﴿**ومن**

يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله من تولى ونصله جهنم﴾.

أخرج ابن مردويه في تفسير الآية أن المراد بمشاققة الرسول هنا إنما هي المشاقة في شأن علي عليه السلام وأن الهدى في قوله من بعد ما تبين له الهدى إنما هو شأن علي عليه السلام.

وأخرج العيّاشي في تفسيره نحوه والصحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة في أن سبيل المؤمنين إنما هو سبيلهم عليهم السلام فافهم وتدبر انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿فأما نذهبن بك فإنّا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون﴾.

روى أبو نعيم الحافظ بسنده عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمّان قال قوله تعالى: ﴿فإنّا منهم منتقمون﴾ لعلي عليه السلام.

وروى ابن المغازلي بسنده عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر عليه السلام عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع بمعنى لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فأنزل الله هذه الآية ثم أنزل الله تعالى ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم﴾ وأنه أي علياً لعلم الساعة ولقومك ولسوف تسئلون (عن حب علي).

وقول الله عز وجل: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾.

روى الحمويني في فرائد السمطين أخرج بسنده عن ابن عباس عن علي عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان على بيّنة من ربه وأنا التالي الشاهد منه. أيضاً الحمويني أخرجه بسنده عن جابر بن عبدالله وبسنده عن البحتري هما عن علي عليه السلام بلفظه أيضاً أخرجه موفق بن أحمد بسنده عن ابن عباس

أيضاً أبو نعيم والثعلبي والواقدي أخرجوه بأسانيدهم عن ابن عباس وزاذان وجابر كلهم عن علي عليه السلام أيضاً ابن المغازلي أخرج بسنده عن عباد بن عبدالله قال سمعت علياً عليه السلام يقول في خطبته ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد علمت متى أنزلت وفيمن أنزلت وما من قريش رجل إلا وقد أنزلت فيه آية من كتاب الله عز وجل تسوقه إلى جنة أو نار قال رجل يا أمير المؤمنين فما نزل فيك قال: أما تقرأ أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه الآية فرسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربه وأنا التالي الشاهد منه، أيضاً الإمام زين العابدين وسيد الساجدين والإمام الصادق عليهما وعلى آبائهما السلام ذكروا هذا الحديث أيضاً الحسن بن علي عليه السلام ذكر هذه الآية انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ﴾.

روى الثعلبي في كشافه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لمّا نزل قوله تبارك وتعالى إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ وضع صلى الله عليه وآله يده على صدره وقال أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون أيضاً أخرجه صاحب المناقب عن الباقر والصادق عليهما السلام نحوه.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بسنده عن الحكم بن جبير عن بريدة الأسلمي قال دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ماء الطهور فأخذ بيد علي عليه السلام بعد ما تطهر فألصق يده بصدره فقال أنا المنذر ثم رد يده إلى صدر علي فقال أنت لكل قوم هادٍ ثم قال له أنت مناد الأنام وغاية الهدى وأمير الغر المحجلين أشهد ذلك أنك كذلك أيضاً كتبه السيد علي الهمداني في جامع الأنساب الثلاثة في كتابه مشارب الأذواق يا علي أنا المنذر وأنت الهادي وبك يهتدي المهتدون أيضاً سمع أبو حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام ما حدثه الحاكم أبو القاسم الحسكاني في المناقب عن محمد بن مسلم قال سألت هذه الآية عن

جعفر الصادق عليه السلام قال كل إمام هادٍ لكل قوم في زمانهم.

وروى في المناقب عن عبد الرحيم عن الإمام الباقر عليه السلام قال في تفسير هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وآله أنا المنذر وعلي الهادي أما والله ما زالت فينا إلى قيام الساعة.

وروى أبي بصير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال هذا الحديث وزاد إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب لكنه حي يجري فيمن بقي كما يجري فيمن مضى انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ الآية في الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري في تفسير سورة المجادلة قال قال أبو عبدالله البخاري في تاريخه في قوله تعالى: ﴿**إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ نسختها هذه الآية ﴿**فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم**﴾ قال علي عليه السلام ما عمل بهذه الآية غيري وبي خفف الله تعالى عن هذه الأمة بعد قوله تعالى: ﴿**أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات**﴾.

أيضاً ابن المغازلي أخرجه عن علي بن علقمة عن علي عليه السلام أيضاً ابن المغازلي أخرجه عن مجاهد عن علي عليه السلام أيضاً الثعلبي أخرجه عن مجاهد وعن أبي عمرو وهما عن علي عليه السلام أيضاً موفق بن أحمد والحموييني أخرجاه عن ابن عباس وعن مجاهد عن علي عليه السلام أيضاً أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي صالح عن ابن عباس وروى موفق بن أحمد عن علي عليه السلام أنه قال أن في كتاب الله تبارك وتعالى لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل أحد بعدي وهي: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ ثم نسخت.

وروى في المناقب عن مكحول عن علي عليه السلام قال والله ما عمل بهذه

الآية أحد غيري فنزلت هذه: ﴿**أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم**﴾ الآية فلا تكون التوبة إلا من ذنب كان.

وروى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان لعلي عليه السلام دينار فباعه بعشرة دراهم فكان كلما ناجاه قدّم درهماً حتى ناجاه عشر مرات ثم نسخت فلم يعمل بها أحد غيره انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون**﴾ الآية.

روى الحاكم بسنده عن الأعمش عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام قالا لما رأى المخالفون المحاربون لعلي عليه السلام أنه عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا أي كفروا نعمة الله التي هي إمامة علي عليه السلام وقيل هذا الذي كنتم به تدعون أن مخالفة علي ومحاربته وقتاله أمر لا ذنب له.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**فأذن مؤذن بينهم يقول ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ وتفسير وآذان من الله ورسوله.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني أخرج بسنده عن الإمام محمد بن الحنفية عليه السلام عن أبيه علي عليه السلام قال أنا ذلك المؤذن، أيضاً الحاكم بسنده عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال علي عليه السلام في كتاب الله أسماء لي لا يعرفها الناس منها فأذن مؤذن بينهم يقول ألا لعنة الله على الظالمين أي الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي.

وروى في المناقب عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالكوفة عند انصرافه من النهروان وبلغه أن معاوية بن أبي سفيان يسبّه ويقتل أصحابه فقام خطيباً إلى أن قال وأنا المؤذن في الدنيا والآخرة قال الله عز وجل: ﴿**فأذن مؤذن بينهم يقول ألا لعنة الله على**

الظالمين﴾ أنا ذلك المؤذن وقال عز وجل ﴿**وآذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر**﴾ وأنا ذلك الآذان.

وروي عن محمد بن الفضيل عن أحمد بن عمر الحلال عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال المؤذن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه يؤذن آذاناً يسمع الخلائق والدليل على ذلك وآذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر قال أمير المؤمنين عليه السلام أنا ذلك الآذان.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم**﴾.

روى الحاكم بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال كنت عند علي عليه السلام فأتى ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن أحبنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار.

وروى الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه.

وروى في المناقب بسنده عن زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي أكثر من عشر مرات يا علي إنك والأوصياء من ولدك أعراف بين الجنة والنار لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه.

وروى في المناقب أيضاً بسنده عن مقرون قال سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسئل عن هذه الآية قال نحن الأعراف ونحن نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يوقفنا

الله عز وجل يوم القيامة على الصراط لا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف الناس نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله ووجهه الذي يتوجه منه إليه فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاذ لها ولا انقطاع انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾.

روى الثعلبي وابن المغازلي بسنديهما عن عبدالله بن عطا قال كنت مع محمد الباقر عليه السلام في المسجد فرأيت ابن عبدالله بن سلام فقلت هذا ابن الذي عنده علم الكتاب قال إنما ذلك علي بن أبي طالب.

وروى الثعلبي وأبو نعيم الحافظ بسنديهما عن زاذان عن محمد بن الحنفية عليه السلام قال من عنده علم الكتاب علي بن أبي طالب.

وروى الفضيل عن الإمام الباقر عليه السلام قال هذه الآية نزلت في علي عليه السلام أنه عالم هذه الأمة وفي رواية عنه عليه السلام قال أيانا عني وعليٌّ أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وروى عن عمر بن أذينة عن جعفر الصادق عليه السلام قال قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه ألا أن العلم هبط به آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض وجميع ما وصلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وقال الصادق علم الكتاب كله والله عندنا وما أعطي وزير سليمان بن داود عليه السلام إنما عنده طرف واحد من اسم الله الأعظم وعلم بعض الكتاب كان عنده قال تعالى: ﴿**الذي عنده علم من الكتاب** (أي بعض

الكتاب) **أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾ قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة**﴾ بمن التبعيض وقال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿**وليبين لكم بعض الذين تختلفون فيه**﴾ بكلمة البعض وقال تعالى في علي عليه السلام: ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ أي كل الكتاب وقال: ﴿**ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ وعلم هذا الكتاب عنده.

وروي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية ﴿**الذي عنده علم من الكتاب**﴾ الآية قال ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليه السلام وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿**قال كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ قال ذاك أخي علي بن أبي طالب.

وروى صاحب المناقب روى عن محمد بن مسلم وأبي حمزة الثمالي وجابر بن يزيد عن الإمام الباقر عليه السلام وروي علي بن فضال والفضيل بن يسار وأبي بصير عن الصادق عليه السلام.

وروى أحمد بن محمد الحلبي ومحمد بن فضيل عن الإمام الرضا عليه السلام وقد روى عن موسى بن جعفر وعن زيد بن علي عليه السلام وعن محمد بن الحنفية عليه السلام وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه وعن أبي سعيد الخدري وإسماعيل السدي أنهم قالوا عن قوله تعالى: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروي في المناقب سئل عن علي عليه السلام أن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير هل لكم هذه المنزلة قال إن سليمان بن داود عليه السلام غضب الهدهد لفقده لأنه يعرف الماء ويدل على الماء ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع أن الريح والنحل والأنس والجن والشياطين والمردة كانوا له طائعين وأن الله يقول في كتابه: ﴿**ولو أنَّ قرآناً**

سيّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى﴾ ويقول تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ ويقول تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ فنحن أورثنا هذا القرآن الذي فيه ما يسير به الجبال وقطعت به البلدان ويحيي به الموتى ونعرف به الماء ﴿وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء﴾ وسئل سعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام قال لا وكيف وهذه السورة مكّية وعبدالله بن سلام أسلم في المدينة بعد الهجرة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال من عنده علم الكتاب إنما هو علي عليه السلام لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ وعن محمد بن الحنفية عليه السلام قال عند أبي أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه علم الكتاب الأول والآخر.

وروى سليم بن قيس الهلالي في كتابه عن قيس بن سعد بن عبادة قال ومن عنده علم الكتاب علي عليه السلام قال معاوية بن أبي سفيان هو عبدالله بن سلام قال سعد أنزل الله: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ﴾ وأنزل: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ فالهادي في الآية الأولى والشاهد من الثانية علي عليه السلام أنه نصبه صلى الله عليه وآله يوم الغدير وقال من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث وقال أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي الحديث فسكت معاوية ولم يستطع أن يردها.

قال بعض المحققين أن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنه وتحيته وفضله العظيم بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه وعباده بمحمد صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش خصوصاً على بني هاشم بقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين﴾ اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله لا بد أن يكون رجلاً من بني هاشم بعد النبي صلى الله عليه وآله لأنه أقربه من

سائر قريش وأن يكون إسلامه أولاً ليكون واقعاً أسرار الرسالة وبدء الوحي وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله وأن يكون من طفوليته منزهاً من أعمال الجاهلية ليكون شخصاً متخلقاً بأخلاقه ومؤدباً بآدابه ونظيراً بالرشيد من أولاده فلم يوجد هذه الشروط لأحد إلا في علي عليه السلام وأما عبدالله بن سلام لم يسلم إلا بعد الهجرة فلم يعرف سبب نزول السور التي نزلت قبل الهجرة ولما كان حاله هذا لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه إذ سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل في تعلم أسرار الإنجيل والتوراة والزبور وكتب الأنبياء السابقين والقرآن لم يكن من عنده علم الكتاب لفقده الشروط المذكورة فكيف يكون عنده علم الكتاب ابن سلام الذي لم يقرأ الإنجيل ولم يوجد فيه الشروط ولم يصدر منه مثل ما صدر من علي يعسوب الدين من الأسرار والحقائق في الخطابات مثل قوله سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين جنبي علوماً كالبحار الزواخر ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة عليهم سلام الله وبركاته من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله وأسراره انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾.

أقول أن من أحاط علماً بسيرة النبي صلى الله عليه وآله في تأسيس دولة الإسلام وتشريع أحكامها وتمهيد قواعدها وسن قوانينها وتنظيم شؤونها عن الله عز وجل يجد علياً وزير رسول الله في أمره وظهيره على عدوه وعيبة علمه ووارث حكمه وولي عهده وصاحب الأمر من بعده ومن وقف على أقوال النبي وأفعاله في حله وترحاله صلى الله عليه وآله يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره وحسبك منها ما كان في مبدأ نهوض الإسلام قبل ظهور الإسلام بمكة حين أنزل الله تعالى عليه وأنذر عشيرتك الأقربين فدعاهم إلى دار عمّه أبي طالب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو

ينقصونه وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب والحديث في ذلك من صحاح السنن المأثورة ومن آخره قال رسول الله ﷺ يا بني عبد المطلب أني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها غير علي وكان أصغرهم إذ قام فقال أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ رسول الله برقبته فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع فقد أخرجه بهذه الألفاظ كثير من حفظة الآثار النبوية كابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في سننه وفي دلائله والثعلبي والطبري أيضاً من كتابه تاريخ الأمم والملوك وأرسله ابن الأثير إرسال المسلّمات في كامله عند ذ كره أمر الله نبيّه بأظهار دعوته وأبو الفداء من تأريخه عند ذكره أول من أسلم من الناس ونقله الإمام أبو جعفر الاسكافي المعتزلي في كتابه نقض العثمانية مصرّحاً بصحته وأورده الحلبي في باب استخفائه ﷺ في دار الأرقم من سيرته المعروفة وأخرجه بهذا المعنى مع تقارب الألفاظ غير واحد من أثبات السنة وجهابذة الحديث كالطحاوي والضياء المقدسي في المختارة وسعيد بن منصور في السنن وحسبك ما أخرجه أحمد بن حنبل في حديث علي في مسنده وأخرج من الجزء الأول في مسنده أيضاً حديثاً جليلاً عن ابن عباس يتضمن هذا النص في عشر خصائص مما امتاز به علي على سواه وذلك الحديث الجليل أخرجه النسائي أيضاً عن ابن عباس من خصائصه العلوية والحاكم في الجزء الثالث من صحيحه المستدرك وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته وقد صرّح ممن ادّعى المؤاخذة على هذا الحديث ونسخه بقولهم إذا أعرض النبي عن مفاده ونحن نقول أن المؤرخين في الأطراف الأخرى يحتجّون في إثبات الإمامة بكل حديث صحيح سواء كان متواتراً أو غير متواتر فنحن نحتج

عليهم بهذا لصحته من طريقهم إلزاماً لهم بما ألزموا به أنفسهم وأما استدلالنا به على الإمامة فيما بيننا فإنما هو لتواتره في طريقنا كما لا يخفى.

ودعوى أنه إنما يدل على أن علياً خليفة رسول الله في أهل بيته خاصة مردودة بأن كل من قال بأن علياً خليفة رسول الله في أهل بيته قائل بخلافته العامّة وكل من نفى خلافته العامة نفى خلافته الخاصة ولا قائل بالفصل فما هذه الفلسفة المخالفة لإجماع المسلمين أما القول بنسخه وهو محال عقلاً وشرعاً لأنه من النسخ قبل حضور زمن الابتلاء كما لا يخفى على أنه لا ناسخ هنا إلا ما زعمه من إعراض النبي عن مفاد الحديث وفيه أن النبي ﷺ لم يعرض عن ذلك بل كانت النصوص متوالية متواترة يؤيد بعضها بعضاً ولو فرض أن لا نعي بعده أصلاً فمن أين علم أعراض النبي عن مفاده وعدوله عن مؤداه أن تبدون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم هدى الآية انتهى.

القول في النصوص الصريحة بعد حديث الدار

أخرج الإمام أحمد في مسنده والنسائي في خصائصه العلوية والحاكم في صحيحه المستدرك والذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته وغيرهم من أصحاب السنن بالطرق المجمع على صحتها عن عمرو بن ميمون قال إني لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء فقال ابن عباس بل أنا أقوم معكم قال وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى قال فابتدأوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستشرق فقال أين علي فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء علي بصفية بنت حيي قال ابن عباس ثم بعث رسول الله ﷺ فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه قال ابن عباس وقال النبي ﷺ لبني عمه أيكم يواليني في الدنيا والآخرة قال وعلي جالس معه فأبوا فقال علي أنا أواليك في الدنيا والآخرة قال أنت وليي في الدنيا والآخرة قال فتركه ثم قال أيكم يواليني في الدنيا والآخرة فأبوا وقال علي أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال لعلي أنت وليي في الدنيا والآخرة قال ابن عباس وكان علي أول من آمن من الناس قال وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً قال وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ثم نام مكانه وكان المشركون يرمونه إلى أن قال وخرج رسول الله في غزوة

تبوك وخرج الناس معه فقال له علي أخرج معك فقال ﷺ لا فبكى علي فقال له رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي وقال له رسول الله أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة قال ابن عباس وسدّ رسول الله أبواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد جنباً وهو في طريقه ليس له طريق غيره قال وقال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فإن مولاه علي الحديث قال الحاكم بعد إخراجه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة قلت وأخرجه الذهبي في تلخيصه ثم قال صحيح.

أقول لا يخفى ما فيه من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أن علياً ولي عهده وخليفته من بعده ألا ترى كيف جعله ﷺ وليه في الدنيا والآخرة فقد آثره بذلك على سائر أرحامه وكيف أنزله منه منزلة هارون من موسى ولم يستثنى من جميع المنازل إلا النبوة واستثناؤها دليل على العموم.

أقول إن أظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى وزارته له وشد أزره به واشتراكه معه في أمره وخلافته عنه وفرض طاعته على جميع أمته بدليل قوله واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري وقول عز من قائل: ﴿**أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين**﴾ وقول عز من قائل: ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾ فعلي عليه السلام بحكم هذا النص خليفة رسول الله ﷺ في قومه ووزيره في أهله وشريكه في أمره على سبيل الخلافة عنه لا على سبيل النبوة وأفضل أمته وأولاهم به حياً وميتاً وله عليهم من فرض الطاعة زمن النبي ـ بوزارته له ـ مثل الذي كان لهارون على أمة موسى زمن موسى وقد أوضح رسول الله ﷺ الأمر فجعله جلياً بقوله أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي وهذا نص صريح في كونه خليفته بل نص جلي في أنه لو ذهب ولم يستخلفه كان قد فعل ما لا ينبغي أن يفعل وهذا ليس إلا لأنه كان مأموراً من الله عز وجل باستخلافه كما ثبت في

تفسير قول عز من قائل: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ ومن تدبر قول عز من قائل: ﴿**فما بلغت رسالته**﴾ ثم امعن النظر في قول النبي ﷺ أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي وجدهما يرميان إلى غرض واحد كما لا يخفى ولا تنسى قوله ﷺ في هذا الحديث أنت ولي كل مؤمن بعدي فإنه نص في أنه ولي الأمر ووالیه والقائم مقامه فيه كما قال الكميت رحمه الله تعالى:

ونعم ولي الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

وقول الفضل بن العباس كما جاء على ذ كره محمد محمود الرافعي في مقدمة شرح الهاشميات:

وكان ولي العهد بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه

وقد أورد صاحب شرح نهج البلاغة عبد الحميد ابن أبي الحديد في شرحه الحديدي بيتان في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقربُ
وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّبُ

وروى في جمع الفرائد في قول عز من قائل: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قال علي عليه السلام لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين جمع النبي ﷺ من بني عبد المطلب رهطاً كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كأنه لم يمس ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس فقال يا بني عبد المطلب أني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي في الجنة فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم فقال لي أجلس قال ذلك ثلاثاً كل ذلك أقوم إليه فيقول لي

إجلس حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي وقال هو أخي وصاحبي في الجنة.

وروى أحمد في مسنده بسنده عن عياد بن عبدالله الأسدي عن علي عليه السلام قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين جمع النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته فاجتمع ثلاثون نفراً فأكلوا وشربوا ثلاثاً ثم قال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي يكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي فقال أنا يا رسول الله انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ كما أخرج أحمد في مسنده بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت لنا مودتهم قال علي وفاطمة والحسن والحسين أيضاً أخرج هذا الحديث الطبراني في معجمه الكبير وابن أبي حاتم في تفسيره والحاكم في المناقب والواحدي في الوسيط وأبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء والثعلبي في تفسيره والحمويني في فرائد السمطين.

وفي جواهر العقدين أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتابه الثواب من طريق الواحدي عن أبي هاشم الرماني عن زاذان عن علي عليه السلام قال في آل حم عسق آية ﴿**من مودتنا لا يحفظها إلا كل مؤمن**﴾ ثم قرأ ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ كما.

وأخرج المحب الطبري قوله أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال إن الله جعل أجري عليكم المودة في القربى وأني سائلكم غداً عنها.

وروي في المناقب عن الإمام الباقر عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿**قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم**﴾ يقول الأجر الذي هو المودة في القربى التي لم

أسئلكم غيرها فهو لكم تهتدون بها وتسعدون بها وتنجون من عذاب الله يوم القيامة فالمودة مشتقة من الود وهو الحب القوي الدائم الثابت كما وأخرج أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيما أفناه وعن ما له مم كسبه وفيم أنفقه وعن حبنا أهل البيت.

أقول إن في قول الله تعالى: **﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** الآية هذه خصوصية للآل دون غيرهم فهذه المودة فريضة من الله تعالى على كافة المؤمنين لا يأتي بها أحد مؤمناً مخلصاً إلا استوجب الجنة لقول الله تعالى في هذه الآية **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾** ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى مفسراً ومبيناً.

روى الإمام الرضا عليه السلام قال حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا إن لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دمائنا فأحكم فيها باراً مأجوراً أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج فأنزل الله تعالى عليه الروح فقال يا محمد قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى فخرجوا فقال المنافقون ما حمل رسول الله ﷺ على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على مودة قرابته من بعده إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه فهذا بهتان عظيم فأنزل الله تعالى: **﴿أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾** فبعث إليهم النبي ﷺ فقال هل من حديث قالوا لقد قال بعضاً كلاماً غليظاً كرهناه فتلى عليهم هذه الآية فبكوا واشتد بكاؤهم

فأنزل الله تعالى: ﴿**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون**﴾ انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ جاء في سنن الترمذي في مناقب أهل البيت قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطا عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزلت: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال أنت على مكانك وأنت على خير وفي الباب عن أم سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك.

وروى في الكبريت الأحمر للشيخ علاء الدولة السمناني كما وأخرج البيهقي والحاكم صححه نحو حديث الترمذي عن أم سلمة كما وأخرج الطبراني وابن جرير وابن المنذر عن أم سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فجاءت فاطمة عليها السلام ببرمة فيها ثريد فقال صلى الله عليه وآله وسلم لها أدعي زوجك وحسناً وحسيناً فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت هذه الآية فغشاهم بكساء خيبري كان عليه فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ثلاث مرات وفي رواية عن زينب عليها السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى الرحمة هابطة من السماء قال من يدعو لي علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً قالت زينب أنا يا رسول الله فدعتهم فجعلهم في كسائه فنزل جبرئيل بهذه الآية ودخل معهم في الكساء وفي رواية الحافظ جمال الدين الزرندي عن الحافظ بن مردويه عن أم سلمة قالت كان جبرئيل في الكساء معهم كما قال الحسين بن علي عليه السلام:

نحـــن وجبـــريـــل غـــداً ســـادسنـــا ولنـــا الكعبـــة ثـــم الحـــرميـــن

قال المحب الطبري أن هذا الفعل صدر منه ﷺ وآله مكرراً مرة في بيت أم سلمة ومرة في بيت فاطمة عليها السلام كما جاء الحديث عن واثلة بن الأسقح في رواية أحمد في المناقب والطبراني كما وقال الشريف السمهوري كلمة إنما للحصر تدل على أن إرادته تعالى منحصرة على تطهيرهم وتأكيده بالمفعول المطلق دليل على أن طهارتهم كاملة في أعلى مراتب الطهارة انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بأيمان ألحقنا بهم ذرياتهم**﴾ الآية.

روى في جواهر العقدين أخرج الحاكم في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل ثم قرأ ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بأيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم**﴾ يقول وما نقضنا من عملهم ثم قال الحاكم فإذا كان هذا في ذرية مطلق المؤمنين فبذرية رسول الله ﷺ أولى وأجدر انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾ الآية.

أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن عمر بن أذينة عن جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ يا علي مثلك في أمتي مثل عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق فرقة مؤمنون وهم الحواريون وفرقة عادوه وهم اليهود وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن دين الله وهم النصارى وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق فرقة اتبعوك وأحبوك وهم

المؤمنون وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون وفرقة غلوا فيك وهم الضالون يا علي أنت وأتباعك في الجنة وعدوك والغالي فيك في النار.

وجاء في مشكاة المصابيح عن علي عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله فيك مثل من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بمنزلة ليست له ثم قال يهلك فيّ رجلان محب مفرط يفرطني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني رواه أحمد.

وجاء في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام هلك فيَّ رجلان محب غال ومبغض قال انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾** الآية.

أخرج أبو نعيم الحافظ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه عن علي عليه السلام قال في هذه الآية اهتدى إلى ولايتنا أيضاً أخرجه الحاكم بثلاثة طرق.

أولها: عن داود بن كثير قال قلت لجعفر الصادق عليه السلام جعلت فداك ما هذا الاهتداء في هذه الآية قال اهتدى إلى ولايتنا بمعرفة الأئمة إمام بعد إمام منا.

ثانيها: عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال في هذه الآية اهتدى إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ثالثها: عن الإمام الباقر عليه السلام نحوه أيضاً أخرجه صاحب المناقب عن أربعة طرق:

أولها: عن أبي سعيد الهمداني عن الباقر عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال والله لو تاب رجل وآمن وعمل صالحاً ولم يهتدْ إلى ولايتنا ومودتنا ومعرفة فضلنا ما أغنى عنه ذلك شيئاً.

ثانيها: عن محمد بن الغيض بن المختار عن أبيه عن محمد الباقر عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي ما خلقت إلا لتعبد ربك وليشرف بك معالم الدين ويصلح بك دارس السبيل ولقد ضل من ضل عنك ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إلى ولايتك وهو قول ربي جل شأنه (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) يعني اهتدى إلى ولايتك.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾**.

روى في المناقب عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس قال نزلت هذه الآية في علي كان أول من أخلص لله وهو محسن أي مؤمن مطيع فقد استمسك بالعروة الوثقى هي قول لا إله إلا الله والله ما قتل علي بن أبي طالب إلا عليها.

وعن هارون بن سعيد عن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام نحوه.

وجاء في تفسير قول عز من قائل: **﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** الآية.

جاء في المناقب عن الإمام محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام قالا الصراط المستقيم الإمام ولا تتبعوا السبل يعني غير الإمام فتفرق بكم عن سبيله ونحن سبيله.

وجاء في تفسير قول عز من قائل: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾** الآية جاء في المناقب عن مسعدة بن صدقة عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين عن أمير المؤمنين علي عليهم السلام قال ألا العلم الذي هبط به آدم عليه السلام وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين فأين يتاه بكم وأين تذهبون

وأنهم فيكم كأصحاب الكهف ومثلهم باب حطة وهم باب السلم في قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾**.

أيضاً الحاكم في صحيحه أخرج عن علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام أنهم قالوا السلم ولايتنا.

وجاء في تفسير قول عز من قائل: **﴿لتسئلن يومئذٍ عن النعيم﴾** الآية.

روى أبو نعيم الحافظ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية قال النعيم ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

أيضاً الحاكم بن أحمد البيهقي قال حدثنا محمد بن يحيى الصوفي قال حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثني إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائتين قال كنا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضا عليه السلام قال له بعض الفقهاء أن النعيم في هذه الآية هو الماء البارد فقال له بارتفاع صوته كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب فقالت طائفة هو الماء البارد وقال آخرون هو النوم وقال غير هو الطعام الطيّب ولقد حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد عليهم السلام إذ أقوالكم هذه ذكرت عنده فغضب وقال إن الله عز وجل لا يسئل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك وهو مستقبح من المخلوقين كيف يضاف إلى الخالق جلّت عظمته ما لا يرضى للمخلوقين ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا يسئل الله عنه بعد التوحيد لله ونبوة رسوله صلى الله عليه وآله لأن العبد إذا وافى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول قال أبي موسى لقد حدثني أبي جعفر عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي إن أول ما يسئل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإنك ولي المؤمنين بما

جعله الله وجعلته لك فمن أقر بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له.

وأيضاً عن الإمام الكاظم عليه السلام نحن نعيم المؤمن وعلقم الكافر.

كذا وتفسير قول عز من قائل: **﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾**.

ذكر الديلمي في فردوسه أخرج بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال في هذه الآية إنهم مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرج الحمويني بسنده عن مالك بن أنس عن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نصب الصراط على جهنم لم يجز عنها أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرج الحمويني بسنده عن داود بن سليمان قال حدثني علي الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال إذا كان يوم القيامة لم تزل قَدَمُ عبد حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفي ماذا أنفقه وعن حبنا أهل البيت انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** الآية.

روى في المناقب في تفسير مجاهد أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام حين خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة فقال يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال موسى أخلفني في قومي وأصلح.

وفي المناقب عن الحسن بن صالح عن جعفر الصادق عليه السلام في هذه الآية قال أولوا الأمر هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كما.

وأخرج الحمويني بسنده عن سليم بن قيس الهلالي قال رأيت علياً في مسجد المدينة في خلافة عثمان وأن جماعة المهاجرين والأنصار يتذاكرون فضائلهم وعلي ساكت فقالوا يا أبا الحسن تكلم فقال يا معاشر قريش والأنصار أسئلكم ممن أعطاكم الله هذا الفضل أبأنفسكم أو بغيركم قالوا أعطانا الله ومنّ علينا بمحمد صلى الله عليه وآله قال ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال إني وأهل بيتي كنا نوراً نسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بأربعة عشر ألف سنة فلما خلق الله آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض ثم حمله في السفينة في صلب نوح عليه السلام ثم قذف به في النار في صلب ابراهيم عليه السلام ثم لم يزل الله عز وجل ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة من الآباء والأمهات لم يكن واحد منا على السفاح قط فقال أهل السابقة وأهل بدر وأحد منهم نعم قد سمعناه ثم قال أنشدكم الله أتعلمون أن الله عز وجل فَضَّلَ في كتابه السابق على المسبوق في غير آية ولم يسبقني أحد من الأمة في الإسلام قالوا نعم قال أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت والسابقون السابقون أولئك المقربون سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أنزلها الله عز وجل في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي وصيي أفضل الأوصياء قالوا نعم قال أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** وحيث نزلت: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** وحيث نزلت **﴿لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾** وأمر الله عز وجل نبيه أن يعلمهم ولاة أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية كما فسر لهم من صلواتهم وزكواتهم وحججهم فنصبني للناس بغدير خم فقال أيها الناس إن الله جل جلاله أرسلني برسالة

ضاق بها صدري وظننت أن الناس يكذبني فأوعدني ربي ثم قال أتعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله فقال آخذ بيدي من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقام سلمان وقال يا رسول الله ولاء علي ماذا قال ولائه كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه فنزلت ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ فقال ﷺ الله أكبر بإكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء ربي برسالتي وولاية علي بعدي قالوا يا رسول الله هذه الآيات في علي خاصة قال بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة قالوا بينهم لنا قال علي أخي ووارثي ووصيي وولي كل مؤمن بعدي ثم ابني الحسن ثم الحسين ثم التسعة من ولد الحسين القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض قال بعضهم قد سمعنا ذلك وشهدنا وقال بعضهم قد حفظنا جل ما قلت ولم نحفظ كله وهؤلاء الذين حفظوا أخبارنا وأفاضلنا ثم قال أتعلمون أن الله أنزل: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ فجمعني وفاطمة وابني الحسن وحسيناً ثم ألقى علينا كساءاً وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي لحمهم لحمي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني ما يجرحهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة وأنا يا رسول الله فقال أنت إلى خير فقالوا نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك ثم قال أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ فقال سلمان يا رسول الله هذا عامة أم خاصة قال أما المأمورون فعامة المؤمنين وأما الصادقون فخاصة أخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة قالوا نعم فقال أنشدكم الله أتعلمون إني قلت لرسول الله ﷺ في غزاة تبوك خلفتني على النساء والصبيان فقال أن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي قالوا نعم قال أنشدكم الله

أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير**﴾ فقام سلمان فقال يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة إبراهيم قال عني بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصته قال سلمان بيّنهم لنا يا رسول الله قال أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي قالوا نعم قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال في خطبة في مواضع متعددة وفي آخر خطبة لم يخطب بعدها أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فقال كلهم نشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك.

وروى في المناقب بالسند المذكور عن سليم بن قيس الهلالي قال سمعت علياً صلوات الله عليه يقول وأتاه رجل فقال أرني أدنى ما يكون به العبد مؤمناً وأدنى ما يكون به العبد كافراً وأدنى ما يكون به العبد ضالاً فقال له قد سألت فافهم الجواب أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرّفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة ويعرفه نبيّه ﷺ فيقر له بالطاعة ويعرفه إمامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة قلت يا أمير المؤمنين وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت قال نعم إذا أمر أطاع وإذا نهي انتهى وأدنى ما يكون العبد به كافراً من زعم أن شيئاً نهى الله عنه إن الله أمره به ونصبه ديناً يتولى عليه ويزعم أنه يعبد الله الذي أمره به وما يعبد إلا الشيطان وأما أدنى ما يكون العبد به ضالاً أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عز وجل عباده بطاعته وفرض ولايته قلت يا أمير المؤمنين صفهم لي قال الذين قرنهم الله تعالى بنفسه وبنبيّه فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ فقلت له جعلني الله فداك أوضح لي فقال قال رسول الله ﷺ

في مواضع وفي آخر خطبة يوم قبضه الله عز وجل إليه إني تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي إن تمسكتم بهما كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي فإن اللطيف الخبير قد عهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض كهاتين وجمع مسبحتيه ولا أقول كهاتين وجمع مسبحته والوسطى فتمسكوا بهما ولا تقدموهم فتضلوا.

وروي في المناقب بالسند عن عيسى بن السري قال قلت لجعفر الصادق عليه السلام حدثني عما ثبت عليه دعائم الإسلام إذا أخذت بها زكى عملي ولم يضرني جهل ما جهلت قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة والإقرار بالولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله قال رسول الله صلى الله عليه وآله من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية قال الله عز وجل: ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ فكان علي صلوات الله عليه ثم صار من بعده حسن ثم حسين ثم من بعده علي بن الحسين ثم من بعده محمد بن علي وهكذا يكون الأمر أن الأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا وأهوى بيده إلى صدره يقول حينئذٍ لقد كان على أمر حسن.

وروي في المناقب عن ابن معاوية قال تلا محمد الباقر عليه السلام: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ الآية فإن خفتم تنازعا في الأمر فأرجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم ثم قال هكذا أنزلت وكيف يأمر بطاعتهم ويرخص في منازعتهم وقال عز وجل: ﴿**ولو ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم**﴾ الآية ﴿**لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾ فرد أمر الناس إلى أولي الأمر منهم الذين أمر الناس بطاعتهم وبالرد إليهم انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**﴾.

روي في المناقب عن ثابت الثمالي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام قال فينا نزل قول الله عز وجل: ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**﴾ أي جعل الإمامة في عقب الحسين إلى يوم القيامة وتفسير يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره الآية.

وفي المناقب عن علي بن الحسين عليه السلام قال إن الله متمم الإمامة وهي النور وذلك قوله تعالى: ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا**﴾ الآية ثم قال النور هو الإمام انتهى.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين**﴾.

عن أحمد بن حنبل في مسنده وابن المغازلي في المناقب بسنديهما عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال فينا نزلت هذه الآية.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**﴾.

أخرج أبو نعيم الحافظ والثعلبي والمالكي بأسانيدهم وروي سفيان الثوري هم جميعاً عن أبي سعيد الخدري وابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم وروي سفيان بن عيينة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قالوا علي وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما عن صاحبه وبينهما برزخ هو رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان هما الحسن والحسين عليهما السلام.

وروي في المناقب عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال كان أبو ذر

رضي الله عنه يقول أن هذه الآية: ﴿**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ نزلت في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فلا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا كافر فكونوا مؤمنين بحبهم ولا تكونوا كفّاراً ببغضهم فتلقون في النار انتهى.

ونزل في قول عز من قائل: ﴿**وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً**﴾ الآية.

روى أبو نعيم الحافظ وابن المغازلي أخرجا بسنديهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية في الخمسة أهل العباء ثم قال المراد من الماء نور النبي ﷺ الذي كان قبل خلق الخلق ثم أودعه في صلب آدم عليه السلام ثم نقله من صلب إلى صلب إلى أن وصل إلى صلب عبد المطلب فصار جزئين جزء إلى صلب عبدالله فولد النبي ﷺ وجزء إلى صلب أبي طالب فولد علياً ثم ألف النكاح فزوج علياً بفاطمة فولدا حسناً وحسيناً عليهما السلام انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.

أخرج الإمام الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير بالإسناد إلى أبان بن تغلب عن الإمام جعفر الصادق قال نحن حبل الله الذي قال: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ وعدّها بن حجر في الآيات النازلة فيهم فهي الآية الخامسة من آياتهم التي أوردها في الفصل الأول من الباب (١١) من صواعقه المحرقة ونقل في تفسيرها عن الثعلبي ما سمعته من قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقال الإمام الشافعي كما في رشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين شعراً:

ولمّـــا رأيـــت النـــاس قـــد ذهبـــت بهـــم
مـــذاهبهـــم فـــي أبحـــر الغـــيّ والجهـــل
ركبـــت علـــى إســـم الله فـــي سفـــن النجـــا
وهـــم أهـــل بيـــت المصطفـــى خـــاتـــم الـــرسـل
وأمسكـــــت حبـــــل الله وهـــــو ولاؤهـــــم
كمـــا قـــد أمـــرنـــا بـــالتمســـك بـــالحبـــل

ونزل قول عز من قائل: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم**﴾ الآية.

أخرج ابن مردويه في تفسير الآية أن المراد بمشاقة الرسول هنا إنما هي المشاقة في شأن علي وأن الهدى في قوله من بعد ما تبيّن له الهدى إنما هو شأنه عليه السلام وأخرج العياشي في تفسيره نحوه والصحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة في أن سبيل المؤمنين إنما هو سبيلهم عليهم السلام انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ**﴾.

أخرج الثعلبي في تفسيره هذه الآية من تفسيره الكبير عن ابن عباس قال لمّا نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره وقال أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون وهذا هو الذي أخرجه غير واحد من المفسرين وأصحاب السنن عن ابن عباس وعن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبدالله جعفر الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال كل إمام هادٍ في زمانه وقال الإمام أبو جعفر الباقر تفسيرها المنذر رسول الله والهادي علي ثم قال والله ما زالت فينا إلى الساعة انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله**

ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ الآية فقد أجمع المفسرون كما اعترف القوشجي وهو من أئمة الأشاعرة في مبحث الإمامة من شرح التجريد ـ على أن هذه الآية إنما نزلت في علي حين تصدق راكعاً في الصلاة.

كذا قال العلامة الحلي قده في شرحه لتجريد الاعتقاد لنصير الملّة والدين الخاجة نصير الدين الطوسي قدس الله روحه الزكية قوله في المسألة الخامسة في أن الإمام بعد النبي ﷺ بلا فصل علي بن أبي طالب عليه السلام قال ولقوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية وإنما اجتمعت الأوصاف في علي عليه السلام وقول العلاّمة هذا دليل آخر على إمامة علي عليه السلام والاستدلال بهذه الآية يتوقف على مقدمات أحديها أن لفظة إنما للحصر ويدل عليه المنقول والمعقول أما المنقول فلإجماع أهل العربية عليه وأما المعقول فلان لفظة أن للإثبات وما للنفي قبل التركيب فيكون كذلك بعد التركيب عملاً بالاستصحاب وللإجماع على هذه الدلالة ولا يصح تواردهما على معنى واحد ولا صرف الإثبات إلى غير المذكور والنفي إلى المذكور للإجماع فبقي العكس وهو صرف الإثبات إلى المذكور والنفي إلى غيره وهو معنى الحصر الثانية أن الولي يفيد الأولى بالتصرف والدليل على نقل أهل اللغة واستعمالهم كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وكقولهم ولي الدم وولي الميت وكقوله عليه السلام أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل الثالثة أن المراد بذلك بعض المؤمنين لأنه تعالى وصفهم بوصف مختص ببعضهم ولأنه لولا ذلك لزم اتحاد الولي والمولى عليه وإذا تمهدت هذه المقدمات فنقول المراد بهذه الآيات هو علي عليه السلام للإجماع الحاصل على أن من خصص بها بعض المؤمنين قال أنه علي عليه السلام فصرفها إلى غيره خرق للإجماع ولأنه عليه السلام أما كل المراد أو بعضه للإجماع وقد بينا عدم العمومية فيكون هو كل المراد ولأن المفسرين اتفقوا على أن المراد بهذه الآية علي عليه السلام لأنه لما

ولمّـــا رأيـــت النـــاس قـــد ذهبـــت بهـــم
مـــذاهبهـــم فـــي أبحـــر الغـــيّ والجهـــل
ركبـــت علـــى إســـم الله فـــي سفـــن النجـــا
وهـــم أهـــل بيـــت المصطفـــى خـــاتـــم الـــرســـل
وأمسكـــــت حبـــــل الله وهـــــو ولاؤهـــــم
كمـــا قـــد أمـــرنـــا بـــالتمســـك بـــالحبـــل

ونزل قول عز من قائل: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم﴾** الآية.

أخرج ابن مردويه في تفسير الآية أن المراد بمشاققة الرسول هنا إنما هي المشاقة في شأن علي وأن الهدى في قوله من بعد ما تبيّن له الهدى إنما هو شأنه عليه السلام وأخرج العياشي في تفسيره نحوه والصحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة في أن سبيل المؤمنين إنما هو سبيلهم عليهم السلام انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: **﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ﴾**.

أخرج الثعلبي في تفسيره هذه الآية من تفسيره الكبير عن ابن عباس قال لمّا نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره وقال أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون وهذا هو الذي أخرجه غير واحد من المفسرين وأصحاب السنن عن ابن عباس وعن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبدالله جعفر الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال كل إمام هادٍ في زمانه وقال الإمام أبو جعفر الباقر تفسيرها المنذر رسول الله والهادي علي ثم قال والله ما زالت فينا إلى الساعة انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله**

ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ الآية فقد أجمع المفسرون كما اعترف القوشجي وهو من أئمة الأشاعرة في مبحث الإمامة من شرح التجريد ـ على أن هذه الآية إنما نزلت في علي حين تصدق راكعاً في الصلاة.

كذا قال العلامة الحلي قده في شرحه لتجريد الاعتقاد لنصير الملّة والدين الخاجة نصير الدين الطوسي قدس الله روحه الزكية قوله في المسألة الخامسة في أن الإمام بعد النبي ﷺ بلا فصل علي بن أبي طالب عليه السلام قال ولقوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية وإنما اجتمعت الأوصاف في علي عليه السلام وقول العلاّمة هذا دليل آخر على إمامة علي عليه السلام والاستدلال بهذه الآية يتوقف على مقدمات أحديها أن لفظة إنما للحصر ويدل عليه المنقول والمعقول أما المنقول فلإجماع أهل العربية عليه وأما المعقول فلان لفظة أن للإثبات وما للنفي قبل التركيب فيكون كذلك بعد التركيب عملاً بالاستصحاب وللإجماع على هذه الدلالة ولا يصح تواردهما على معنى واحد ولا صرف الإثبات إلى غير المذكور والنفي إلى المذكور للإجماع فبقي العكس وهو صرف الإثبات إلى المذكور والنفي إلى غيره وهو معنى الحصر الثانية أن الولي يفيد الأولى بالتصرف والدليل على نقل أهل اللغة واستعمالهم كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وكقولهم ولي الدم وولي الميت وكقوله عليه السلام أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل الثالثة أن المراد بذلك بعض المؤمنين لأنه تعالى وصفهم بوصف مختص ببعضهم ولأنه لولا ذلك لزم اتحاد الولي والمولى عليه وإذا تمهدت هذه المقدمات فنقول المراد بهذه الآيات هو علي عليه السلام للإجماع الحاصل على أن من خصص بها بعض المؤمنين قال أنه علي عليه السلام فصرفها إلى غيره خرق للإجماع ولأنه عليه السلام أما كل المراد أو بعضه للإجماع وقد بينا عدم العمومية فيكون هو كل المراد ولأن المفسرين اتفقوا على أن المراد بهذه الآية علي عليه السلام لأنه لما

تصدق بخاتمه حال ركوعه نزلت هذه الآية فيه ولا خلاف في ذلك انتهى.

وأخرج النسائي في صحيحه نزولها في علي عن عبدالله بن سلام وأخرج نزولها أيضاً صاحب الجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير نزولها في أمير المؤمنين علي عليه السلام أما توجيه الاستدلال بآية الولاية والأدلة على نزولها بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام والصحاح في نزولها بعلي إذ تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة متواترة على أئمة العترة الطاهرة فقد جاء نصاً في هذا من طريق غيرهم حديث ابن سلام مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أورده النسائي في صحيحه في تفسير سورة المائدة من كتاب الجمع بين الصحاح الستة ومثله حديث ابن عباس وحديث علي مرفوعين أيضاً كما أورده الواحدي في أسباب النزول وقد أخرجه الخطيب في المتفق وابن مردويه في المسند والمتقي الهندي في كنز العمال والقوشجي من أعلام أهل السنة في مبحث الإمامة من شرح التجريد والنيسابوري الثعلبي المتوفي سنة ٣٣٧ ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان فقال كان أوحد زمانه في علم التفسير وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير إلى أن قال وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق نيسابور وأثنى عليه وقال هو صحيح النقل موثوق به فقد أخرج عند بلوغه هذه الآية في تفسيره الكبير بالإسناد إلى أبي ذر الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا صُمَّتا ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره إليه وكان يتختم بها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره فتضرع النبي صلى الله عليه وآله إلى الله عز وجل يدعوه فقال: اللهم إن أخي موسى سألك قال: **﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري**

وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً﴾ الآية فأوحيت إليه: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ الآية اللهم وإني عبدك ونبيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري قال أبو ذر فوالله ما أستتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرئيل بهذه الآية: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ الآية ويمكن القول هنا أن الولي هنا إنما هو الأولى بالتصرف كما في قولنا فلان ولي القاصر فمن كان ثَبَتٌ من إثبات العربية وملمٌ في العلوم اللغوية يدرك هذا المعنى في لفظ الولي في الرسالة الربانية بأن كل من وُلي أمر واحد فهو وليه فيكون المعني أن الذي يلي أموركم فيكون أولى بها منكم إنما هو الله عز وجل ورسوله وعلي لأنه هو الذي اجتمعت به هذه الصفات الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في حال الركوع ونزلت فيه الآية وقد أثبت الله عز قدسه فيها الولاية لنفسه تعالى ولنبيّه ولوليه على نسق واحد وولاية الله عز وجل عامة فولاية النبي والولي مثلها وعلى أسلوبها ولا يجوز أن يكون هنا بمعنى النصير أو المحب أو نحوهما إذ لا يبقى لهذا الحصر وجه كما لا يخفى.

أقول أما المعارضة التي أطلقها بعض القادحين إن لفظ الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون حقيقة في الجمع فكيف أطلق على الإمام عليه السلام وهو مفرد.

وبيان الملازمة أن العرب يعبرون عن المفرد بلفظ الجمع لنكتة تستوجب ذلك والاستدلال بقول عز من قائل في سورة آل عمران: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ الآية وإنما كان القائل نعيم بن مسعود الأشجعي وحده بأجماع المفسرين والمحدثين وأهل الأخبار فأطلق الله سبحانه عليه وهو مفرد لفظ الناس وهي للجماعة تعظيماً لشأن الذين لم يصغوا إلى قوله ولم يعبأوا بأرجافه وكان أبو سفيان أعطاه عشراً من الإبل على أن يثبط المسلمين

ويخوفهم من المشركين ففعل وكان مما قال لهم يومئذٍ أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فكره أكثر المسلمين الخروج بسبب إرجافه لكن النبي ﷺ خرج في سبعين فارساً ورجعوا سالمين فنزلت الآية: ثناء على السبعين الذين خرجوا معه ﷺ غير مبالين بأرجاف من أرجف وفي إطلاق لفظ الناس هنا على المفرد نكتة شريفة لأن الثناء على السبعين الذين خرجوا مع النبي يكون بسببها أبلغ مما لو قال الذين قال لهم رجل أن الناس قد جمعوا لكم كما لا يخفى ولهذه الآية نظائر في الكتاب والسنة وكلام العرب قال عز من قائل: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾** الآية وإنما كان الذي بسط يده إليهم رجل واحد من بني محارب يقال له غورث وقيل إنما هو عمرو بن جحاش من بني النضير استل السيف فهزه وهمّ أن يضرب به رسول الله ﷺ فمنعه الله عز وجل عن ذلك في قضية أخرجها المحدثون وأهل الأخبار والمفسرون وأوردها ابن هشام في غزوة في ذات الرقاع في الجزء الثالث من سيرته النبوية وقد أطلق الله سبحانه على ذلك الرجل وهو مفرد لفظ قوم وهي للجماعة تعظيماً لنعمة الله عز وجل عليهم في سلامة نبيهم ﷺ وأطلق في آية المباهلة لفظ الأبناء والنساء والأنفس وهي حقيقة في العموم ـ على الحسنين وفاطمة وعلي بالخصوص إجماعاً وقولاً واحداً تعظيماً لشأنهم عليهم السلام ونظائر ذلك لا تحصى ولا تستقصى وهذا من الأدلة على جواز إطلاق لفظ الجماعة على المفرد إذا اقتضته نكتة بيانية وقد.

ذكر الطبرسي في تفسير الآية من مجمع البيان أن النكتة في إطلاق لفظ الجمع على أمير المؤمنين تفخيمه وتعظيمه وذلك أن أهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التعظيم.

قال وذلك أشهر كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه.

وذكر الزمخشري في كشافه نكتة أخرى حيث قال فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل نواله ولينبّه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقّد الفقراء حتى أن هذا الأمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخره إلى الفراغ منها.

وقال الإمام شرف الدين الموسوي[1] في مراجعاته وعندي في ذلك نكتة ألطف وأدق وهي أنه إنما أتى بعبارة الجمع دون عبارة المفرد بقيأ منه تعالى على كثير من الناس فإن شانئي علي وأعداء بني هاشم وسائر المنافقين وأهل الحسد والتنافس لا يطيقون أن يسمعوها بصيغة المفرد إذ لا يبقى لهم حينئذٍ مطمع في التمويه ولا ملتمس في التضليل فيكون منهم ـ بسبب يأسهم ـ حينئذٍ ما تخشى عواقبه على الإسلام فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد اتقاء من معرتهم وبث فيهم أمر الولاية تدريجاً تدريجاً حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة جرياً منه ﷻ على عادة الحكماء في تبليغ الناس ما يشق عليهم ولو كانت الآية بالعبارة المختصة بالمفرد لجعلوا أصابعهم في آذانهم وأستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً وهذه الحكمة وطرده من كل ما جاء في القرآن الحكيم من آيات فضل أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين كما لا يخفى.

أقول فإن قالوا أن المراد من الولي في الآية إنما هو النصير أو المحب أو الصديق.

قلنا إن السياق غير دال على إرادة النصير أو نحوه بوجوه.

---

(١) انظر بتمعن وبعد نظر كتابيّ سبيل المؤمنين وتنزيل الآيات للإمام شرف الدين الموسوي قدس الله سره القدوسي.

الأول إن الآية بحكم المشاهدة مفصولة عمّا قبلها من الآيات الناهية عن اتخاذ الكفار أولياء خارجة عن نظمها إلى سياق الثناء على أمير المؤمنين وترشيحه ـ للزعامة والإمامة ـ بتهديد المرتدين ببأسه ووعيدهم بسطوته وذلك لأن الآية التي قبلها بلا فصل إنما هي قول عز من قائل: **﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾** الآية وهذه الآية مختصة بأمير المؤمنين ومنذرة ببأسه وبأس أصحابه كما نص عليه أمير المؤمنين يوم الجمل وصرح به الباقر والصادق عليهما السلام وذكره الثعلبي في تفسيره ورواه صاحب مجمع البيان عن عمار وحذيفة وابن عباس وعليه إجماع الشيعة وقد رووا فيه صحاحاً متواترة عن أئمة العترة الطاهرة فتكون آية الولاية على هذا واردة بعد الإيماء إلى ولايته والإشارة إلى وجوب إمامته ويكون النص فيها توضيحاً لتلك الإشارة وشرحاً لما سبق من الإيماء إليه بالإمارة فكيف يقال بعد هذا أن الآية واردة في سياق النهي[1] عن اتخاذ الكفار أولياء.

الثاني إن السياق لا يكافىء الأدلة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل أئمة عترته بمنزلة القرآن وأخبر أنهما لا يفترقان فهم عدل الكتاب وبهم يعرف

---

(١) نظير قول رسول الله صلى الله عليه وآله لن تنتهوا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان يضرب أعناقكم وأنتم مجفلون عنه إجفال الغنم فقال أحدهم أنا هو يا رسول الله قال لا، قال الآخر: أنا هو يا رسول الله قال لا، ولكنه خاصف النعل قال وفي كف علي نعل يخصفها لرسول الله صلى الله عليه وآله، اخرجه المتقي الهندي من الجزء السادس من كنز العمال. ومثله قوله صلى الله عليه وآله: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قوتلتم على تنزيله فقال أحدهم: أنا هو وقال الآخر أنا هو، قال لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة فخرج علي ومعه نعل رسول الله يخصفها. أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد في مسنده ورواه الحاكم في مستدركه وأبو يعلى في مسنده ونقله عنهم المتقي الهندي في كنزه.

الصواب وقد تواتر احتجاجهم بالآية وثبت عنهم تفسير الولي فيما بما قلناه فلا وزن للسياق لو سلم كونه معارضاً لنصوصهم ـ لا اعتبار للظاهر إذا عارض النص ـ فإن المسلمين كافة متفقون على ترجيح الأدلة على السياق فإذا حصل التعارض بين السياق والدليل تركوا مدلول السياق واستسلموا لحكم الدليل والسر في ذلك عدم الوثوق حينئذٍ بنزول الآية في ذلك السياق إذ لم يكن ترتيب الكتاب العزيز في الجمع موافقاً لترتيبه في النزول بإجماع الأمة وفي التنزيل كثير من الآيات الواردة على خلاف ما يعطيه سياقها كآية التطهير المنتظمة في سياق النساء مع ثبوت النص على اختصاصها بالخمسة أهل الكساء ولا مضر بالبلاغة فلا جناح بالمصير إليه إذا قامت قواطع الأدلة عليه انتهى.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾** الآية ذكرها الصافي وذكرها علي بن إبراهيم في تفسيره ووردت في رواية ابن بابويه عن كل من الباقر والصادق والرضا عليهم السلام وما أورده البحريني في تفسير هذه الآية من حديث أهل السنة في الباب ١١٥ من كتابه غاية المرام.

ونزل في علي عليه السلام قول عز من قائل: **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾** الآية فقد.

أخرجه الواحدي في سورة المائدة من كتابه أسباب النزول بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال نزلت هذه الآية يوم غدير خم في علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرجه الثعلبي في تفسيره بسندين ورواه الحموني الشافعي في فرائده

بطرق متعددة ونقله أبو نعيم في كتابه نزول القرآن بسندين أحدهما عن أبي رافع والآخر عن الأعمش عن عطية مرفوعين.

أقول فقد صدع رسول الله ﷺ بتبليغ هذه الآية الكريمة عن الله عز وجل يوم الغدير حيث هضب خطابه وعبّ عبابه فأنزل الله يومئذٍ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ الآية فقد.

أخرج الطبراني وغيره بسند ومجمع على صحته عن زيد بن أرقم قال خطب رسول الله ﷺ بغدير خم تحت شجرات فقال أيها الناس يوشك أن ادعى فأجيب وأني مسؤول وأنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلّغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً فقال أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قالوا بلى نشهد بذلك[1] قال اللهم اشهد ثم قال يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم[2] فمن كنت مولاه فهذا مولاه «يعني علياً» اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ثم قال يا أيها الناس إني فرطكم وأنكم واردون علي الحوض، حوض أعرض مما بين بَصَري إلى صنعاء فيه عدد النجوم قرصان من فضة وإني سائلكم حين تردون عليّ عن

---

(١) إن من تدبر في هذه الخطبة وأعطى التأمل فيها حقه فعلم أنها ترمي إلى أن ولاية علي من أصول الدين كما عليه الإمامية حيث سألهم أولاً أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلى أن قال: وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور، ثم عقب ذلك بذكر الولاية ليعلم أنها على حد تلك الأمور التي سألهم عنها فأقروا بها وهذا ظاهر لكل من عرف أساليب الكلام ومغازيه من أولي الأفهام.

(٢) قوله ﷺ: وأنا أولى قرينة لفظية على أن المراد من المولى إنما هو الأولى فيكون المعنى أن الله أولى بي من نفسي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه.

الثقلين كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض كما.

وأخرج الحاكم في مناقب علي عليه السلام في مستدركه من جزئه الثالث الحديث عن زيد بن أرقم كما.

وأخرج أحمد بن حنبل من حديث زيد بن أرقم حديث الولاية بكامله.

وأخرج النسائي من الخصائص العلوية عند ذكر قول النبي من كنت وليّه فهذا وليّه عن زيد بن أرقم قال لما دفع النبي من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن ثم قال كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ثم قال إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال من كنت وليه فهذا وليه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه قال أبو الطفيل فقلت لزيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله [1] فقال وأنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه كما وأخرج الإمام أحمد الحديث بعينه من حديث البرَّاء بن عازب كما وأخرجه النسائي عن عائشة بنت سعد من خصائصه العلوية في باب ذكر منزلة علي من الله عز

---

(١) إن سؤال أبي الطفيل ظاهر في تعجبه من هذه الأمة إذ صرفت هذا الأمر عن علي مع ما ترويه عن نبيها في حقه يوم الغدير وكأنه شك في صحة ما ترويه في ذلك فقال زيد حين سمع روايته منه: أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ كالمستغرب المتعجب الحائر المرتاب، فأجابه زيد بأنه لم يكن في الدوحات أحد على كثرة من كان يومئذٍ من الخلائق هناك إلا من رآه بعينيه وسمعه بأذنيه فعلم أبو الطفيل حينئذٍ أن الأمر كما قال الكميت بن زيد عليه الرحمة:

وجل وفي الصفحة الخامسة والعشرين من باب الترغيب في موالاته والترهيب من معاداته فافهم وتدبر.

أما قول من قال بأن التواتر غير ثابت من طرقهم فما الوجه في احتجاجكم بحديث الغدير مع عدم تواتره عندنا وأنتم متفقون على إعتبار التواتر فيما تحتجون به على الإمامة لأنها عندكم من أصول الدين **أقول** إن النواميس الطبيعية تقضي بتواتر نص الغدير من وجوه:

الأول: على أن تواتر حديث الغدير مما تقضي به النواميس التي فطر الله الطبيعة عليها شأن كل واقعة تأريخية عظيمة يقوم بها عظيم الأمة فيوقعها بمنظر وبمسمع من الألوف المجتمعة من أمته من أماكن شتى ليحملوا نبأها إلى من وراءهم من الناس ولا سيما إذا كانت من بعده محل العناية من أسرته وأوليائهم في كل خلف حتى بَلَغوا بنشرها وإذاعتها كل مبلغ فهل يمكن أن يكون نبؤها والحال هذه من أخبار الآحاد كلا بل لا بد أن ينتشر انتشار الصبح فينظح حاشيتي البر والبحر ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

الثاني: إن حديث الغدير كان محل العناية من الله عز وجل إذ أوحاه تبارك وتعالى إلى نبيّه ﷺ وأنزل فيه قرآناً يرتله المسلمون آناء الليل وأطراف النهار يتلون في خلواتهم وجلواتهم وفي أورادهم وصلواتهم وعلى أعواد منابرهم وعوالي منائرهم: ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ الآية[1] فلما بلّغ الرسالة

---

(١) أخبارنا في نزول هذه الآية بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم متواترة عن أئمة العترة الطاهرة ذكرها الإمام الواحدي في أسباب النزول والحافظ أبو نعيم في تفسيرها من كتابه نزول القرآن، وأخرجه الإمام أبو إسحاق الثعلبي في معنى الآية من تفسيره الكبير بسندين مُعْتَبَرين ومما يشهد له أن الصلاة كانت قبل نزولها قائمة والزكاة مفروضة والصوم كان مشروعاً والبيت محجوجاً والحلال مبيناً والحرام بيناً والشريعة متسقة وأحكامها مستتبة فإي شيء غير ولاية العترة يستوجب من الله هذا التأكيد ويقتضي الحض على بلاغه بما=

يومئذٍ بنصه على علي بالإمامة وعهده إليه بالخلافة أنزل الله عز وجل عليه: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ الآية بخ بخ لك يا ابن أبي طالب (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الآية إن من نظر إلى هذه الآيات نجع لهذه العنايات.

الثالث: وإذا كانت العناية من الله عز وجل على هذا الشكل فلا غرو أن يكون من عناية رسول الله ﷺ ما كان فإنه لما دنا أجله ونعيت إليه نفسه أجمع ـ بأمر الله تعالى ـ على أن ينادي بولاية علي في الحج الأكبر على رؤوس الأشهاد ولم يكتف بنص الدار يوم الإنذار بمكة ولا بغيره من النصوص المتوالية وقد سمعت بعضها فأذن في الناس قبل الموسم أنه حاج في هذا العام حجة الوداع فوافاه الناس من كل فج عميق وخرج من المدينة بنحو مئة ألف أو يزيدون فلما كان يوم الموقف بعرفات نادى في الناس علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي ولما قفل بمن معه من تلك الألوف وبلغوا وادي خم وهبط عليه الروح الأمين بآية التبليغ عن رب العالمين حطّ ﷺ هناك رحله حتى لحقه من تأخر عنه من الناس ورجع إليه من تقدمه منهم فلما اجتمعوا صلى بهم الفريضة ثم خطبهم عن الله عز وجل فصدع بالنص في ولاية علي عليه السلام وقد حمله عن رسول الله ﷺ كل من كان معه يومئذٍ من تلك الجماهير وكانت تربو على مائة ألف نسمة من بلاد شتى فسنّة الله عز وجل التي لا تبديل لها في خلقه تقتضي تواتره مهما كانت هناك موانع تمنع من نقله على أن لأئمة أهل البيت عليهم السلام طرقاً تمثل الحكمة في بثه وإشاعته.

الرابع: ما قام به أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته إذ جمع الناس في

= يشبه الوعيد وأي أمر غير الخلافة يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى العصمة من أذى الناس بأدائه.

وجل وفي الصفحة الخامسة والعشرين من باب الترغيب في موالاته والترهيب من معاداته فافهم وتدبر.

أما قول من قال بأن التواتر غير ثابت من طرقهم فما الوجه في احتجاجكم بحديث الغدير مع عدم تواتره عندنا وأنتم متفقون على إعتبار التواتر فيما تحتجون به على الإمامة لأنها عندكم من أصول الدين أقول إن النواميس الطبيعية تقضي بتواتر نص الغدير من وجوه:

الأول: على أن تواتر حديث الغدير مما تقضي به النواميس التي فطر الله الطبيعة عليها شأن كل واقعة تأريخية عظيمة يقوم بها عظيم الأمة فيوقعها بمنظر وبمسمع من الألوف المجتمعة من أمته من أماكن شتى ليحملوا نبأها إلى من وراءهم من الناس ولا سيما إذا كانت من بعده محل العناية من أسرته وأوليائهم في كل خلف حتى بَلَغوا بنشرها وإذاعتها كل مبلغ فهل يمكن أن يكون نبؤها والحال هذه من أخبار الآحاد كلا بل لا بد أن ينتشر انتشار الصبح فينظح حاشيتي البر والبحر ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

الثاني: إن حديث الغدير كان محل العناية من الله عز وجل إذ أوحاه تبارك وتعالى إلى نبيّه ﷺ وأنزل فيه قرآناً يرتله المسلمون آناء الليل وأطراف النهار يتلون في خلواتهم وجلواتهم وفي أورادهم وصلواتهم وعلى أعواد منابرهم وعوالي منائرهم: ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ الآية[1] فلما بلّغ الرسالة

---

(١) أخبارنا في نزول هذه الآية بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم متواترة عن أئمة العترة الطاهرة ذكرها الإمام الواحدي في أسباب النزول والحافظ أبو نعيم في تفسيرها من كتابه نزول القرآن، وأخرجه الإمام أبو إسحاق الثعلبي في معنى الآية من تفسيره الكبير بسندين مُعْتَبَرين ومما يشهد له أن الصلاة كانت قبل نزولها قائمة والزكاة مفروضة والصوم كان مشروعاً والبيت محجوجاً والحلال مبيناً والحرام بيناً والشريعة متسقة وأحكامها مستتبة فإي شيء غير ولاية العترة يستوجب من الله هذا التأكيد ويقتضي الحض على بلاغه بما =

يومئذٍ بنصه على علي بالإمامة وعهده إليه بالخلافة أنزل الله عز وجل عليه: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ الآية بخ بخ لك يا ابن أبي طالب (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الآية إن من نظر إلى هذه الآيات نجع لهذه العنايات.

الثالث: وإذا كانت العناية من الله عز وجل على هذا الشكل فلا غرو أن يكون من عناية رسول الله ﷺ ما كان فإنه لما دنا أجله ونعيت إليه نفسه أجمع ـ بأمر الله تعالى ـ على أن ينادي بولاية علي في الحج الأكبر على رؤوس الأشهاد ولم يكتف بنص الدار يوم الإنذار بمكة ولا بغيره من النصوص المتوالية وقد سمعت بعضها فأذن في الناس قبل الموسم أنه حاج في هذا العام حجة الوداع فوافاه الناس من كل فج عميق وخرج من المدينة بنحو مئة ألف أو يزيدون فلما كان يوم الموقف بعرفات نادى في الناس علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي ولما قفل بمن معه من تلك الألوف وبلغوا وادي خم وهبط عليه الروح الأمين بآية التبليغ عن رب العالمين حطّ ﷺ هناك رحله حتى لحقه من تأخر عنه من الناس ورجع إليه من تقدمه منهم فلما اجتمعوا صلى بهم الفريضة ثم خطبهم عن الله عز وجل فصدع بالنص في ولاية علي عليه السلام وقد حمله عن رسول الله ﷺ كل من كان معه يومئذٍ من تلك الجماهير وكانت تربو على مائة ألف نسمة من بلاد شتى فسنّة الله عز وجل التي لا تبديل لها في خلقه تقتضي تواتره مهما كانت هناك موانع تمنع من نقله على أن لأئمة أهل البيت عليهم السلام طرقاً تمثل الحكمة في بثه وإشاعته.

الرابع: ما قام به أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته إذ جمع الناس في

= يشبه الوعيد وأي أمر غير الخلافة يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى العصمة من أذى الناس بأدائه.

الرحبة فقال أنشد الله كل امرىء مسلم سمع[1] رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال إلا قام فشهد بما سمع ولا يقم إلا من رآه بعينيه وسمعه بأذنيه فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً فشهدوا أنه أخذه بيده فقال للناس أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم قال ﷺ من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه الحديث.

أقول أن تواطؤ الثلاثين صحابياً على الكذب مما يمنعه العقل فحصول التواتر بمجرد شهادتهم إذن قطعي لا ريب فيه وقد حمل هذا الحديث عنهم كل من كان في الرحبة من تلك الجموع فبثوه بعد تفرقهم في البلاد فطار كل مطير ولا يخفى أن يوم الرحبة إنما كان في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وقد بويع سنة خمس وثلاثين ويوم الغدير إنما كان في حجة الوداع سنة عشر فبين ـ في أقل الصور ـ خمس وعشرون سنة كان خلالها طاعون عمواس وحروب الفتوحات والغزوات على عهد الخلفاء الثلاثة وهذه المدة وهي ربع قرن بمجرد طولها وبحروبها وغاراتها وبطاعون عمواسها الجارف قد أفنت جل من شهد الغدير من شيوخ الصحابة وكهولهم ومن فتيانهم المتسرعين في الجهاد إلى لقاء الله عز وجل ورسوله ﷺ حتى لم يبق منهم حياً بالنسبة إلى من مات إلا قليل والأحياء منهم كانوا منتشرين في الأرض إذ لم يشهد منهم الرحبة إلا من كان مع أمير المؤمنين عليه السلام في العراق من الرجال دون النساء ومع هذا كله فقد قام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً فشهدوا بحديث

---

(١) حيث قال له علي عليه السلام ما لك لا تقوم مع أصحاب رسول الله ﷺ فتشهد بما سمعته يومئذٍ منه فقال يا أمير المؤمنين كبرت سني ونسيت فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة فما قام حتى ابيض وجهه برصاً فكان بعد ذلك يقول أصابتني دعوة العبد الصالح. أقول هذه منقبة مشهورة ذكرها الإمام ابن قتيبة الدينوري حيث ذكر أنساً من أهل العاهات من كتابه المعارف، ويشهد لها ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من الجزء الأول من مسنده ص١١٩ حيث قال فقاموا إلا ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوته.

الغدير سماعاً من رسول الله ﷺ ورب قوم أقعدهم البغض عن القيام بواجب الشهادة كأنس بن مالك وغيره فأصابتهم دعوة أمير المؤمنين عليه السلام ولو تسنى له أن يجمع كل من كان حياً يومئذٍ من الصحابة رجالاً ونساء ثم يناشدهم مناشدة الرحبة لشهد له أضعاف أضعاف الثلاثين.

الخامس: ولسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام موقف حصحص فيه الحق ـ كموقف أمير المؤمنين في الرحبة إذ جمع الناس ـ أيام الموسم بعرفات ـ فأشاد بذكر جده وأبيه وأمه وأخيه فلم يسمع سامع بمثله بليغاً حكيماً يستعبد الأسماع ويملك الأبصار والأفئدة جمع في خطابه فأوعى وتتبع فاستقصى وأدى يوم الغدير حقه ووفاه حسابه فكان لهذا الموقف العظيم أثره في اشتهار حديث الغدير وانتشاره.

السادس: وأن للأئمة التسعة من أبنائه الميامين طرقاً في نشر الحديث وإذاعته ـ تريك الحكمة المحسوسة بجميع الحواس كانوا يتخذون اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عيداً في كل عام يجلسون فيه للتهنئة والسرور بكل بهجة وحبور ويتقربون فيه إلى الله عز وجل بالصوم والصلاة والابتهال ـ بالأدعية ـ إلى الله ويبالغون فيه بالبر والإحسان شكراً لما أنعم الله به عليهم في مثل ذلك اليوم من النص على أمير المؤمنين بالخلافة والعهد إليه بالإمامة وكانوا يصلون فيه أرحامهم ويوسعون على عيالهم ويزورون إخوانهم ويحفظون جيرانهم ويأمرون أولياءهم بهذا كله.

السابع: وبهذا كان يوم ١٨ من ذي الحجة في كل عام عيداً عند الشيعة[1] في جميع الأعصار والأمصار يفزعون فيه إلى مساجدهم للصلاة

---

(١) قال ابن الأثير في عدة حوادث سنة ٣٥٢هـ من كامله من الجزء الثامن من تاريخه وفيها في ثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد ـ بغداد ـ وأشعلت النيران بمجلس الشرطة وأظهر الفرح وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد فعل ذلك =

فريضة ونافلة وتلاوة القرآن العظيم والدعاء بالمأثور شكراً لله تعالى على إكمال الدين وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام ويصدق أبو تمام في عبقريته الرائية شعراً في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وبيان مناقبه وخصوصاً منقبة الغدير وجاء في ديوانه على ذكر الغدير قوله:

ويوم الغدير استوضح الحق أهله ... بفيحاء ما فيها حجاب ولا ستر
أقام رسول الله يدعوهم بها ... ليقربهم عرف وينآهم نكر
يمد بضبعيه ويعلم أنه ... ولي ومولاكم فهل لكم خبر
يروح ويغدو بالبيان لمعشر ... يروح بهم غمر ويغدو بهم غمر
فكان له جهر بإثبات حقه ... وكان لهم في بزهم حقه جهر
أثمّ جعلتم حظه حد مرهف ... من البيض يوماً حظ صاحبه القبر

الثامن: بل لا ريب في تواتره من طريق الآخرين بحكم النوامس الطبيعية (لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). الآية. فقد ذكره السيوطي ومحمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ وأحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي فإنهم تصدوا بطرقه فأفرد له كل منهم كتاباً على حده وقد أخرجه بن جرير في كتابه من خمس وسبعين طريقاً وكذا ابن عقدة في كتابه من مائة وخمسة طرق والذهبي ـ على تشدده ـ صحح كثيراً من طرقه والسيوطي نقل الحديث في أحوال علي من كتابه تاريخ الخلفاء عن الترمذي ثم قال وأخرجه أحمد عن علي وأبي أيوب الأنصاري وزيد بن أرقم وأبو يعلى عن أبي هريرة والطبراني عن ابن عمر ومالك بن الحويرث وحبشي بن جنادة وجرير وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري وأنس قال والبزار عن ابن عباس وعمارة وبريدة مما يدل على شيوع هذا الحديث وإذاعته ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده

= فرحاً بعيد الغدير وضربت الدبادب والوبقات وكان يوماً مشهوداً.

الجزء الخامس ص ٤١٩ عن رياح بن الحارث من طريقين إليه قال جاء رهط إلى علي فقالوا السلام عليك يا مولانا قال من القوم قالوا مواليك يا أمير المؤمنين قال كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب قالوا سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول من كنت مولاه فإن هذا مولاه قال رياح فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري أقول ومما يدل على تواتره ما أخرجه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره سورة المعارج من تفسيره الكبير بسندين معتبرين أن رسول الله ﷺ لما كان يوم غدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له فأناخها ونزل عنا وقال يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترضى بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال ﷺ فوالله الذي لا إله إلا هو إن هذا لمن الله عز وجل فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب إليم فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله سبحانه بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله وأنزل الله تعالى: **﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج﴾** انتهى الحديث بعين لفظه[1].

أقول إن خصائص علي بن أبي طالب عليه السلام وجه إستدلالي على إمامته فإن من كان متبصراً ثاقب الروية بعيد المرمى خبيراً بموارد الكلام ومصادره بصيراً بمراميه ومغازيه مستبصراً بهدي رسول الله ﷺ وحكمته البالغة ونبوته

(١) انظر نور الأبصار للعلامة الشبلنجي المصري في أحوال علي، ص ١١ نقلاً عن الثعلبي.

الخاتمة مقدراً قدره في أفعاله وأقواله وأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ولا تفوته مقاصد تلك السنن ولا تخفى عليه لوازمها عرفاً وعقلاً إذ أن تلك السنن قد أعطت علياً من المنازل المتعالية ما لا يجوز على الله تعالى وأنبيائه إعطاؤها إلا لخلفائهم وأمنائهم على الدين وأهله فإذا لم تكن دالة على الخلافة بالمطابقة فهي كاشفة عنها البتة ودالة عليها لا محالة بالدلالة الالتزامية واللزوم فيها بيّن بالمعنى الأخص وحاشا سيد الأنبياء أن يعطي تلك المنازل الرفيعة إلا لوصيه من بعده ووليه في عهده على أن من سبر غور سائر السنن المختصة بعلي وعجم عودها بروية وإنصاف وجدها بأسرها ترمي إلى إمامته وتدل عليها إما بدلالة المطابقة كالنصوص النقلية وكعهد الغدير وأما بدلالة الالتزام كالسنن النبوية كقوله ﷺ علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض وقوله ﷺ علي مني بمنزلة رأسي من بدني وقوله ﷺ في حديث عبد الرحمن بن عوف والذي نفسي بيده لتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة أو لأبعثن إليكم رجلاً مني أو كنفسي[1] الحديث.

(١) والحجة على أن علياً كنفس رسول الله ﷺ آية المباهلة على ما فصّله الفخر الرازي في معناها من تفسيره الكبير ـ مفاتيح الغيب ـ من جزءه الثاني ما ذكره الحجة السيد شرف الدين الموسوي في مباحث الآية في كتابه الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء.

دفع التأويل عن حديث الغدير

أقول إن رسول الله ﷺ عظيم في حكمته البالغة وعصمته الواجبة ونبوته الخاتمة وأنه سيد الحكماء وخاتم الأنبياء وما ينطق عن الهوى ﴿**إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى**﴾ الآية فلو سألكم فلاسفة الأغيار عما كان منه يوم غدير خم فقال لماذا منع تلك الألوف المؤلفة يومئذٍ عن المسير وعلى ما حبسهم في تلك الرمضاء بهجير، وفيم اهتم بإرجاع من تقدم منهم وإلحاق من تأخر ولم أنزلهم جميعاً في ذلك العراء على غير كلأ ولا ماء ثم خطبهم عن الله عز وجل في ذلك المكان الذي منه يتفرقون ليبلغ الشاهد منهم الغائب وما المقتضي لنعي نفسه إليهم في مستهل خطابه إذ قال يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني مسؤول وأنكم مسؤولون الحديث وأي أمر يسأل النبي ﷺ عن تبليغه وتسأل الأمة عن طاعتها فيه ولماذا سألهم فقال ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأنّ ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قالوا بلى نشهد بذلك ولماذا أخذ حينئذٍ على سبيل الفور بيد علي فرفعها إليه حتى بان بياض إبطيه فقال يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين الحديث ولماذا فسر كلمته ـ وأنا مولى المؤمنين ـ بقوله وأنا أولى بهم من أنفسهم الحديث ولماذا قال بعد هذا التفسير من كنت مولاه فهذا مولاه أو من كنت وليّه فهذا وليّه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله الحديث ولم خصه بهذه الدعوات التي لا يليق لها إلا أئمة الحق وخلفاء الصدق ولماذا أشهدهم من قبل فقال ألست أولى بكم من أنفسكم فقالوا بلى فقال من كنت مولاه

فعلي مولاه أو من كنت وليّه فعليٌّ وليّه الحديث ولماذا قرن العترة بالكتاب وجعلها قدوة لأولي الألباب إلى يوم الحساب وفيم هذا الاهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم وما المهمة التي احتاجت إلى هذه المقدمات كلها وما الغاية التي توخاها في هذا الموقف المشهود وما الشيء الذي أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عز من قائل: ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ الآية. وأي مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد واقتضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه.

أقول لا يمكن التجويز على سيد الحكماء وخاتم الرسل والأنبياء إلى تبيين شيء بيّن لا يحتاج إلى بيان وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان ولا شك بأننا ننزه أفعاله وأقواله عن أن تزدري بها العقلاء أو ينتقدها الفلاسفة والحكماء بل لا ريب في أننا نعرف مكانة قوله وفعله من الحكمة والعصمة وقد قال عز من قائل: ﴿**إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثمَّ أمين وما صاحبكم بمجنون**﴾ الآية فيهتم بتوضيح الواضحات وتبيين ما هو بحكم البديهيات ويقدم لتوضيح هذا الواضح مقدمات أجنبية لا ربط لها بها ولا دخل لها فيه تعالى عن ذلك ورسوله علواً كبيراً وأننا نعلم أن الذي يناسب مقامه في ذلك الهجير ويليق بأفعاله وأقواله يوم الغدير إنما هو تبليغ عهده وتعيين القائم مقامه من بعده والقرائن اللفظية والأدلة العقلية توجب القطع الثابت الجازم بأنه ﷺ ما أراد يومئذٍ إلا تعيين علي ولياً لعهده وقائماً مقامه من بعده فالحديث مع ما قد حف به من القرائن نص جلي في خلافة علي لا يقبل التأويل وليس إلى صرفه عن هذا المعنى من سبيل وهذا واضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

دفع المآلية عن نص الغدير وخير من ذهب إلى دفع هذه الشبهة السيد

شرف الدين الموسوي في مراجعاته فراجع ـ قول من قال أن علياً أولى بالإمامة حين يختاره المسلمون لها ويبايعون بها فتكون أولويته المنصوص عليها يوم الغدير مآلية لا حالية وبعبارة أخرى تكون أولوية بالقوة لا بالفعل لئلا تنافي خلافة الأئمة الثلاثة الذين تقدموا عليه.

أقول لا يجتمع هذا مع حكمة النبي ﷺ ولا مع بلاغته ولا مع شيء من أفعاله العظيمة وأقواله الجسيمة يوم الغدير ولا مع ما أشرنا إليه سابقاً من القرائن القطعية ولا مع ما فهمه الحارث بن النعمان الفهري من الحديث فأقره الله تعالى على ذلك ورسوله ﷺ والصحابة كافة.

وقد قال شرف الدين الموسوي قدس سره موضوحاً التضادد والتناحر بين الأولوية المآلية وعموم حديث الغدير على أن الأولوية المالية لا تجتمع مع عموم الحديث لأنها تستوجب أن لا يكون علي مولى الخلفاء الثلاثة ولا مولى واحد ممن مات من المسلمين على عهدهم كما لا يخفى وهذا خلاف ما حكم به الرسول حين قال ﷺ ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى فقال من كنت مولاه ـ يعني من المؤمنين فرداً فرداً ـ فعلي مولاه غير استثناء وقد قالا فيه الأول والثاني[1] ـ أي لعلي ـ حين سمعا رسول الله ﷺ يقول فيه يوم الغدير ما قال أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة فصرّحا بأنه مولى كل مؤمن ومؤمنة على سبيل الاستغراق لجميع المؤمنين والمؤمنات منذ أمسى مساء الغدير وقيل للثاني إنك تصنع لعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي ﷺ فقال أنه مولاي فصرح بأنه مولاه ولم يكونوا حينئذٍ قد اختاروه للخلافة ولا بايعوه بها فدلّ ذلك على أنه مولاه ومولى كل مؤمن

(١) أخرج الدارقطني ـ تجده في الفصل الخامس من الباب الأول من صواعق ابن حجر، وقد أخرجه أحمد بن حنبل من مسنده هذا القول من الثاني من حديث البراء بن عازب، فراجع.

ومؤمنة بالحال لا بالمال منذ صدع رسول الله ﷺ بذلك عن الله تعالى يوم الغدير واختصم أعرابيان إلى الثاني فالتمس من علي القضاء بينهما فقال أحدهما هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلابيبه وقال ويحك ما تدري من هذا هذا مولاك ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

أقول حاشا الله إذ لا يكون له ـ بناء على فلسفة ابن حجر وأضرابه ـ مقصد يتوخاه في ذلك الموقف الرهيب سوى بيان أن علياً بعد وجود عقد البيعة له بالخلافة يكون أولى بها وهذا معنى تضحك من بيانه السفهاء فضلاً عن العقلاء لا يمتاز ـ عندهم ـ أمير المؤمنين به على غيره ولا يختص فيه ـ على رأيهم ـ واحد من المسلمين دون الآخر لأن كل من وجد عقد البيعة له كان ـ عندهم ـ أولى بها فعلي وغيره من سائر الصحابة والمسلمين في ذلك شرع سواء فما الفضيلة التي أراد النبي ﷺ يومئذٍ أن يختص بها علياً دون غيره من أهل السوابق مثل هذا فلسفتهم يا مسلمون؟

أما قولهم بأن أولوية علي بالإمامة لو لم تكن مآلية لكان هو الإمام مع وجود النبي ﷺ فتمويه عجيب وتضليل غريب وتغافل عن عهود كل من الأنبياء والخلفاء والملوك والأمراء إلى من بعدهم وتجاهل بما يدل على حديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وتناس لقوله ﷺ في حديث الدار يوم الإنذار فاسمعوا له وأطيعوا ونحو ذلك من السنن المتضافرة على أنا لو سلمنا بأن أولوية علي بالإمامة لا يمكن أن تكون حالية لوجود النبي ﷺ فلا بد أن تكون بعد وفاته بلا فصل عملاً بالقاعدة المقررة عند الجميع أعني حمل اللفظ ـ عند تعذر الحقيقة على أقرب المجازات إليها كما لا يخفى انتهى.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**وقفوهم أنهم مسؤولون**﴾ الآية أي وقفوهم أنهم مسؤولون عن ولاية علي عليه السلام.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾ الآية.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾ عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال ﷺ سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه وغفر له والآية في تفسيرها من الجري وبيان المصداق.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ الآية فهم المحسودون في هذه الآية.

ونزل ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا**﴾ الآية فقد أخرج ثقة الإسلام الكليني محمد بن يعقوب بسنده الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم**﴾ الآية أخرج الحاكم بسنده إلى سلمان رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول يا علي إنك والأوصياء من ولدك على الأعراف الحديث وجاء في التفسير عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه أخرجه الثعلبي في معنى الآية من تفسيره.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**من المؤمنين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً**﴾ الآية.

ذكر ابن حجر من صواعقه المحرقة حيث ذكر وفاة علي أنه عليه السلام سئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾

الآية فقال اللهم غفراً هذه الآية نزلت فيّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحرث بن المطلب فأما عبيدة فقد قضى نحبه شهيداً يوم بدر وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته وهامته عهد عهده إليّ حبيبي أبو القاسم ﷺ هذا بعين لفظه فانظر وتدبر انتهى.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ الآية عن تفسير مجاهد ويعقوب بن سفيان عن ابن عباس في قول عز من قائل: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً**﴾ إن دحية الكلبي جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة فنزل عند أحجار الزيت ثم ضرب بالطبول ليؤذن الناس بقدومه فنفر الناس إليه وتركوا النبي ﷺ قائماً يخطب على المنبر إلا علياً والحسن والحسين وفاطمة وسلمان وأبا ذر والمقداد فقال النبي ﷺ لقد نظر الله إلى مسجدي يوم الجمعة فلولا هؤلاء لأضرمت المدينة على أهلها وحصبوا بالحجارة كقوم لوط وأنزل الله فيمن بقي مع رسول الله في المسجد قوله تعالى: ﴿**يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة**﴾ الآية.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**﴾ أخرجه الثعلبي في تفسيره الكبير بالإسناد إلى أنس بن مالك قرأ رسول الله هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فقام أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها وأشار إلى بيت علي وفاطمة قال نعم من أفاضلها.

ونزل قول عز من قائل: ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دُري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه**

نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ الآية.

ذكر الإمام الموسوي شرف الدين قدس سره في مراجعاته أن تفسير آية النور بعين لفظه أخرجه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بالإسناد إلى علي بن جعفر قال سألت أبا الحسن (الكاظم) عن قوله عز وجل كمشكاة فيها مصباح قال عليه السلام المشكاة فاطمة والمصباح الحسن والحسين والزجاجة كأنها كوكب دري قال كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين توقد من شجرة مباركة شجرة إبراهيم لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء قال يكاد العلم ينطق منها ولو لم تمسسه نار نور على نور قال فيها أمام بعد أمام يهدي الله لنوره من يشاء يهدي الله لولايتنا من يشاء.

ونزل قول عز من قائل: **﴿السابقون السابقون أولئك المقربون﴾** الآية ذكر الإمام الموسوي شرف الدين نقلاً عن ابن حجر في صواعقه المحرقة عن عائشة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي قال السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب وذكر الإمام الموسوي الحديث ٣٠ من الصواعق عن ابن عباس قال قال رسول الله الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب ياسين وعلي بن أبي طالب وأخرج أبو نعيم وابن عساكر كما في الحديث ٣١ من الصواعق ـ عن ابن أبي ليلى أن رسول الله قال الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل ياسين قال يا قوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون قال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم الحديث بعين لفظه فانظر مراجعات الإمام شرف الدين الموسوي.

ونزل قول عز من قائل: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**

بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أخرج الإمام الواحدي في أسباب النزول بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ قال نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحداً وبالنهار واحداً وفي السر واحداً وفي العلانية واحداً كذلك أخرج المحدثون والمفسرون وأصحاب الكتب في أسباب النزول بأسانيدهم إلى ابن عباس.

ونزل قول عز من قائل: ﴿سلام على آل ياسين﴾ الآية ذكر الإمام شرف الدين الموسوي في مراجعاته أن هذه الآية هي الآية الثالثة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه ونقل أن جماعة من المفسرين نقلوا عن ابن عباس القول بأن المراد بها السلام على آل محمد قال ابن حجر وكذا قال الكلبي إلى أن قال وذكر الفخر الرازي أن أهل بيته يساوون في خمسة أشياء في السلام قال السلام عليك أيها النبي وقال سلام على آل ياسين (يَسين) وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي الطهارة قال الله تعالى طه أي يا طاهر وقال ويطهركم تطهيراً وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى: ﴿فأتبعوني يحببكم الله﴾ وقال ﴿لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾.

ونزل قول عز من قائل: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ عندما نزل ﴿إن الله وملائكته﴾ الآية قالوا يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث قال الشيخ كاظم الأزري شعراً:

من يباريهم وفي الشمس معنى ... مجهد متعب لمن باراها

وقال في موضع آخر:

وهو بعد النبي خير البرايا ... والسماء خير ما بها قمراها
وهو في آية التباهل نفس المصطفى ... ليس غيره إياها
وهما مقلتا العوالم يسراها ... عليٌّ وأحمد يمناها
إنما المصطفى مدينة علم ... وهو الباب من أتاه أتاها

الولاية العلوية في السنة النبوية

نورد على سبيل العرض بعضاً من موارد السنة النبوية المشرفة التي نصت بالتصريح لا بالتلميح على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ويكون ذلك على بابين: باب ما أورده أصحاب المذاهب وباب ما أورده علمائنا الأفاضل قدس الله أسرارهم.

الباب الأول: ما أخرجه أصحاب المذاهب:

فقد أخرج أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء قوله صلى الله عليه وآله لعلي؛ مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين، انتهى.

كما أخرج أبونعيم الحافظ في حليته عن أنس ونقله ابن أبي الحديد مفصلاً من شرح النهج الحديدي قوله صلى الله عليه وآله: أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين، فدخل علي فقام إليه مستبشراً فاعتنقه وجعل يمسح عرق جبينه وهو يقول له: أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي، انتهى.

وأخرج الطبراني في الكبير قوله صلى الله عليه وآله: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل، انتهى.

وأخرج أبو نعيم في حليته من حديث أبي برزة الأسلمي وأنس بن مالك ونقله علاّمة المعتزلة في شرح النهج الحديدي قوله صلى الله عليه وآله: إن الله عهد إليّ في

علي أنه راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني وهو الكلمة التي التزمها المتقين، الحديث.

وأخرج الترمذي في صحيحه قوله ﷺ: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وقد أورد السيد شرف الدين الموسوي (قده) في المراجعة ٤٨ م مراجعاته الفقرة ١١ نقلاً عن إخراج الديلمي من حديث أبي ذر كما في صفحة ١٥٦ من الجزء السادس من كنز العمال قوله ﷺ: علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به حبه إيمان وبغضه نفاق الحديث وفيما نقله ابن حجر عن ابن السمّاك في المقصد الخامس من مقاصد الآية ١٤ التي أوردها في صواعقه قوله ﷺ: علي مني بمنزلتي من ربي الحديث وقد أخرج الحاكم في المستدرك قوله ﷺ: يا علي أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله الويل لمن أبغضك من بعدي، انتهى.

الباب الثاني: فيما ورد عن أئمة الإمامية من النصوص النبوية:

ونورد منها على سبيل الإجمال ما نقله أعلامنا الأعلام من أقوال سيد الأنام صلى الله عليه وعلى آله أشرف السلام صحاح متواترة عن طريق العترة الطاهرة فقد أخرج الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي في إكمال الدين وإتمام النعمة بالإسناد إلى عبد الرحمن بن سمرة في حديث عن رسول الله ﷺ جاء فيه: يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي، الحديث.

كما **أخرج** الصدوق في الإكمال أيضاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منها فجعلني نبياً ثم اطلع الثانية فاختار علياً فجعله إماماً ثم أمرني أن أتخذه أخاً

ووليا ووصياً وخليفة ووزيراً، الحديث.

وأخرج الصدوق في الإكمال أيضاً بسنده إلى الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من حديث قال فيه: أنا وعلي أبوا هذه الأمة من عرفنا فقد عرف الله ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل ومن علي سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ومن ولد الحسين تسعة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي تاسعهم قائمهم ومهديهم، انتهى.

وأخرج الصدوق في أماليه عن الإمام الصادق عن آبائه مرفوعاً حديث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: علي مني وأنا من علي خلق من طينتي يبيّن للناس ما اختلفوا فيه من سنتي وهو أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وخير الوصيين، الحديث.

وأخرج الصدوق في أماليه أيضاً بسنده إلى علي مرفوعاً من حديث طويل قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: إن علياً أمير المؤمنين بولاية من الله عز وجل عقدها فوق عرشه وأشهد على ذلك ملائكته وأن علياً خليفة الله وحجة الله وأنه لإمام المسلمين، الحديث.

كما أخرج الصدوق في أماليه أيضاً بسنده إلى أمير المؤمنين قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فقال: أيها الناس أنه قد أقبل شهر الله.. ثم ساق الحديث في فضل شهر رمضان، قال علي: فقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ قال: الورع عن محارم الله، ثم بكى فقلت يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكي مما يستحل منك في هذا الشهر.. إلى أن قال: يا علي أنت وصيي وأبو ولدي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي أمرك أمري ونهيك نهيي، الحديث.

كما وأخرج الصدوق في أماليه أيضاً عن علي عليه السلام قال: قال رسول

الله ﷺ: يا علي أنت أخي وأنا أخوك أنا المصطفى للنبوة وأنت المجتبى للإمامة أنا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل وأنت أبو هذه الأمة، يا علي أنت وصيي وخليفتي ووزيري ووارثي وأبو ولدي، الحديث.

كما **وأخرج** الصدوق في كتاب النصوص على الأئمة أيضاً بسنده إلى الحسين بن علي قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿**وأولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾ سألت رسول الله عن تأويلها فقال: أنتم أولي الأرحام فإذا مت فأبوك علي أولى بي وبمكاني فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به فإذا مضى الحسن فأنت أولى به، الحديث. انظر الحديث بكامله في الدمعة في تفسير سورة الأنفال عن الحسين بن علي عليه السلام إلى أن قال فيه: فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك فهذه الأئمة التسعة من صلبك أعطاهم الله علمي وفهمي طينتهم من طينتي ما لقوم يؤذونني فيهم لا أنالهم الله شفاعتي، انتهى.

أقول: وإني ألقيت هذه النصوص النبوية الشريفة على سبيل العجالة في هذين البابين لا على سبيل التوسعة إلا كنسبة الباقة إلى الزهر أو القطرة إلى البحر وهذا سند واضح المعالم لكشف المرام وتلقيح الأفهام لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فافهم وتدبر في إنزال الله جل جلاله رسوله وصفيه ونجيبه وحبيبه وصفوته من خلقه وآل بيته المشرفين نجوم الدجى وأعلام الورى والعروة الوثقى المنزلة الخصيصة والدرجة الرفيعة فهم أبواب الله وآيات الله ونور الله ووجه الله وستر الله وهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وموضع سره.

فقد جاء في المناقب عن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن علي المرتضى عليهم السلام عن أبيه عن جده الحسن السبط قال: خطب جدي ﷺ يوماً فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه: معاشر الناس إني أدعى

فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فتعلّموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ولا تخلوا الأرض منهم ولو خلت لانساخت بأهلها، ثم قال: اللهم إنك لا تخلي الأرض من حجة على خلقك لئلا تبطل حجتك ولا تضل أوليائك بعد إذ هديتهم أولئك الأقلون عدداً والأعظمون قدراً عند الله عز وجل ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والحكمة في عقبي وعقب عقبي وفي زرعي وزرع زرعي إلى يوم القيامة فاستجيب لي.

وقال الحسين بن علي عليه السلام: نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالي المسلمين ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذن الله وبنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منا لانساخت بأهلها، ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها ولولا ذلك لم يعبد الله، الحديث.

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين وسيد الساجدين: نحن الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها.

وفي عيون الأخبار عن الرضا عن أبي الصلت الهروي قال الإمام الرضا عليه السلام:

الإمام وحيد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذي يبلغ معرفة حقيقة الإمام ويمكنه اختباره هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وتصاغرت العظماء وتقاصرت

الحكماء وعميت البلغاء عن وصف شأن من شؤونه أو فضيلة من فضائله وكيف يوصف أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره فأين الاختبار ومن هذا وأين إدراك العقول من هذا وأين يوجد مثل هذا؟.

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة خطبها بعد انصرافه من صفين: بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار ما شككت في الحق مذ رأيته لم يوجس موسى خيفة على نفسه بل أشفق من غلبه الجهال وذل الضلال.

ومن خطبته: فأين تذهبون وأنى تؤفكون والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وأوردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله أنه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلي منّا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا بمن لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر ألم أترك فيكم الثقل الأصغر وركزت فيكم راية الإيمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام وألبستكم العافية من عدلي وأفرشتكم المعروف من قولي وفعلي وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل إليه الفكر.

ومن خطبته: انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجونكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فألبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تستبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا.

ومن خطبته أيضاً: استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفى عنا وعنكم بفضل الله ورحمته الزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم وهوى ألسنتكم ولا تستعجلوا ما لم يعجله الله لكم فإنه من

مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام أصلاته لسيفه فإن لكل شيء مدة وأجلاً، انتهى.

ومن كلامه لكميل بن زياد النخعي قال كميل بن زياد: أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بيدي فأخرجني إلى الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك، الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال والعلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله، يا كميل معرفة العلم دين يدان به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون وهم أموات ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ها إن هاهنا لعلماً جماً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة بل أصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدين للدنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحجته على أوليائه أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في إحنائه يتقدم الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ألا لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللذة سلس القيادة للشهوة أو مغرماً بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم ويموت حامليه.

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا وأين اولئك، أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً بهم يحفظ حججه وبيّناته حتى يودعها

نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم، انتهى.

القول الظاهر في علم الإمام الزاخر

بحث في علم الإمام:

في ابتداء بحثنا آثرنا على أنفسنا أن لا نطرق ما يكون صعب الإفهام لدى الأعزاء الكرام إلا أنه غلواء أصحاب الأوهام وتجرئهم على حجج الله وأوليائه وأمنائه الكرام خصوصاً في مباحث علومهم عليهبم أفضل الصلاة والسلام وذلك شبهة مسارعتهم إلى مصارعهم إما لجهلهم بهم وقياسهم على سائر الأنام أو لضعف إدراكهم بجواهر الأمور والعلوم أو يكون من باب اللجاج والعناد أو لبغضهم وحسدهم عليهم يريدون به الإضلال والتلبيس على العوام والتقرب إلى إخوانهم الأبالسة الئام فآثرت الغور في اليم والوقوف على ساحل بحر علمهم الزاخر بقدر فهمي القاصر لغرض توضيح المرام وتلقيح الأفهام. ويقول الفقير إلى رحمة ربه بصّره الله بعيون نفسه وجعل يومه خيراً من أمسه وجعل محمد ﷺ الكرام ملاذه وأنسه في فزعه وخوفه وندعو من العزيز القدير إصلاح أمور المسلمين بمحمد وآله سادات الخلق أجمعين.

وجملة الكلام أقول في هذا المقام حسبما تقتضيه الأدلة بين ما ورد من النفي والإثبات لعموم علمهم عليهم أفضل الصلاة والسلام.

أن في جملة ما أورده علماء الكلام في علم الإمام، أما بالنسبة إلى الماضي مما كان ومما دخل تحت المشيئة والإمكان الجائز قبل شموله رتبة الأكوان يعني ما شاء الله كونه ولو لم يرجّح وجوده وشاء تكوينه وإن لم يتعلق بعد به التكوين فيعلمونها بتعليمه سبحانه إياهم بواسطة رسول الله ﷺ علم

شهود وعيان قال عز من قائل: ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه**﴾ الآية، أي بمعلوماته الجوامع والصافي وقال عز من قائل: ﴿**إلا بما شاء**﴾ الآية، وعلّمه عباده وفتح لهم باب إدراكه أو ما شاء ان يعلمهم ويكلمهم عليه عن الطبرسي، وقال الشيخ السنقري في كتاب الإلهام في علم الإمام: فهم العالمون منها بكل ما أحاطت به المشيئة الحادثة من العلم الممكن المقدور الذي يعم المكون والمكون منه ولم يكن تعليمه سبحانه إياهم عليهم السلام أنه أعلمهم ورفع يده عنهم فيلزم والعياذ بالله الاستغناء الباطل فيجوز أن لا يعلموا شيئاً بعد تلك اللحظة التي علمهم الله فيها إلا بتعليم جديد كما هو شأن يحتاج إلى الغني الدائم وعليه يحمل عمومات النفي وهذا العلم كما تراه بسعته إنما هو العلم بالشهادة والمشهود، والمتناهي المحدود وليس من الغيب بشيء، انتهى.

روي في تفسير البرهان للمقدس السيد هاشم البحراني رضوان الله عليه بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول عز من قائل: ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ قال عليه السلام الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان وهذا بالنسبة إلى الماضي والحال.

وأما بالنسبة إلى ما لم يكن وسيكون وهو الغيب المقابل للشهادة والذي كانوا ينفونه عن أنفسهم ومنه العلم بما كان من حيث أن الكائن هل هو يبقى أويتغير فإن ذلك موقوف على المشيئة سواء أخبر به مشروطاً أو موقوفاً أو مسكوتاً عنه تصديقاً لوعده أنه في قوله تعالى: ﴿**لا يخلف وعده رسله**﴾ الآية، ولن يكذب أنبياء ولا أوصياء أنبيائه بل المحتوم منه أيضاً يعلمونه كما أخبرهم الله به وليس على وجه الوجوب الغير المتعلق به القدرة فله سبحانه أن يغيرها إن شاء كيف يشاء وإن كانوا لا يعلمون إنه هل يشاء ذلك أم لا، فإن ما أخبرهم وإن كان محتوماً وهذا أحد وجوه الجواب عن

الشبهة فيما ورد من البداء من المحتوم في إحدى مراتبه ولكنه من الممكنات والممكن لا يخرج بإخباره ﷺ عن الإمكان الذاتي فلو شاء الله أن يغيرها لغيّرها كيف يشاء، قال الله تعالى: ﴿**ولو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**﴾ الآية، ففي الحديث الشريف قال ﷺ: لو شاء ذلك لفعل ولكنه لا يفعل.

وقولنا: عالم الشهادة أي الأسباب السبعة الممهدة للقبول في عالم الشهادة في الكم والكيف والوقت والمرتبة والمكان والوضع في المتممات والمشخصات للتقدير في هذا العالم.

وقولنا: عالم الغيب أي الأسباب السبعة العلوية الفعلية له في عالم الغيب من المشيئة والإرادة والقدر والقضاء والأجل والكتاب إلا الإذن من الإيجاب فيلحق الشيء من أسباب القضاء ما يغيره دعاءاً كان أو صدقة أو براً أو صلة رحم وجوداً أو عدماً سابقاً على القضاء بالإمضاء أو لاحقاً به وإن كان اللاحق زماناً بالفعل وهو السابق دهراً بالقوة.

أقول: لأنه ما في القوة يخرج إلى ما في الفعل ولا يكون ما في الفعل يرجع إلى ما في القوة لاستدعى هذا رجوع الشيخ إلى شبابه أو رجوع المجرد إلى المادي كالنفس إذا تجردت تكون عاشقة للرجوع إلى الهيولى.

أقول: لما كان اللاحق زماناً بالفعل هو السابق دهراً بالقوة فلا يكفي حصول الأسباب المذكورة في الوجود بدون لحوق الإذن في الإيجاد من الله حسب مشيئته في بداءاته كما ارتفع التأثير عن النار للخليل عليه السلام وإلى هذا يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾ الآية.

وأقول: في الجملة فإن أم الكتاب الذي لا محو فيه هو كون الشيء حين كونه ممضي ومبرم، وأما قبله وبعده ففيه المحو والإثبات والله على كل

شيء قدير فهم عليهم السلام عباد مكرمون وفي خشيته تعالى مشفقون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ولا يخفى أن كل هذه المراتب المتوقعة سابقة في علمه تعالى وجوبها وامتناعها في مرتبة الثبوت والذات ولا ينافي إمكانها الذاتية في مرحلة التعلق والإثبات فإن العلم تابع.

أقول فإن علمهم عليهم السلام أقسام:

الأول: العلم بما قدر وقضى ولم يمض وهو الموقوف القابل لتطرق البداءات والمحو والإثبات فيعلمونها علم تقدير ولا يعلمونها علم إمضاء إلا بعد ما أمضى منها فيفيض الله إليهم علمها جملاً في ليالي القدر المنزل عليهم فيها من كل أمر فيعلمونها مجملاً في تلك الليلة.

أما **القسم الثاني**: ما يمضي منها وهو أيضاً يعم الإجمال والتفصيل والمفصل منها خاصة فيعلمونها علم إرادة إذا أرادوا وسألوا الله تعالى علمها سواء إذن لهم بالإخبار عنها أم لا وعلى هذه المراتب يحمل المتنافيات في العموميات كما ورد في نسبة القبض والبسط عليهم السلام.

روى في الكافي للكليني قدس سره بإسناده عن معمر بن خلاد قال: سئل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس فقال له أتعلمون الغيب قال أبو جعفر عليه السلام يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم. وقد قال شيخنا السديد المفيد قدس سره أن عموم علمهم عليهم السلام إنما هو ثابت بمقتضى الدليل واللطف المسجل لإمامتهم وحجيتهم ولا يكون ذلك واجباً أو شرطاً فيهم.

أقول: إن الاستدلال على عموم علمهم عليهم السلام يكون بأدلة منها الكتاب العزيز علماً أن إحدى وجوه إعجاز القرآن إخباره بالغائبات وهم عليهم السلام حملة علم القرآن بجملتها ظاهرها وباطنها مجملها ومبينها محكمها ومتشابهها منها قول عز من قائل: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا**

من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ الآية من سورة الجن.

وجاء في تفسير الآية الكريمة عن علماء الكلام والتفسير ما قولهم فالغيب ضد الشهادة وهو ما غاب عن الحس، إما باعتبار زمان وقوعه كالأشياء الماضية والآتية أو يكون من باب وقوعه كالغائبة عن حواسنا في وقتنا أو يكون ما ليس بزمانية ولا مكانية وإنما يكون خفاؤها في نفسها كما في قول عز من قائل: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ما كنت تعلمها﴾ الآية من سورة آل عمران، ومثلها كمثل القواعد التي ليست ضرورية ولا مستنبطة فيطلق عليها الغيب كما مر في قول الله عز مقامه.

أقول: وإن كانت هذه كلها من الشهادة باعتبار آخر لما تقدم من دخولها تحت الإمكان ومشيئة الوجود وأن عدا هذا كلها غيب من قبل أن يقدّرها ويقضيها ويمضيها ويفيض علمها إلى النبي أو إلى الوحي جملاً كما في ليلة القدر من كل أمر مفصلاً إذا شاؤوا وأرادوا وسألوا الله علمها فإن الله عز مقامه علاّم الغيوب ويعلم مبتداه ومنتهاه والغيب كله له ومنه وإليه ولا يشاركه فيه أحد من خلقه إلا من ارتضاه، يقول عز من قائل: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ الآية، أي إلا من ارتضاه الله عز مقامه لغيبه من رسله وخلفائه في عباده وقول عز من قائل: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾، فالمرتضون من رسول المستثنون هم علي وأبنائه البررة الذين اختارهم من عباده واصطفاهم من بريته فجعلهم خزنة لعلمه وتراجمة لوحيه وقول عز من قائل في الآية المزبورة: ﴿فإنه يسلك من بين يديه وخلفه رصداً﴾ الآية، وقول علماء الكلام والتفسير أي يحفظهم من اختطاف الشياطين المردة المسترقين للسمع أو لإنساء ما ذكرهم الله أو لمحو ما نقش فيهم من الألواح ليعلم أن قد أبلغ النبي ﷺ علياً والطيبين من ذريته ما علّمه الله من غيبه وأنهم قد أبلغوا شيعتهم ما أمروا بإبلاغه من العلوم الغيبية.

وروي في الكافي للكليني قدس سره بإسناده عن علي بن رئاب عن سدير الصيرفي عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال له حمران: أرأيت قول الله عز وجل ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً**﴾ الآية، فقال له أبو جعفر عليه السلام: إلا من ارتضى من رسول وكان والله محمداً مما ارتضاه، وأما قوله عالم الغيب الآية فإن الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدر عن شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يفضيه إلى الملائكة فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ثم إلينا.

وجاء في الكافي أيضاً بإسناده إلى سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر قال علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً فقلنا ليس علينا عين فقال ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين الخضر وموسى لأخبرتهما أني أعلم منهم ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي عيون أخبار الرضا بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما ينقلب جناح طائر في الهواء إلا وعندنا فيه علم.

وفي الخرائج عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام في حديث طويل له قال: نظر الرضا إلى ابن هداب قال إن أخبرتك أنك ستبتلي في هذه الأيام بدم ذي رحم لك كنت مصدقاً؟ قال: لا لأنه الغيب لا يعلمه إلا الله، قال عليه السلام: أوليس الله يقول: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول**﴾ الآية، فرسول الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذي اطلعه الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وأن الذي أخبرتك به يا بن هداب لكان إلى خمسة أيام، الخبر.

وفي غيبة المفيد قدس سره وقد نقلها الشيخ علي اليزدي الحائري قدس سره في الالزام والسنقري في الإلهام فراجع، والرواية أوردها كما رويت في حديث كتابة القائم عجل الله فرجه إلى قاسم بن العلاء وهو أحد وكلاء العسكري عليه السلام وقد عمر ـ أي القاسم ـ مائة وسبعة عشر سنة منها ثمانون سنة صحيح العينين، لقي العسكريين وحجبت عينه بعد الثمانين وكان الإمام في توقيعه أخبره فيه بموته بعد ورود الكتاب عليه بأربعين يوماً وأنه يمرض اليوم السابع منه وأن الله رد بصره قبل موته بسبعة أيام وقد حمل إليه بسبعة أثواب فدفع القاسم الكتاب إلى صديقه عبد الرحمن وأراد أن يهديه إلى الحق فقال له إقرأ وانظر لنفسك فقرأ عبد الرحمن الكتاب فلما بلغ إلى موضع النعي رمى الكتاب عن يده وقال لقاسم: اتق الله فإنك رجل فاضل في دينك متمكن من عقلك والله تعالى يقول؛ ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾ الآية، وقال عز من قائل: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً**﴾ الآية، وضحك القاسم وقال: أتم الآية ﴿**إلا من ارتضى من رسول**﴾ الآية، (الحديث) انتهى.

وروى الشيخ علي اليزدي الحائري في الإلزام تخصيص علمهم عليهم السلام بورثة علم الحروف وأن رسول الله صلى الله عليه وآله ورث علم الحروف، وقال الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في علم الحروف الذي ورثه رسول الله صلى الله عليه وآله وورثه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يكون في المعرفة الأصلية وعلم المعرفة الأصلية في علم الأزل وعلم الأزل في المشية أي المعلوم وعلم المشية في غيب الهوية وهو الذي دعى الله إليه نبيه بقوله ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ الآية، والهاء في أنه راجع إلى غيب الهوية ثم أن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام ورث علم أسرار الحروف من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها وهو أول من وضع وفق مائة في مائة في الإسلام ثم الإمامان الحسن والحسين ورثا

علم أسرار الحروف من أبيهما ثم ابنه الإمام زين العابدين عليه السلام ورث عن أبيه أسرار الحروف ثم ابنه الباقر عليه السلام ثم ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو الذي حل معاقد رموزه وفك طلاسم كنوزه، وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : علمنا غابر ومزبور وكتاب مسطور في رق منشور ونكت في القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ونقر في الأسماع ولا تنفر منه الطباع وعندنا الجفر الأبيض والجفر الأحمر والجفر الأكبر والجفر الأصفر والجامعة والصحيفة وكتاب علي عليه السلام .

أقول تعقيباً كما قال بعض شراح حديث علمهم عليهم السلام المزبور أن الله عز مقامه خلق أمور كلية تشتمل على أفراد جزئية وأحكام شخصية تظهر في الكون على التدريج وتسمى هذه الكليات باعتبار طبعها ولونها ووصفها وأشباه تلك في مشخصاتها بأسماء مختلفة فبعض منه يسمى جفر أحمر وبعض منها جفر أبيض وبعضها صحيفة فاطمة وبعضها كتاب علي عليه السلام ، ثم وضع كل منها في موضعها اللائق بها والله جعل محمد وآل محمد عليهم السلام خزان تلك الكتب وحفظتها فهي كلها بعين منهم دائماً فإذا أرادوا عليهم السلام الإخبار عن حكم أو وقوع أمر في العالم أو لا وقوعه أخبروا عن الكتاب الذي يكون فيه ذلك الحكم أو الأمر لأنه هو محل ذلك الشيء فيقولون الحكم الفلاني في الجفر كذا وفي الجامعة كذا وهكذا. .

أقول: لا ينافي إظهارهم تلك الكتب الكونية لبعض الناس في صورة الكتاب التدويني إذا شاؤوا وذلك يكون من باب ظهور جبرائيل عليه السلام في صورة البشر ومشاهدة بعض المقربين له مع عدم تخلية لمقامه الملكوتي الذي هو فيه وعدم خروجه عن صورته الأصلية.

أقول: إن للشيء الواحد مراتب ومقامات يظهر في كل منها بإطار ذلك المكان وتلك المرتبة فإن الشيء الواحد يوجد في عالم التعقلات بإطار

المعاني ويوجد في عالم النفوس بإطار الصور النفسانية ويوجد في عالم القوى الباطنية بإطار المتتالية الشعرية ويوجد في عالم الظاهر بإطار الجسمانيات وأن هذا الشيء هو في الواقع حقيقة واحدة في حد نفسه مرجوعاً إلى هذا المقياس كون تلك الكتب المزبورة في صورة الأعيان لا ينافي كونها في صورة الألفاظ والنقوش التدوينية فافهم وتدبر.

وجملة الأمر أن كليات العالم وكليات جواهر الأمور هي كتب جامعة مدرج فيها جوامع العلم وأن الأئمة عليهم السلام حفظتها ويخبرون عنها بما شاؤوا ومشيئتهم في مشيئة الله **﴿لا تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾** الآية، ويكون إخبارهم عن جوامع هذه العلوم كما يخبرون عن الكتاب التدويني أي القرآن الكريم.

وبالجملة فعلومهم عليهم السلام ليست علوم اجتهادية ولا علوم سمعية ولا من طرق الحواس بل علومهم كشفية لدنية لم تزل تفيض على نفوسهم أنوار العلم من الله لا بواسطة أمر خارج مباين.

وقال الشيخ محمد السنقري في الإلهام في علم الإمام في قول بعض المحققين أن في قول النبي ﷺ أعطيت جوامع الكلم وأعطي عليّ جوامع العلم بصيغة البناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم هو المعطي للنبي ﷺ جوامع الكلم وهو الله سبحانه وبه يشهد قول علي عليه السلام علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب.

أقول: مما أوردناه في هذا المقام في جملة علومهم عليهم السلام أن ليس لجملة مقاماتهم ومراتبهم غاية ولا لعلومهم وكمالاتهم حد محدود ويمكن أن يقال في هذا المقال السر في استغفارهم عليهم السلام وتوبتهم من دون ذنب ارتكبوه أو عمل غير مرضي أتوه حاشاهم الله وكرمهم ونزّههم فإنهم عليهم السلام كلما وجدوا أنفسهم في مقام دونه تلك الزيادات المترقبة

لهم ذنباً وعملوا في طلب زوالها استغفاراً.

ويمكن الاستفادة في هذا المقام من الحديث المسند إلى أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال إنا نزداد في الليل والنهار ولولا إنا نزداد لنفد ما عندنا.

أقول: يستفاد من رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أن الزيادات المتتالية لهم من العلوم لا يوجب أن يكون الإمام اللاحق أعلم من السابق وذلك لما عرفنا بأن علومهم متلقاة من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والسابقين من الأئمة عليهم السلام وإن كانت الوحدة النورية تعطي اتصال علمهم إلى الله عز مقامه والنبي صلى الله عليه وآله اتصال الأشعة إلى مبدأ النور وإن لم يصلْ إليها سبب خارجي فهي كالمرائي المتحاذيات في محاذاتها للشمس المنيرة فكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام ومفترضة طاعته يكون علم الرسول صلى الله عليه وآله علمه ويكون عليه السلام علمه علم الرسول صلى الله عليه وآله وجاء في رواية حذيفة اليماني ما ورد في نظم الأمراء عن مسند فاطمة البتول بإسناده قال: سمعت الحسين بن علي عليه السلام يقول: والله ليجتمعن على قتلي طغاة بني أمية فلان ويقدمهم عمر بن سعد وذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله؟ فقال: لا، قال فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: علمي علمه وعلمه علمي لأننا نعلم بالكائن قبل كينونته، انتهى.

ومن طرق الاستدلال على عموم علمهم عليهم السلام يكون بدلالة العقل فمن وجوه.

أما الوجه الأول: فلأن العلم نور والنور حقيقتهم وقد خلقهم الله أنواراً فينتج أن العلم حقيقتهم.

والوجه الثاني: فلأنه الجهل ظلمه والظلمة تضاد النور فيستحيل اجتماعهما بالضرورة.

الوجه الثالث: الجهل خبيث وقد طهرهم الله تطهيراً.

الوجه الرابع: أنهم الشهداء على العباد بدليل اللطف والتقريب الظاهر فإنه كلما علم العباد ما اختص الله به حججه من العلم بالضمائر والسرائر كانوا أبعد عن المعصية وأقرب إلى الطاعة وهو ظاهر يشهد به قول عز من قائل: ﴿**قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ الآية.

الوجه الخامس: ما ثبت من وجوب تنزيه الإمام عن الخطأ والنقص المنفر للطبع مثلاً فلو جهل الإمام كغيره بالقبلة أو تحير لزمه ذلك بل وربما أدى إلى السخرية والاستخفاف به، انتهى.

أقول: إن الأدلة العقلية ووجوهها تأخذ بأعناقنا بتخصيص الإمام عليه السلام من بين الأنام بالعلم والإفهام وجملة الأدلة الروائية العقلية التي نوردها في هذا المقام توضيحاً للمرام وتلقيحاً للإفهام نقول ونوجز في الكلام في علم أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام فقد ورد في تفسير البرهان عن القمي بسنده عن أبي عمير في حديث له عند قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾ الآية، أن الله أمر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحيه ونصبها لرسول الله صلى الله عليه وآله فكانت بين يديه مثل راحته في كفه ينظر إلى أهل المشرق والمغرب ويخاطب كل قوم بألسنتهم ويدعوهم إلى الله وإلى نبوّته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة إلا ودعاهم النبي صلى الله عليه وآله بنفسه.

وفيه في حديث آخر عن عبد الله بن بكير الأرجاني عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قال: قلت له جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب؟ قال: يا بن بكير فكيف يكون حجة على ما بين قطريها وهو لا يريهم وكيف يكون حجة عليهم وهو محجوب عنهم وقد حيل بينه وبينهم أن يقوم بأمر الله ربه صح فيهم الحديث.

وفيه أيضاً عن بصائر الدرجات بإسناده عن صفوان عنه عليه السلام قال: إن

الله جل وعز أجل وأعظم أن يحتج بعبد من عباده ثم يخفي عليه شيئاً من أمره إلى قوله عليه السلام أفترى بمن يعبد في بلاده ثم يخفى عليه شيئاً من أمره.

وفي الرواية المسندة عن عمرو بن الفرج الرجحي قال: قلت لأبي عبد الله إن شيعتك تدعي أنك تعلم كيل كل ماء دجلة وكنا على شاطىء دجلة، فقال: أيقدر الله أن يفرض ذلك إلى بعوضة من خلقه؟ قال قلت: نعم يقدر، فقال: أنا أكرم على الله من بعوضة ومن أكثر خلقه.

تنبيه: قال بعض الأعلام في هذا الحديث إشارة لأهل الذوق بأن كل فضيلة دخلت تحت قدرة الله في الإمكان ونسبت إليهم لا ينبغي ردها ولا استبعادها ولا إنكارها ممن اعتقد كمال قدرة الله مع ملاحظة استعدادهم وقابلياتهم وكرامة المعطي.

وقال الشيخ محمد علي الحائري السنقري في الإلهام في علم الإمام ما قوله ولما كان محمد وآل محمد هم المشيّة الأولى والمجالي لصفات الله العليا وأسمائه الحسنى فهم وإن ركبوا في صقع البشرية تركيباً تنافي وحدتها كثرتها وبالعكس إلا أن لهم لنورانيتهم في وساطتهم بين الله سبحانه وبين عباده في الإفاضة من الله لكل خير وجودي ثم في عرض الأعمال عليهم إلى الله حالات لا تدركه أوهامنا فلقد بهرت العقول معرفتها وحارت الألباب التداني إليها بالتطلع عليها أو لهم حالتان محو وصحو فهم في محوهم غير ما هم عليه في الصحو وفي صحوهم غير ما يكونوا عليه في المحو أو يقال إنهم عليهم السلام لكونهم في مقام جمع الجمع فلا ينافي استمرار صحوهم في محوهم فإنهم مع الحق ومع الخلق بالحق.

أقول ولولا خوف الإطالة لقلنا في أبواب علومهم فيضاً من الروايات وعرضنا عليكم من علومهم الآيات وما نزل في حق علومهم في الكتاب المحكمات من الآيات إلا أننا آثرنا الاختصار ومن أبواب علومهم على سبيل

الإجمال أنهم العلة الغائية لإيجاد الكائنات وباب أنهم الوسائط للفيوضات وباب أنهم الحجة على العوالم قبل الخلق ومعه وبعده وباب أنهم أصل كل خير وجودي وباب عرض الأعمال عليهم وباب أنهم خزان الله على علمه وحملة غيبه ولا مجال لطرحها بهذه العجالة تجدونها في مظانها في المطولات من كتب الإمامة وأبواب الكافي والبحار لعلمائنا الأفاضل قدس الله أسرارهم إلا أننا سبيلاً لتطعيم الأفهام نورد بعض الروايات في جملة علومهم عليهم السلام.

منها رواية الكافي للكليني قده بإسناده عن ضريس قال: سمعت أبا جعفر يقول وعنده أناس من أصحابه عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله ﷺ ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصون حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون أن الله افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفى عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد إليهم مما فيه قوام دينهم، الحديث.

وجاء في تفسير مفتاح الجنان ومناقب ابن شهراشوب واللفظ للمناقب صفوان بن يحيى عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين، فقال رجل من أصحابه جعلت فداك أعندكم علم الغيب قال له: ويحك إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء ويحكم وسعوا صدوركم ولتسع قلوبكم فنحن حجة الله في خلقه ولن يسع ذلك إلا صدر كل مؤمن قوي قوته كجبال تهامة إلا بإذن الله والله لو أردت أن أحصي لكم كم حصاة عليها لأخبرتكم وما من يوم ولا ليلة إلا والحصى تلد إيلاداً كما يلد هذا الخلق والله لتتباغضون بعدي حتى يأكل بعضكم بعضاً.

وعن مصباح الأنوار للشيخ الطوسي عن أبي ذر الغفاري قال: كنت

سائراً في أعراض أمير المؤمنين عليه السلام إذ مررنا بواد ونمله كالسيل الساري فذهلت مما رأيت فقلت الله أكبر جل محصيه فقال أمير المؤمنين لا تقل ذلك يا أبا ذر ولكن قل جل باريه فوالذي صورك إني أحصي عددهم وأعلم الذكر منهم والانثى بإذن الله عز وجل.

بيان وفي قولك من منا يعلم الذكر من الانثى في النمل؟ قلنا لك تبصر وتدبر وافهم وصف أمير المؤمنين للنملة تجد مبتغاك والله المستعان.

قوله عليه السلام انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تُنال بلحظ البصر ولا بمستدق الفكر كيف دبّت على أرضها وصبَتْ على رزقها تنقل الحبة إلى جُحرها وتعُدُّها في مستقرها تجمع في حرّها لبردها وفي ورودها لصدرها[1] مفولة برزقها مرزوقة بوفقها[2] ولا يُغفلُها المنّان ولا يحرُمُها الديّان ولو في الصّفا اليابس والحجر الجامس[3] ولو فكرت في مجاري أكلها في عُلْوها وسُفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها[4] وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ولقيت في وصفها تعباً فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يُعنه في خلقه قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلاّ على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شيء وغامضِ إختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف[5] في خلقه إلا سواء، انتهى.

---

(١) الصَدَر: الرجوع بعد الورود.

(٢) يوفقها: بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها.

(٣) الجامس: أي الجامد.

(٤) الشراسيف: أي مقاطع الأضلاع،

(٥) أي أن دقة التفصيل في النملة على صغرها وفي النخلة على طولها تدلك على أن الصانع واحد.

أقول: فمن كان وصفه عليه السلام هذا الوصف للنملة التي لم يتمكن ذو حذاقة عقلية ولا فراسة علمية أن يأتيك بما آتاك به أمير المؤمنين عليه السلام فأي علم يحمل، آه آه إنهم الأسرار الإلهية المودعة في الأجسام البشرية.

ومن كلامه لكميل بن زياد النخعي وقد تقدم ذكره في باب الولاية العلوية في السنة النبوية نقتطف منه هذه الزهرات العبقات مشيراً عليه السلام إلى علمه بقوله: يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون وهم أموات ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ها أن هاهنا لعلماً جماً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة بل أصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدين للدنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحجته على أوليائه أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في إحنائه يتقدم الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ألا لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللذة سلس القيادة للشهوة أو مغرماً بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه.. إلى آخر الخطبة فراجع قوله عليه السلام كاملاً.

وفي البحار عن الاختصاص بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أنال في الناس وأنال وأنال يشير كذا وكذا وعندنا أهل البيت أصول العلم وعراه وضيائه وأواخيه.

وفي عاشر بحار للمجلسي قدس سره عن كتاب الدلائل لأبي جعفر بن رستم الطبري بإسناده إلى ابن عباس قال: مرت بالحسن بن علي عليه السلام بقرة فقال هذه حبلى بعجلة انثى لها غرة في جبينها ورأس ذنبها أبيض فانطلقنا مع القصاب حتى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها فقلنا أوليس الله عز وجل يقول ويعلم ما في الأرحام فكيف علمت؟ فقال: ما يعلم المخزون المكنون المجزوم المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته.

فقد ورد في دعاء يوم المباهلة ما عينه فجعلت قلوبهم مكامن لإرادتك وعقولهم مناصب لأمرك ونهيك وألسنتهم تراجمة لسنتك.

وروى ثقة الإسلام الكليني في الكافي بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حديث الياس النبي المعتجر مع الإمام الباقر عليه السلام في الطواف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بينما أبي يطوف بالكعبة إذ أتى رجل معتجر قد قيض[1] له فقطع عليه اسبوعه حتى أدخله إلى دار جنب الصفا فأرسل إليّ فكنا ثلاثة فقال مرحباً يا بن رسول الله ثم وضع يده على رأسي وقال: بارك الله فيك يا أمين الله جد آباءه يا أبا جعفر إن شئت فأخبرني وإن شئت فأخبرتك وإن شئت فأصدقني وإن شئت صدقتك، قال: كل ذلك أشاء، قال؛ فإياك أن ينطق لسانك عند مسألتي بأمر تضمر لي غيره، قال إنما يفعل ذلك من في قلبه علمان يخالف أحدهما صاحبه وأن الله عز وجل أبى أن يكون له علم فيه اختلاف، قال: هذه مسألتي وقد فسرت لي طرفاً منها أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف من يعلمه قال: أما جملة العلم فعند الله جل ذكره، وأما ما لا بد للعباد منه فعند الأوصياء.

قال ففتح الرجل عجرته واستوى جالساً وتهلل وجهه وقال هذه ولها أتيت وزعمت أن علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء فكيف يعلمونه؟ قال: كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله يرى لأنه كان نبياً وهم محدثون وأنه كان تغير إلى الله عز وجل فيسمع الوحي وهم لا يسمعون فقال: صدقت يا بن رسول الله سآتيك بمسألة صعبة أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال فضحك أبي وقال أبى الله أن يطلع على علمه إلا ممتحناً للإيمان كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلا بأمره فكم من

---

(١) قَيَّضَ الله فلاناً بفلان: جاء به.

اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له اصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وأيم الله إن لو صدع قبل ذلك لكان آمناً ولكنه إنما نظر في الطاعة وخاف الخلاف فلذلك كف الحديث إلى أن قال فرد الرجل اعتجاره وقال: إن الياس ما سألتك عن أمر ولي منه جهالة غير أني أحببت أن يكون هذا الحديث قوة لأصحابك إلى آخر الحديث.

بيان قوله فضحك أبي وقال: محصل الجواب أن ظهور هذا العلم مع رسول الله دائماً في محل المنع فإنه كان سنين من أول بعثته مكتتماً لأمره إلا عن أهله لخوف عدم قبول الخلق منه حتى أمر بإعلانه فكذلك الأئمة عليهم السلام يكتمون ممن لا قبل منهم حتى يؤمروا بإعلانه في زمان الظهور ظهور القائم، انتهى.

وروى الشيخ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني في كتاب الغيبة في باب التقية وصون الحديث عمن ليس بأهله والنهي عن الإذاعة للمعاندين فأورد بإسناده عن أنس أنه قال ﷺ: لا تحدثوا الناس بما لا يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وبإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أتحبون أن يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما يعرفون وأمسكوا عما ينكرون.

وعن طريق ابن عقدة برجاله إلى عبد الأعلى ابن أعين قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا عبد الأعلى إن أمرنا ليس معرفته وقبوله إن احتمال أمرنا هو صونه وستره عمن ليس من أهله فأقرئهم السلام ورحمة الله وقل قال لكم: رحم الله عبداً استجر مودة الناس إلى نفسه وإلينا بأنه يظهر لهم ما يعرفون ويكف عنهم ما ينكرون وفي بعض النسخ والله ما لناصبة لنا حرباً أشد مؤنة من الناطق علينا بما نكرهه.

وعن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة بن محمد بن عبد الله في كتابه

في رجب سنة ثمانٍ ومائتين عن الحسن ابن علي بن فضال عن صفوان بن يحيى عن إسحاق بن عمار الصيرفي عن عبد الأعلى بن أعين عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ليس هذا الأمر معرفة ولايته فقط حتى تستره عمن ليس أهله ويحسبكم أن تقولوا ما قلنا وتصمتوا عما صمتنا فإنكم إذا قلتم ما نقول وسلّمتم لنا فيما سكتنا عنه فقد آمنتم بمثل ما آمنا، قال الله تعالى: **﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم فقد اهتدوا﴾** الآية.

وعن كرام الخثعمي عنه عليه السلام قال: أما والله لو كانت على أفواهكم اوكية لحدثت كل امرىء بما له والله لو وجدت أتقياء لتكلمت والله المستعان، قال يريد أيضاً من يستعمل التقية.

هذه نواصع بيّنات وآيات محكمات في عدم إذاعة علومهم إلا لمن اختبر الله قلبه بالإيمان ولقح أفهامه بالبيان فما طرقت هذه الطوارق والأدلة البوارق إلا بغية في توضيح المرام وتلقيح المدارك والأفهام والله المستعان فافهم وتدبر.

فاكهة في نوادر علومهم

روي في البحار للعلامة المجلسي قدس سره عن الصفّار عن عباية الأسدي قال: كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام وإذا بابن معن وابن نعج قد أقبلا ومعهما عبد الله بن وهب وقد لفا ثوبه في عنقه يسحبونه على الأرض سحباً حتى أتوا به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهما يقولان يا أمير المؤمنين اقتله لا تداهن الكذابين، قال: ادنه، فدنى فقال لهما: فما يقول؟ قالا يزعم أنك دابة الأرض وأنك تضرب على هذه ـ يعنون رأسه عليه السلام إلى لحيته ـ قال فقال علي عليه السلام: ما تقول لهؤلاء؟ قال يا أمير المؤمنين حديثاً حدثنيه عمار بن ياسر، قال عليه السلام: اتركوه فقد روى عن غيره يا ابن أم السوداء وأنك تبقر الحديث بقراً خلوا سبيل الرجل فإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبني الذي يقول.

وعن معاني الأخبار بإسناده عن عباية الأسدي قال: سمعت علياً عليه السلام وهو متكيء أو منتحل هكذا وعليه فهو من النحول والضعف وأنا واقف عليه يقول: لأرقين بمصر منبراً ولأنقضن دمشق حجراً حجراً ولأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب ولأسوقن العرب بعصاي هذه، قال قلت يا أمير المؤمنين كأنك تخبر أنك تحيىٰ بعد ما تموت فلما رأى ثقله عليه قال هيهات يا عباية يفعله رجل مني.

وعن تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني بإسناده عن أصبغ بن نباتة قال: خرجنا مع علي عليه السلام يطرق في السوق وهو يأمرهم بوفاء الكيل والوزن حتى إذا انتهى إلى باب القصر ركض الأرض برجله فقال: هي هي مالك

اسكتي أما والله إني أنا الإنسان الذي تنبئه الأرض أخبارها ثم قال أو رجل مني.

وعن معاني الأخبار بإسناده عن الشعبي قال: قال عبد الله ابن الكواء يا أمير المؤمنين أرأيت قولك العجب كل العجب بين جمادى ورجب، قال: ويحك يا أعور هو جمع شتان ونشر أموات وحصد نبات وهنات[1] بعد هنات مهلكات مثيرات، ثم اتقى عليه السلام وقال: لست أنا ولا أنت هناك.

وفي تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني عن ثقة الإسلام الكليني في الكافي بإسناده عن سليمان عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير وميسر ويحيى البزاز وداود الرقي في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا وهو مغضب فلما أخذ مجلسه قال عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب وما يعلم الغيب إلا الله لقد هممت بضرب جاريتي وخادمتي فلانة فذهبت عني فما عرفتها في أي البيوت من الدار فلما أن قام من مجلسه وصار إلى منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر على أبي عبد الله عليه السلام فقلنا له: جعلنا فداك سمعنا تقول في أمر خادمتك ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً لا ينسب إلى علم الغيب، فقال يا سدير أما تقرأ القرآن؟ قلت قد قرأناه، فقال: هل وجدت فيما قرأت من كتاب الله **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾** الآية، قلت؛ جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل وعرفت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال قلت فأخبرني حتى أعلم قال قدر قطرة من المطر الجرز في البحر الأخضر ما يكون ذلك من علم الكتاب، قال قلت جعلني الله فداك ما أقل هذا، قال: يا سدير ما أكثره لمن لم ينسبه إلى

---

(١) وقد وردت بناء قصيدة وقد أورد الشيخ فخر الدين الطريحي صاحب مجمع البحرين، ج١ ص٤٨٠ في حديث النبي صلى الله عليه وآله: ستكون هناة وهناة فمن رأيتموه يمشي إلى آل محمد ليفرق جماعتهم فاقتلوه. أي شرور وفساد من قولهم «في فلان هناة»، أي خصال شر ولا يقال في الخير وواحده «هنة» تأنيث هن كناية عن كل اسم جنس.

العلم الذي أخبرك به يا سدير فهل وجدت ما قرأت من كتاب الله ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾[1]. قال عليه السلام وأومأ بيده إلى صدره فقال علم الكتاب كله والله عندنا ثلاثاً أي قالها ثلاثاً، انتهى.

(١) سورة الرعد: آية ١٢٣.

باب علومهم عليهم السلام

قول منير في ما ذكر في باب علومهم عليهم السلام بين التكليف الواقعي والتكليف الظاهري.

أقول من باب التحذير خوفاً من تطرق الأوهام إلى العقول والأفهام بأنهم عليهم السلام ببروزهم إلى مضاجعهم ومسارعتهم إلى مصارعهم من تناول السموم أو غير ذلك مما يوهم إلقاء النفس إلى التهلكة ينافي الظاهر من علومهم عليهم السلام وعرض الأعمال عليهم واطلاعهم على صحائف أعدائهم وما فيها من مكائدهم وإقدامهم على قتل أئمة الدين وجوب التحرز عليهم عن مكيدتهم فكيف يجتمع هذا النصح مع تلك التهلكة ومثله السؤال عن وجه الحكمة لأمر الحسين عليه السلام روحي له الفداء وخروجه إلى العراق بأهله وعياله فكيف يجتمع فعلهما في الصحة وهذا التوهم يدفعه:

أولاً: علمنا بأنهم كانوا مأمورين من الله سبحانه في أمثاله على ما ثبت في الصحيح من حديث الوصية النازلة فيهم من الله إلى جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله المختومة بخواتيم الذهب والصحيفة التي كانوا يعملون عليها كل منهم على أمره الله بها هذا مع أنهم لو سألوا الله رفعها أو هلاك الأعداء لأجابهم الله بأسرع ما كان كما هو صريح حديث حمران ولكنهم كفوا عن ذلك إظهاراً لعدل الله في البرية برفع الإلجاء والاضطرار وتمام الاختيار وإرشاد العباد إلى مقام الرضا والتسليم لما قدر وقضى وأمضى وهناك غايات وحكم لا تحصى على أنهم المعصومون عرفناهم بالعصمة الإلهية والطهارة والتنزيه من كل رجس وشين كما طهرهم الله بها تطهيراً فلا يقاسون بغيرهم فإن ما يفعله

المعصوم معصوم وإن اختفى وجهه على المتوهم المحروم فيجب التسليم لهم والانقياد ولا يجوز لنا الاعتراض والاستكشاف عن مكنون ما قدره الله من المصالح والحكم كما ونقول بجواز تطرق البداءات في المعلومات أو بجواز نفي علمهم بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتعيين في المبرمات أو كانوا مكلفون فيها على الظواهر والعادة دون المعلوم أو الجمع بينهما فهذه وجوه تندفع معها سوء التوهم والله العاصم.

فقد قال الشيخ المفيد قدس سره في الجواب عن المقام في المسائل العكبرية كما حكي عنه في البحار وقد سأل عن الإمام مجمع على أنه يعلم ما يكون فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان وما الحسين بن علي ـ إلى آخر السؤال ـ عن تجلده عن العطش وامتناعه عن حفر البئر وهو قادر عليه.

فأجاب رضي الله عنه بقوله: أما الجواب عن قوله إن الإمام يعلم ما يكون فإجماعنا أن الأمر على خلاف ما قال وما أجمعت الشيعة على هذا القول وأن إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحكم في كل ما يكون دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتميّز وهذا يسقط الأصل الذي بني عليه الأسئلة بأجمعها ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث ويكون ذلك بإعلام الله له ذلك، فأما القول بأنه يعلم كل ما يكون فلسنا نطلقه ولا نصوب قائله لدعواه فيه من غير حجة وبيان والقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام يعلم قاتله والوقت الذي كان يقتل فيه، فقد جاء الخبر متضافراً أنه كان عليه السلام يعلم في الجملة أنه مقتول وجاء أيضاً بأنه يعلم قاتله على التفصيل فلما علمه بوقت قتله لم يأت أثر على التفصيل ولو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنه المعترضون إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله بالصبر على الشهادة والاستسلام على بياض فيبلغه علو الدرجات ما لا يبلغه إلا به بأنه في

ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يردها ولا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بذلك ملقياً بيده إلى التهلكة ولا معيناً على نفسه معونة يستقبح في العقول.

وأما علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خادعوه فلسنا نقطع على ذلك إذ لا حجة عليه من عقل ولا سمع ولو كان عالماً بذلك لكان الجواب ما قدمناه في الجواب من علم أمير المؤمنين عليه السلام بوقت قتله ومعرفة قاتله كما ذكرناه، وأما دعواه علينا أنّا نقول إن الحسين عليه السلام كان عالماً بموضع الماء لم يمتنع العقول أن يكون متعبداً بترك السعي في طلب الماء حيثما كان ممنوعاً منه حسبما ذكرناه في أمير المؤمنين عليه السلام غير أن ظاهر الحال بخلاف ذلك على ما قدمناه والكلام في علم الحسن عليه السلام بعاقبة موادعته معاوية بخلاف ما تقدم وقد جاء الخبر بعلمه بذلك وكان شاهد الحال له يقضي به غير أنه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه له إلى معاوية وكان في ذلك لطف من بقائه الرجال ولطف لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده ورفع فساد في الدين هو أعظم من الفساد الذي حصل عند هدنته وكان عليه السلام أعلم بما صنع لما ذكرناه وبيّنا الوجوه فيه، انتهى كلامه.

وقال العلامة الحلي في جواب مسائل السيد مهنا ابن سنان وقد سأله عن مثل هذه المسألة فقال يحتمل أن يكون عليه السلام أخبر بوقوع القتل في تلك الليلة ولم يعلم أنه في أي وقت من تلك الليلة أو أن تكليفه مغاير لتكليفنا فجاز أن يكلف ببذل مهجته الشريفة في ذات الله كما يجب في المجاهد الثبات وإن أدى ثباته إلى القتل، انتهى كلامه.

وقال المجلسي قدس سره في البحار: قد مضى في كتاب الإمامة وكتاب الفتن أخبار دالة على أن كلاًّ منهم كان مأموراً بأمور خاصة مكتوب في الصحف السماوية النازلة على الرسول صلى الله عليه وآله فهم كانوا يعملون بها ولا ينبغي قياس الأحكام المتعلقة بهم على أحكامنا، وبعد الاطلاع على أحوال الأنبياء،

وأن كثيراً منهم كانوا يبعثون فرادى على ألوف من الكفرة ويسبون آلهتهم ويدعونهم إلى دينهم ولا يبالون بما ينالهم من المكاره والضرب والحبس والقتل والإلقاء في النار وغير ذلك مما ينبغي معه الاعتراض على أئمة الدين في أمثال ذلك مع أنه بعد ثبوت عصمتهم بالبراهين والنصوص المتواترة لا مجال للاعتراض بل يجب التسليم لهم في كل ما يصدر عنهم على أنك لو تأملت حق التأمل علمت أنه فدى نفسه المقدسة دين جده ولم يتزلزل أركان دولة بني أمية إلا بعد قتله ولم يظهر كفرهم وضلالتهم للناس إلا بعد فوزه بسعادته ولو كان يسالمهم ويوادعهم كان يقوي سلطانهم ويشتبه على الناس أمرهم فيعود بعد حين أعلام الدين طامة وآثار الهداية مندرسة مع أنه قد ظهر لك من الأخبار السابقة أنه عليه السلام هرب من المدينة خوفاً من القتل إلى مكة وكذا خرج من مكة بعدما غلب على ظنه أنهم يريدون غيلته وقتله حتى لم يتيسر له فداه نفسي وأبي وأمي وولدي أن يتم حجه فتحلل وخرج منها خائفاً يترقب وقد كانوا لعنهم الله ضيقوا عليه جميع الأقطار ولم يتركوا له موضعاً للفرار.

وقد رأيت في بعض الكتب المعتبرة أن يزيد أنفذ عمر بن سعد بن العاص في عسكر عظيم وولاه أمر الموسم وأمره على الحاج كلهم وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سراً وإن لم يتمكن منه يقتله غيلة ثم أنه دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية وأمرهم بقتل الحسين على أي حال اتفق، فلما علم الحسين عليه السلام حل من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة. وقد روي بأسانيد أنه لما منعه محمد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة قال: والله يا أخي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني. بل الظاهر أنه لو كان يسالمهم ويبايعهم لا يتركونه لشدة عداوتهم وكثرة وقاحتهم بل كانوا يغتالونه بكل حيلة ويدفعونه بكل وسيلة وإنما كانوا يعرضون البيعة عليه أولاً لعلمهم بأنه لا يوافقهم في

ذلك ألا ترى إلى مروان كيف كان يشير على والي المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه، فلما علم بعدم نفع المبايعة والمسالمة في حفظ دمه وعرضه وسبي أهله ونهب ماله همَّ بالمحاربة معهم والمجادلة عليهم للفوز بالشهادة والفيض بالسعادة فيندفع بذلك إيراد الجهلة. وكان عبيد الله بن زياد يقول اعرضوا عليه فلينزل على أمرنا ثم نرى فيه رأينا ألا ترى كيف أمنوا مسلماً ثم قتلوه، فأما معاوية مع شدة عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام كان ذا دهاء ونكراء وحزم وكان يعلم أن قتلهم علانية يوجب رجوع الناس عنه وذهاب ملكه وخروج الناس عليه فكان يداريهم ظاهراً على أي حال ولذا صالحه الحسن عليه السلام ولم يتعرض له الحسين عليه السلام لأنه كان يعلم أن ذلك يصير سبباً لذهاب دولته.

[**اللهم إلعن كل من ظلم أهل بيت نبيك وقتلهم وأعان عليهم ورضي بما جرى عليهم من الظلم والجور لعناً وبيلاً وعذبهم عذاباً إليماً واجعلنا من خيار شيعة آل محمد وأنصارهم والطالبين لثأرهم مع قائمهم صلوات الله عليهم أجمعين**] انتهى كلامه.

وقال العلامة التستري في الخصائص حول عنوان أن الحسين عليه السلام جمعت في صفاته الأضداد ولهذا عزت له الأنداد إلى قوله.

العجيبة الثانية من خصائص خصائصه جمعه بين التكليفين المتنافيين ظاهراً بيان ذلك أنه قد ثبت أن للنبي صلى الله عليه وآله خصائص في أحكامه التكليفية ووضعية تخالف الأحكام العامة الثابتة لأمته فلكل منهم بالنسبة إلى ما يتعلق بتكليفه وبإمامته وبسلوكه مسلك الدعوة إلى الدين والحفظ للشريعة أحكام خاصة مثبتة في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة وقد عمل كل من الأئمة بمقتضى ما في صحيفته المختومة بخاتم من ذهب لم تمسّه النار أتى بها جبرئيل، وقد أشرنا إليها وحيث أن فيها أحكاماً تخالف ما

ثبت في ظاهر الشريعة لباقي الأمة فلا ينبغي الاعتراض من بعد ذلك بأنه كيف جاز الإقدام على ما يقطع معه بالضرر وذهاب الأنفس بالنسبة إلى بعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام فإنهم إنما بلغوا إلى هذه المرتبة للتسليم والرضا بهذه التكاليف وقد اختص سيدنا الحسين المظلوم في قضيته الجمع بين التكليفين الظاهري الموافق لتكليف سائر الناس والواقعي الموافق لتكليفه الخاص وهذا أيضاً من خصائصه.

أما التكليف الواقعي الذي دعا إلى الأقدام على الموت والقتل وتعريض عياله للأسر وأطفاله للذبح مع علمه بذلك فالوجه فيه أن عتاة بني أمية خصوصاً معاوية قد أشرب الناس حبهم بحيث اعتقدوا فيهم أنهم على الحق وأن علياً وشيعتهم على الباطل حتى جعلوا سب علي عليه السلام من أجزاء صلوة الجمعة وبلغ الأمر في ذلك أن بعض اتباعهم نسيه في صلاة الجمعة حين خطبته وسافر فذكره وهو في البرية قضاه في محل تذكره فبنوا هناك مسجداً سموه مسجد الذكر تأكيداً لهذا الأمر فلو كان الحسين يبايعهم تقية ويسلم لهم لم يبق من الحق أثر فإن كثيراً من الناس اعتقدوا أنه لا مخالف لهم لعنهم الله في جميع الأمة وأنهم لعنهم الله خلفاء النبي صلى الله عليه وآله حقاً فبعد أن حاربهم الحسين وصدر ما صدر منهم إلى نفسه وعياله وأطفاله وحرم الرسول تنبه الناس لضلالتهم وأنهم سلاطين جور لا حجج الله وخلفاء النبي صلى الله عليه وآله إلى أن قال:

وأما التطبيق على التكليف الظاهري فبيانه أن نقول أنه عليه السلام قد سعى في حفظ نفسه وعياله بكل وجه فلم يتيسر له وقد ضيقوا عليه الأقطار ولم يدعوا له في الأرض القرار فكتب إلى عامله في المدينة أن يقتله فيها فخرج منها خائفاً يترقب، ولذا تلى هذه الآية عند خروجه منها ولاذ إلى حرم الله الذي جعله مأمناً للناس حتى أن الكافر منهم وقاتل النفس بغير الحق أن يقتل

ومأمناً للوحوش أن تصاد وللطيور أن تنفر وللشجر والنبات أن يقطع فأرادوا قبضه هناك وقتله غيلة وهو محرم، فأحلَّ وخرج ولم يتمكن من إتمام حجه أيضاً ولم يكن له في الأرض مقر وقد تحقق له التكليف الظاهري بالتوجه إلى الكوفة لأن أهلها كلهم قد كتبوا له بالسمع والطاعة وألقوا إليه الحجة ولم يتبين منهم خلاف خصوصاً بعد أن كتب له مسلم بن عقيل بيعة الناس له فلم يكن له عليهم حجة لو لم يأتهم ثم أتاهم وعلم بنقضهم للبيعة لم يمكنوه من الرجوع ومع ذلك كله نقول لو رجع أين يرجع لو لم يأتهم أين كان يذهب فقد ضاقت عليه الأرض برحبها وكان مضطراً حيراناً لم يكن له بد ولا مفر والدليل على ذلك قوله عليه السلام لابن الحنفية وقد أشار إليه أن يذهب إلى اليمن وإلى البوادي وكهوف الجبال: لو دخلت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني حتى يقتلوني.

ويدل على ذلك قوله عليه السلام للفرزدق وقد قال عليه السلام له وهو خارج عن مكة داخل الحرم بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ فقال عليه السلام: لو لم أعجل لأخذت. وقوله لأبي هرة الأزدي في الثعلبية وقد قال له ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك؟ قال: ويحك يا أبا هرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت وشتموا عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت. ويدل على ذلك قوله عليه السلام لعمرو بن بزذان وهو شيخ لبني عكرمة رآه ببطن العقبة فقال يا بن رسول الله أين تريد؟ قال: الكوفة، فقال أنشدك الله لما انصرفت فوالله لا تقدم إلا على حد السيوف والأسنة وأن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فقال عليه السلام: يا عبد الله ليس يخفى عليك الرأي ولكن الله لا يغلب على أمره ثم قال والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي. فانظر إلى قوله عليه السلام ولكن الله، فإنه بيان للتكليف الواقعي الذي ذكره، وقوله عليه السلام والله لا يدعوني، بيان للاضطرار وأنه لا يفيد الرجوع والفرار إلى قوله ولو

بايع معهم لقتلوه كما يدل عليه كلام ابن زياد لعنه الله أنه قال ينزل على حكمي وحكم يزيد يعني يجعل نفسه محكوماً لنا قتلناه أو خليناه وقوله لشمر فليبايع ثم نرى رأينا إلى آخر كلمات التستري في هذا المقام قدس سره.

تخريج: أقول قد يقول قائل لما كانت جملة علومهم تنطق بمنزلتهم ومكانتهم وشرفهم ومجدهم فلماذا لم يدفعوا عنهم ضيماً ولم يثبتوا لهم حقاً ولم يستعملوا ما حباهم الله من العلم ومن الاسم الأعظم والذي بإمكانهم بمشيئة الله أن يطلبوا من الله ذلك الأمر وكان بمقدورهم.

أقول: إن الرد على هذه الشبهة ينحصر في أمور:

منها: كونهم مأمورين حسب التكليف الواقعي الذي مر عليك بيانه.

ومنها: أن أمر الله ودوام حال الدنيا منحصراً ببقائهم فهم العلة الغائية للكائنات وهم قطب رحى هذا العالم.

ومنها: وهو الأهم فكرة ومضموناً فقد جعل الله عز مقامه بعثته النبي ﷺ في شأن أوصياؤه الحجج على نهج التعريض دون التصريح الذي يستوجب مخالفة الهلاك بالاستيصال.

وبيان ذلك أن الأنبياء السابقين كانوا إذا عصت أممهم عن قبول ما جاؤوا به وخالفتهم بحيث تجاوزت عن الحد لم يصبروا على ذلك حتى كان ينزل ما فيه هلاكها ولهذا كانت أوامرهم كلها مصرحة وعلى سبيل التهديد والتخويف حتى يكون المخالف لها مجاهراً بالعصيان المرجب لعذاب الاستيصال، فأما رسول الله ﷺ وكذا أوصياؤه الحجج على الخلق فإنهم كانوا في علم الله تعالى في غاية الحلم وسعة الخلق ذوي صبر عظيم وتحمل جسيم بحيث إذا خالفتهم قاطبة الناس صبروا على آذاهم ولم يرضوا باستئصالهم لكي يهتدوا عقيب ذلك ولو بعد حين.

أقول: ولا يلتبس عليك الأمر فتتوهم تنافي هذا أي شأنهم على نهج التعريض ـ دون التصريح ـ لما هو ثابت عندنا من كون إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام منصوصة بالنص الجلي إذ من البيّن أنه لا يلزم من نفي هذا النوع الخاص من التصريح نفي مطلق التصريح لجواز تحققه في ضمن نوع آخر منه المشتمل على التهديد والتأكيد تعريضاً لا تصريحاً كما أشار إليه الإمام في ضمن بيان دلالة قول النبي صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو مني بمنزلة هٰرون من موسى (الخبر) فتدبر ولا تغفل عن كون مفاد هذا الجواب الأخير سراً آخر لا يراد حكاية الإمامة والولاية في القرآن وغيره على سبيل التعريض والله العالم بالحق والهادي إلى الصواب، انتهى.

علم أمير المؤمنين عليه السلام بقاتله:

أقول: وهذا باب متخرج من علم الإمام فافهم وتدبر في رواية سدير الآتية في مبلغ وجملة علومهم عليهم السلام وهذا باب نفتحه لننظر في رواية علم أمير المؤمنين عليه السلام بقاتله، فقد جاء برواية سدير عن شيخ الطائفة الكليني في الكافي روى أحمد بن محمد في كتاب الحجة باب نادرٌ فيه ذكر الغيب عن أحمد بن محمد عن محمد بن الحسن عن عباد بن سليمان عن محمد بن سليمان عن أبيه عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا وهو مغضب فلما أخذ مجلسه قال يا عجباً لأقوام يزعمون إنا نعلم الغيب وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي، قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار إلى منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال فقال يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من

كتاب الله عز وجل: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾[1]، قال قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل وعرفت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال قلت أخبرني به، قال قدرُ قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب، قال قلت جعلت فداك ما أقل هذا، قال: يا سدير ما أكثر هذا إن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به[2]، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل أيضاً: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾[3]. قال قلت قرأته جعلت فداك، قال: أفمن عنده علمُ الكتاب كله أفهم أمن عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا بل من عنده علمُ الكتاب كله، قال فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا ثلاثاً أي قالها ثلاثاً، انتهى.

أقول: فإن الناظر في جملة مباحث رواية سدير ينجلي له وجه الصبح في طخياء سماء أهل العقول الظلماء وأهل اللجاج والعناد ويأبى إلا أن يترك ستر الجهل على منافذ بصيرته فنحن نطلب التوفيق والتسديد من العلي القدير وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وغايتنا والله المسدد توضيح المرام وتلقيح الأفهام ومن عنده العون والتسديد.

أقول في مبحث علم الإمام عليه السلام بقاتله وفيه بإسناده عن الحسن بن الجهم قال قلت للرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الأوز صوائح تتبعها نوائح وقول أم كلثوم لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٠.

(٢) لعل هذا رد لما يفهم من كلام سدير في تحقير العلم الذي أوتي آصف بأنه وإن كان قليلاً بالنسبة إلى علم كل الكتاب فهو في نفسه عظيم كثير لانتسابه إلى علم الكتاب.

(٣) سورة الرعد: آية ٣.

بالناس فأبى عليه السلام وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف ابن ملجم قاتله بالسيف كان هذا مما لم يجز بفرضه، فقال ذلك كان ولكنه خيّر في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عز وجل. بيان قوله عليه السلام خير بالخاء المعجمة أي خيره الله عز وجل بين اللقاء والبقاء فاختار لقاء الله على البقاء ويؤيده ما تقدم عن الكافي في الحسين عليه السلام وأبي الحسن موسى عليه السلام.

قال العلامة المجلسي في مرآة العقول أنه مبني على كون حفظ النفس واجباً مطلقاً ولعله كان من خصائصهم عدم وجوب ذلك عند اختيارهم للموت وحكم العقل في ذلك غير ممتنع ثم حكي عن المحدث الاسترابادي أنه قال إن أحاديث الباب صريحة في أن المقدمة المشهودة بين المعتزلة من أن حفظ النفس واجب عقلاً غير مقبولة ولو خصصناه بحالة رجاء الخلاص، انتهى كلامه.

ومثل هذا الاحتمال أن يكون بمعنى الأجل والوقت والمعنى أنه بلغ المحتوم حينئذٍ وكان لا يمكنه الفرار ويؤيده ما رواه في البحار ص ٣٩٥ عن العيون والأمالي عن أبيه عن علي بن ابراهيم عن القطيفي عن أحمد بن عبد الله القروي أو القزويني عن أبيه عن فضل بن الربيع بعد تحويلهم للإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى الفضل بن يحيى قال: فحبس عنده أياماً فكان الفضل يبعث في كل ليلة مائدة ومنع أن يدخل عليه من عند غيره ولا يفطر إلا على المائدة التي يؤتى بها حتى مضى على تلك الحال ثلاثة أيام ولياليها فلما كانت الليلة الرابعة قدم إليه مائدة الفضل بن يحيى قال رفع عليه السلام رأسه إلى السماء قال: يا رب إنك تعلم أني لو أكلت قبل اليوم لكنت أعنت على نفسي، قال فأكل فمرض.. إلى قوله ثم توفي.

بيان الحديث مبني على الجمع بين التكليفين وأن إجباره للإمام عليه السلام ظاهراً لا ينافي علمه ببلوغ المحتوم أو أعلمه الله وقتئذٍ فتناوله مستسلماً للمنية

وربما يؤيد ويستشهد به أيضاً للوجوه الثلاثة الآتية، فلا تغفل.

وأما احتمال كونه من حير بمعنى التحير والإنساء من الله ليمضي فيه المقادير والحكم أو غيبة الروح والملك المسدد عنهم حينئذٍ فهذا هو الوجه الثاني من الوجوه وإن كان ذلك خلاف ظواهر ما قدمناه من بعض العمومات فأما الإنساء من الله تعالى فقد روي في بصائر الدرجات بإسناده عن بعض أصحابنا قال قلت للرضا عليه السلام: يعلم إذا مات؟ قال: نعم يعلم بالتعليم ممن تقدم حتى يتقدم في الأمر، قلت: علم أبو الحسن عليه السلام بالرطب والريحان المسمومين اللذين بعث إليه يحيى بن خالد؟ قال: نعم، قلت فأكله وهو يعلم فيكون معيناً على نفسه ،فقال لا يعلم قبل ذلك ليتقدم فيما يحتاج إليه فإذا جاء الوقت ألقى الله على قلبه النسيان ليقضي فيه الحكم، رواه في مرآة العقول.

وفي البحار ص ٣٠٣ وأما غيبة الروح والملك المسدد فقد رواه في البحار ص ٣٠٥ عن الكشّي قال: وجدت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار بخطه حدثني الحسن بن أحمد المالكي عن عبد الله بن طاوس قال قلت للرضا عليه السلام: إن يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر عليه السلام؟ قال: نعم سمه في ثلثين، قلت فما كان يعلم أنها مسمومة؟ قال: غاب عنه المحدث، قلت ومن المحدث؟ قال: ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة وليس كلما طلب وجد، ثم قال إنك ستعمر فعاش مائة سنة.

وأما الوجه الثالث فهو ما تقدم من التفصيل بين علمهم فيما سيكون بالإجمال وأما التعيين والخصوصيات فبالنسبة إليها يتوقف على الإرادة والمسألة فإن شاؤوا أو أرادوا سألوا الله علمها.

والوجه الرابع: أنهم لم يكونوا مكلفين بالعمل بذلك العلم في أكثر

تكاليفهم كما أن النبي وأمير المؤمنين سلام الله عليهما كانا يعرفان المنافقين حقاً ويعلمان سوء عقائدهم قطعاً ولم يكونوا مكلفين بالاجتناب عنهم وترك معاشرتهم ومناكحتهم وقتلهم وطردهم ما لم يظهر منهم شيء يوجب ذلك فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أحياناً يشير إلى أن ابن المرادي وهو يقول:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وهو رعيته ومقهور في يده وقبضته حتى أنه لما كرر عليه أنه قال اللعين يا أمير المؤمنين إن كنت ترى ذلك مني فاقتلني وكذا مجاهداته عليه السلام مع معاوية وهو المخبر بشهادته وباستيلاء معاوية بعده على شيعته ولما نعي الشامي عنده بموت معاوية وكرره أجابه بما معناه أنى يكون ذلك حتى يأتي الكوفة ويدخل المسجد وحامل رايته فلان وفلان وكان كما أخبر عليه السلام وبما ذكرناه في هذا المقام غني لرفع بعض الشكوك والأوهام والصلاة والسلام على محمد وآله خير الأنام.

وأما السؤال عن وجه الحكمة في ابتلائهم عليهم السلام وأنه لم يجعل الله أعدائهم وقتلتهم مقهورين مدفوعين كما وعد نصر أنبيائه وأوليائهم في الحالين جميعاً الدنيا والآخرة فقال أنا لننصر رسلنا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد قالوا وهذا الحسين بن علي عليه السلام قتل مظلوماً فلم ينصره الله وأن الله غضب للناقة ولم يظهر غضبه على قتلتها.

فالجواب عن الأول هو ما أجاب به الشيخ أبو القاسم حسين ابن روح كما ذكره عنه مولانا الرضي القزويني في تظلّم الزهراء عن البحار عن الإكمال والاحتجاج والعلل عن محمد بن إبراهيم بن اسحاق الطالقاني[1]. قال: كنت عند الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح مع جماعة وفيهم علي بن عيسى

(١) محمد بن ابراهيم بن إسحاق الطالقاني هو شيخ الصدوق قدس سره، وكثر في الرواية عنه مترضياً مترحماً.

القصري فقام إليه رجل وقال: أريد أن أسألك عن شيء فقال له سل عما بدا لك فقال الرجل أخبرني عن الحسين بن علي أهو ولي الله؟ قال: نعم، قال أخبرني عن قاتله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال فهل يجوز أن يسلط الله على وليه؟ فقال له أبو القاسم قدس سره: افهم عني ما أقول لك اعلم أن الله لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ولا يشافههم بالكلام ولكنه بعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم فلو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم فلما جاؤهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق قالوا لهم أنتم مثلنا فلا نقبل منكم حتى تأتون بشيء نعجز أن نأتي بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه فجعل الله لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والإعذار ففرق جميع من طغى وتمرد ومنهم من ألقي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً ومنهم من أخرج من الحجر الصلد الناقة وأجرى من ضرعها لبناً ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون وجعل له العصي اليابسة ثعباناً فتلقف ما يأفكون ومنهم ما أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله عز وجل وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون ومنهم من انشق له القمر وكلمه البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك فلما أتوا بمثل هذه المعجزات وعجز الخلق من أممهم أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله ولطفه بعباده أن جعل أنبيائه مع هذه المعجزات في حال غالبين وفي أخرى مغلوبين وفي حال قاهرين وفي حال مقهورين ولو جعلهم الله في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذوهم آلهة من دون الله عز وجل ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار ولكنه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين الخ، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين وليعلم العباد أن لهم إلهاً هو

خالقهم ومدبرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وادعى لهم الربوبية أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة.

قال محمد بن اسحاق بن ابراهيم فعدت إلى الشيخ أبو القاسم حسين بن روح في الغد وأنا أقول في نفسي أتراه ذكر لنا ما ذكر أمس من عند نفسه فابتدأني فقال لي: يا محمد بن ابراهيم لأن أخرُّ من السماء فتخطفني الطير وتهوي بي الريح في مكان سحيق أحب إليّ من أن أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة وصلى الله على محمد وآله.

وأما الجواب عن الثاني فقد أجاب عنه السيد الشريف المرتضى قدس سره فقال: إن الله وعد رسله والمؤمنين في الدنيا والآخرة بالنصر وأنجز وعده في الدنيا وهو منجز وعده في الآخرة وليس الوعد الذي وعدهم في الدنيا هي الدولة الدنياوية والأظفار لهم بخصومه والتمليك لهم إياهم بالغلبة والسيف والقهر به وإنما هو ضمان لنصرهم بالحجج البالغات وخذل أعدائهم بالكشف عن ضعف ما اعتمدوه من الشبهات وفضحهم بذلك وكشف عن سرائرهم وأبدانهم العورات وكذلك حال المؤمنين في النصر العاجل، فأما وعدهم به من النصر في الآخرة فإنه الانتقام لهم في الآخرة من الأعداء وطول عقابه بمن خالفهم من الخصماء وحميد العاقبة لهم بخلود دار الثواب وذميم عاقبة أعدائهم أنهم يصليهم في العذاب الدائم والعقاب الأبدي إلى قوله فاخبر عن اسمه أنه لا ينفع أعداء الرسل والمؤمنين معاذيرهم في القيامة وأن لهم فيها اللعنة ولهم سوء الدار أي الخلود في النار.

أقول: إن ما أفاده السيد قدس سره كان وافياً للجواب إلا أن قولنا هذا يكون من باب توضيح المرام وتلقيح الأفهام فقد نستخلص في تفسير الآية

الكريمة الآتية في قول عز من قائل: ﴿**لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**﴾ ما مفاده منها نفي السبيل عليهم بالحجة ونصرة المؤمنين عليهم بالدلالة ولتوضيح الغاية المرتجاة.

أقول: إن غلبة الكفار على المؤمنين في الظاهر ليس من فعل الله بل ومن شرط التكليف تمكين الظالم من القبيح وأن لا يحول بينهم وبين مختارهم خذلاناً وهذا مقتضى جريان حكمة العدل.

كما أن وقوف سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في هذا الموقف والقيام بنهضته واختياره فقد كان جرياً للعدل والفضل وإيضاحاً لبيان عظمته وقربه عند الله بما أعطاه وخصه بمواهبه التي لم يعطها ولم يخصها لأحد من النبيين والأوصياء ولا لأحد من الصديقين والشهداء فقد كان روحي له الفداء أفضل المستشهدين وأصدق الصديقين وخصه الله من بين النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بالفضل والكرامة والعلم والإمامة فقد جعل الله في ذريته الأوصياء وفي تربته الشفاء وتحت قبته يستجاب الدعاء كما أن مصائبه أعظم وسيلة لنجاة أوليائه وتابعيه يوم القيامة وهو يوم المطلع وحمامه ولقد أجاد السيد المرتضى علم الهدى قدس سره ما أنشأه في شهداء الطف وأباة الضيم حيث قال:

لهم نفوس على الرمضاء مهملة ... وأنفس في جوار الله يقريها
كان قاصدها بالضر نافعها ... وأن قاتلها بالسيف محييها

فقد استدرك الحسين عليه السلام روحي فداه إحياء الدين بتلك النهضة العالية فلم يستقم عمود الدين ولم يعتدل إلا بها وبها تزلزلت شوكة الجائرين وتضعضعت أبنية الشرك وهدمت ما أسسته ومهدت المخالفين ورجع الحق إلى مركزه ولم يقم لأمة الجور قائمة حتى سلبهم ملكهم واضمحل ذكرهم وأمرهم وقطع دابرهم.

أقول: إن كلامنا في سيد الشهداء عليه السلام لا يكون من الخروج والابتعاد عن منهاج البحث في جملة علومهم عليهم السلام بل يكون في التنقيب والتنقير في بواطن علومهم والله المستعان عليه توكلت وإليه أنيب.

الأسرار النورانية
في خصوصية علم أمير المؤمنين صلوات الله عليه

انفرد باب مدينة علم الرسول ﷺ بمراتب من العلوم، وأنت وفقك الله وأصلح شأنك تعلم لو كنا على علم وبينة بأن علوم أمير المؤمنين عليه السلام ملأت الخافقين بين محب فأظهر علمه وبين مبغض والعياذ بالله فستر علمه وبين هذا وذاك بين يديك علماً زاخراً وبحراً خضماً ومرتبة علمه عليه السلام .

الأولى: بتعلم من رسول الله ﷺ قوله عليه السلام : ما نزلت من آية في بر أو بحر في سفر أو حضر إلا وأقرأنيها رسول الله ﷺ ، الحديث.

الثانية: علوم لدنية إلهية أفيضت على أمير المؤمنين.

قوله عليه السلام : علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب، الحديث.

وقد تقدم ذكره والتعليق عليه وبين المرتبة الأولى والثانية نورانية علومه عليه السلام في عالم الملكوت والملأ الأعلى وعالم الذر وقولنا بأنهم عليهم السلام العلة الغائية للكائنات وهم النور الأول وإلى هذا تشير الأخبار الواردة بأولوية النور وقوله ﷺ بأولوية نوري وروحي فهي واحدة وهي عبارة عن نوره ﷺ وهو أول مخلوق على الأولوية الحقيقية ليس فيه للإضافة مدخل بوجه من الوجوه لأنه قد استفاض في الأخبار أن نوره ﷺ أفرزه الله سبحانه من نوره وأفرز من ذلك النور أنوار الأئمة الطاهرين وأفرز من ذلك النور الثاني أنوار المؤمنين فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ومن هذا قال ﷺ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.

أقول: في كون نور علي عليه السلام ونور رسول الله ﷺ نور واحد فقسمه الله قسمين كما مر عليك الحديث سابقاً، وحقيقة هذه الأنوار كما هي على مذهبنا وليس يكون تحقيقها على حقيقتها ولكن المفهوم من جملة الأخبار هو أن المراد بهذه الأنوار أجسام لطيفة نورانية على قالب هذه الأجسام وتفارقها في النور واللطافة والصفا ولما خلقها وأدخل الأرواح فيها كانت أجساماً فيها أرواح في عالم الملكوت تسبح الله وتقدسه وتمجده وتعَلَّم الملائكة بعد أن خلقوا للعبادة والتسبيح.

ومنه قال ﷺ سبّحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا وقدّسنا فقدست الملائكة بتقديسنا، الحديث. وقد روى السيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية عن صاحب بستان الكرامة أن النبي ﷺ كان جالساً وعنده جبرائيل عليه السلام فدخل علي عليه السلام فقام له جبرئيل عليه السلام فقال النبي ﷺ: أتقوم لهذا الفتى؟ فقال له عليه السلام: نعم إن له عليّ حق التعليم، فقال النبي ﷺ: كيف ذلك التعليم يا جبرئيل؟ فقال: لما خلقني الله تعالى سألني من أنت وما اسمك ومن أنا وما اسمي فتحيرت في الجواب وبقيت ساكتاً ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلّمني الجواب فقال قل أنت ربي الجليل واسمك الجليل وأنا العبد الذليل واسمي جبرئيل ولهذا قمت له وعظّمته.

أقول: فالنبي ﷺ وأهل بيته صلوات الله عليهم قد شاركوا الملائكة في أفضل صفاتهم التي هي النورية الخاصة وزاد عليهم في الصفات العالية التي لا تكاد تحصى.

ومن هذا أجاب شيخنا الشهيد طاب ثراه عن شبهة من ذهب إلى أفضلية الملائكة على الأنبياء بأن في الملائكة من لا يفتر عن الطاعة والعبادة من أول عمره إلى آخر فناء الدنيا وحاصل الجواب أن هذه الصفة تنغمر في صفات الأنبياء عليهم السلام فإن إرشاد الخلائق إلى طريق الهداية بعد الضلالة يفضل

عبادة الملائكة بحكم قوله تعالى: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ أي من أنقذها من الضلالة التي هي شبيهة بالموت بل أعظم منه.

أقول: وقد ذكر المولى النراقي في جامع سعاداته ما حاصله مقارناً بين الأولياء والملائكة يقول إن الملائكة وجودات مجردة خلقها الله خالية عن الشهوة والغضب والأولياء وجودات غير مجردة عن الشهوة والغضب ومع ذلك يصل الأولياء إلى درجات العليين مع وجود المنازع.

أقول: في القول الأول في قول الله تعالى ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ الآية، وأنت وفقك الله ونوّر بصيرتك تعرف مدى جهاد أمير المؤمنين عليه السلام وهو في لهوات الحرب يرجع وقد بنى علق الدم عليه بنياناً وقد مات والصلاة بين شفتيه وقد نوّه النبي صلى الله عليه وآله بولايته يوم الغدير وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ومنها أن المساواة بينهما إنما أتت من عالم الملكوت نعم إنما فضله بالنبوة وبتوسط التعليم وإلى هذه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وقد روى الصدوق طاب ثراه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها وأعطي ثلاثاً ولم أشاركه فيها، فقيل يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام؟ قال: لواء الحمد لي وعلي حامله والكوثر لي وعلي ساقيه والجنة والنار لي وعلي قسيمها، وأما الثلاث التي أعطي علي ولم أشاركه فيها فإنه أعطي شجاعة ولم أعط مثله وأعطي فاطمة الزهراء زوجة ولم أعط مثلها وأعطي ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ولم أعط مثلهما.

أقول: وينبغي أن يراد بالشجاعة هنا أعمالها وممارسة الحروب والدخول فيها لا مبدءها من قوة القلب والجرأة على اقتحام الحروب لأن النبي صلى الله عليه وآله منها الحظ الأوفر نعم لما كان هو السلطان لم يباشر الحروب بنفسه المباركة بل تصدى لها علي عليه السلام ومما أعطي من فرائد أنواره في

الأكل واللبس والجسم والعبادة والزهد فحاله فيه مشهور وهو على الألسن مذكور وفي الكتب مسطور روى العامة والخاصة في رواية ضرار بن ضمرة الليثي في وصف أمير المؤمنين عليه السلام فقال: كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلّب كفه ويخاطب نفسه ويناجي ربه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه وكنا مع دنوه منّا وقربنا منه لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته في مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن أسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم إليّ تشوقت هيهات هيهات غرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم الموقف.

وروي عن سويد بن غفلة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره فقلت يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت، فقال عليه السلام: يا ابن غفلة إن البيت لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار أمن نقلنا إليها خير متاعنا وإنا عن قليل إليها صائرون، انتهى.

وكان عليه السلام إذا أراد أن يكتسي دخل السوق فيشتري الثوبين فيخيّر قنبر أجودهما ويلبس الآخر ثم يأتي النجار فيمد له إحدى كميه ويقول له خذه بقدومك ويقول هذه تخرج في مصلحة أخرى ويبقى الكم الأخرى بحالها

ويقول هذه نأخذ فيها من السوق للحسن والحسين عليهما السلام.

وروي عن الأسود وعلقمة قال: دخلنا على علي عليه السلام وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من شعير وإن اسطار النخالة ليبين في الخبز وهو يكسره على ركبتيه ويأكل بملح جريش فقلنا لجارية له اسمها فضة ألا نخلت هذا الدقيق لأمير المؤمنين عليه السلام فقالت أيأكل هو المهنى ويكون الوزر في عنقي فتبسم وقال: أنا أمرتها أن لا تنخله، قلنا ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك أجدر أن تنزل النفس ويقتدي فيّ المؤمن فألحق بأصحابي، انتهى.

أقول: والحق أن لا نطيل في عرض هذه الروايات فإنها تستغرق مجلدات من سيرته الشريفة صلوات الله عليه.

باب في نور فضله وشرفه:

اعلم وفقك الله أنه لا خلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في أشرفية نبينا صلى الله عليه وآله على سائر الأنبياء عليهم السلام للأخبار المتواترة وإنما الخلاف في أفضلية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام على الأنبياء ما عدا جدهم صلى الله عليه وآله، فذهب جماعة إلى أنهم أفضل باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم فإنهم أفضل من الأئمة عليهم السلام وبعضهم إلى المساواة وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة عليهم السلام على أولي العزم وغيرهم وهو الصواب والدليل عليه أمور، وقد ذكر السيد نعمة الله الجزائري في أنواره النعمانية خمسة أمور:

الأول: قول النبي صلى الله عليه وآله لم يكن لفاطمة كفو آدم عليه السلام فمن دونه وقد اعترض الرازي على هذا بأن ابراهيم وإسماعيل أبواها فلا يدخلان في هذا العموم، والجواب ظاهر وهو أن المراد النظر إلى الكفوية مع قطع النظر عن الأبوية مع أن غيرهما كافٍ في باب التفضيل إذ لا قائل بالفرق بين موسى وإبراهيم.

الثاني: ما رواه المفضل بن عمر قال أبو عبد الله عليه السلام أن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي الحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم فعرضها على السموات والجبال فغشيها نورهم فقال الله تبارك وتعالى للسموات والأرض وإليك هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منهم ولمن تولاهم خلقت جنتي ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري إلى أن قال فلما أسكن آدم عليه السلام وحواء الجنة نظر إلى منزلة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة فوجداها أشرف منازل أهل الجنة فقال لهما سبحانه لولاهما لما خلقتكما ولا يعترض على هذا بأن الأفضلية باعتبار المجموع الذي قد دخل فيه النبي صلى الله عليه وآله لأن قوله سبحانه ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منهم بمنزلة قوله ما خلقت خلقاً أحب إليّ من محمد وما خلقت خلقاً أحب إليّ من علي وهكذا مع أن الأخبار الواردة عن طريق الوحدة متكثرة جداً.

الثالث: ما روي مستفيضاً من قوله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيامة أقام الله عز وجل جبرئيل ومحمد عليه السلام على الصراط لا يجوز أحد إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام، رواه ابن حجر في الصواعق المحرقة باب الأربعين حديثاً، وإلا هلك وأنزله الله الدرك الأسفل وكذا روي أن لا يدخل الجنة أحد إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام وأحد في الموضعين نكرة في سياق النفي وتوجيه هذا ظاهر والقول فيه أن الله تعالى يبعث رضوان بمفاتيح الجنة ومالكاً بمفاتيح النار فيدفعهما إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ويأتي شفير جهنم فيقف والملائكة تسوق الناس إلى الصراط وهو واقف عنده فيقول يا نار هذا لي وهذا لك، وهذا معنى كونه قسيم الجنة والنار على ما تواترت به الأخبار.

الرابع: ما رواه ابن عباس في تفسير قوله تعالى: وإنا لنحن الصافون

وإنا لنحن المسبحون، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما رآه النبي ﷺ تبسم في وجهه وقال؛ مرحباً بمن خلقه الله تعالى قبل أبيه آدم عليه السلام بأربعين الف عام، فقلت يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ فقال: نعم إن الله خلقني وخلق علياً قبل أن يخلق آدم عليه السلام بهذه المدة خلق نوراً فقسمه نصفين فخلقني من نصفه وخلق علياً من النصف الآخر قبل الأشياء فنورها من نوري ونور علي جعلنا عن يمين العرش ثم خلق الملائكة فسبحنا فسبحت الملائكة وهلّلنا فهلّلت الملائكة وكان ذلك من تعليمي وتعليم علي وكان ذلك في علم الله السابق أن الملائكة تتعلم منا التسبيح والتكبير والتهليل وكل شيء سبّح الله وكبّره وهلله بتعليمي وتعليم علي.

أقول: فمن كان له السبق في التعليم يكون بالدليل العقلي مفضلاً على المفضول بدليل التبعية والتعليمية ويقبح من العقل تقديم المفضول على الفاضل ووجه الاستدلال بهذا ظاهر لأن مرتبة الأستاذ أعلى درجة من درجة التلميذ كما يظهر من قوله ﷺ: وكل شيء سبّح الله بتعليمي وتعليم علي.

الخامس: ما استفاض من الأخبار من أن علم الأئمة عليهم السلام أكمل من علوم كل الأنبياء وذلك أن من جملته علم الاسم الأعظم وهو ثلاثة وسبعون حرفاً منها استأثر به الله سبحانه واثنان وسبعون علّمها لرسوله وأمره أن يعلّمها أهل بيته وأما باقي الأنبياء عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام: إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما وأعطى موسى عليه السلام أربعة أحرف وأعطى إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف وأعطى نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً وأعطى آدم عليه السلام خمسة وعشرون حرفاً وقد جمع كل ذلك لمحمد وآله سوى حرف واحد استأثر به الله.

وروى صاحب كتاب الأربعين عن عمار بن خالد عن إسحاق الأزرق

عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة حواريّ عيسى عليه السلام في رقّ مكتوب أنه لما تشاجر موسى والخضر عليهما السلام في قصة السفينة والغلام والجدار ورجع موسى إلى قومه فسأله أخوه هارون عما شاهده من عجائب البحر قال موسى عليه السلام: أنا والخضر على شاطىء البحر إذ سقط بين أيدينا طائر فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى بها نحو المشرق وأخذ الثانية ورمى بها نحو المغرب فأخذ الثالثة ورمى بها نحو السماء وأخذ الرابعة فرمى بها نحو الأرض ثم أخذ الخامسة فألقاها في البحر، فبهتّ أنا والخضر من ذلك وسألته عنه فقال: لا أعلم، فبينما نحن كذلك وإذا بصياد في البحر فنظر إلينا وقال ما لي أراكما في فكرة من أمر الطائر، فقلنا هو كذلك فقال أنا رجل صياد وقد علمت إشارته وأنتما نبيّان لا تعلمان فقلنا لا نعلم إلا ما علّمنا الله عز وجل فقال هذا الطائر في البحر يسمى مسلماً لأنه إذا صاح يقول في صياحه مسلم فإشارته برمي الماء يقول يأتي في آخر الزمان نبي يكون علم أهل السموات والأرض والمشرق والمغرب عنه علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر ويرث علمه ابن عمه ووصيه علي بن أبي طالب فعند ذلك سكن ما كنا فيه من التشاجر واستقل كل واحد منّا علمه.

وأما حوادث العلوم المتجددة بحوادث الأيام ففي أعصار الأئمة عليهم السلام فقد روي أن علمها يعرض على روح النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده من الأئمة عليهم السلام ثم يعرض على الإمام الحي حتى لا يكون لآخرهم فضل على أولهم بالعلم ومن كان أعلم كان أفضل لقوله سبحانه: **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾**.

السادس: أنه قد روي في عدة أخبار أنه قد اجتمع في علي عليه السلام من الصفات ما وجد في غيره متفرقاً من الأنبياء السابقين.

روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى سليم بن قيس قال: قال رسول

الله ﷺ: علي في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الأرض وفي السماء الدنيا كالقمر بالليل في الأرض أعطى الله تعالى علياً من الفضل جزءاً لو قسم على أهل الأرض لوسعهم وأعطاه الله من الفهم جزءاً لو قسم على أهل الأرض لوسعهم شبهت لينه بلين لوط عليه السلام وخلقه بخلق يحيى عليه السلام وزهده بزهد أيوب عليه السلام وسخاؤه بسخاء إبراهيم عليه السلام وبهجته ببهجة سليمان بن داود عليه السلام وقوته بقوة داود عليه السلام له اسم مكتوب على كل حجاب في الجنة بشرني ربي، الحديث.

أقول: وكل من جمع الأوصاف الحسنة له أفضل على كل من فيه أحدها.

السابع: ما أورده الصدوق طاب ثراه نقلاً عن جماعة ثقاة قال لما وردت حرّة بنت حليمة السعدية رضي الله عنهما على الحجاج بن يوسف الثقفي وجلست بين يديه فقال لها أنت حرة بنت حليمة قد قيل عنك أنك تفضلين علياً على فلان وفلان، قالت لقد كذب الذي قال إني أفضله على هؤلاء خاصة، قال وعلى من غير هؤلاء؟ قالت أفضله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم فقال لها ويلك أقول لك أنك تفضليه على الصحابة فتزيدين عليهم ثمانية من الأنبياء من أولي العزم فإن لم تأتيني ببيان ما قلت وإلا ضربت عنقك، فقالت ما أنا فضلته على هؤلاء الأنبياء بل الله عز وجل فضله في القرآن عليهم في قوله في حق آدم: **﴿فعصى آدم ربه فغوى﴾** وقال في حق علي عليه السلام: **﴿وكان سعيهم مشكوراً﴾** فقال أحسنت يا حرة فبم تفضليه على نوح ولوط قالت: الله تعالى فضله عليهم بقوله: **﴿ضرب مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا الصالحين فخانتاهما﴾** وعلي بن أبي طالب كان ملّكه تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمد ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام التي يرضى الله

لرضاها ويسخط لسخطها فقال الحجاج أحسنت يا حرة فبم تفضليه على أب الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام فقالت الله فضله بقوله: ﴿**قال إبراهيم أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ وأمير المؤمنين قال قولاً لم يختلف فيه أحد من المسلمين: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً، وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد، قال أحسنت يا حرة فبم تفضليه على موسى عليه السلام نجيّ الله قالت يقول الله عز وجل: ﴿**فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجّني من القوم الظالمين**﴾ وعلي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخف حتى أنزل الله في حقه: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ قال أحسنت يا حرة قال فبم تفضليه على داود عليه السلام قالت الله فضله عليه بقوله: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى**﴾ قال لها فأي شيء كانت حكومته؟ قالت في رجلين أحدهما كان له كرم وللآخر غنم فنفشت الغنم في الكرم فرعته فاحتكما إلى داود فقال تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود على ما كان عليه فقال له ولده يا أبه بل يأخذ من لبنها وصوفها فقال الله عز وجل: ﴿**ففهمناها سليمان**﴾ وأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال اسألوني عما فوق السماء اسألوني عما تحت العرش اسألوني قبل أن تفقدوني وأنه عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقال النبي صلى الله عليه وآله للحاضرين أفضلكم وأعلمكم علي فقال لها أحسنت يا حرة فبم تفضليه على سليمان عليه السلام فقالت الله فضله عليه بقوله: ﴿**ربّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾ ومولانا عليه السلام قال يا دنيا قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعند ذلك أنزل الله عليه: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾ قال أحسنت يا حرة فبم تفضليه على عيسى بن مريم عليه السلام قالت الله فضله عليه بقوله: ﴿**إذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك**﴾ الآية، وعلي بن

أبي طالب لما ادعوا الفنائية فيه ما ادعوا لم يعاتبه الله سبحانه فقال أحسنت يا حرة خرجت من جوابك ولولا ذلك لما كان ذلك، ثم أجازها وأعطاها وسرحها سراحاً حسناً، انتهى.

وقد روى صاحب كتاب القدسيات وهو من أعظم محققي الجمهور عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: يا علي إن الله تعالى قال لي يا محمد بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً، ثم قال صاحب ذلك الكتاب وصرح بهذا المعنى في قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدي ليعلموا أن باب النبوة قد ختم وباب الولاية قد فتح، انتهى كلامه.

والقول في هذا الأمر الذي روي من بعثه عليه السلام باطناً صعب مستصعب وقد روي مضمونه في أخبار أهل البيت عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو إشارة إلى سر إلهي في الغاية القصوى من التحقيق وهو أنه قد روي عنه عليه السلام أنه قال في جواب من سأله عن فضله وفضل من تقدمه من الأنبياء مع أنهم حازوا غاية الإعجاز، أما إبراهيم عليه السلام فقد نجاه الله سبحانه من نار النمرود وجلعها عليه برداً وسلاماً ونوح عليه السلام قد نجاه الله من الغرق وموسى عليه السلام من فرعون وأتاه التوراة وعلّمه إياها وعيسى عليه السلام أتاه النبوة في المهد وانطقه بالحكمة والنبوة وسليمان عليه السلام الذي سخّر له الريح والجن والإنس وجميع المخلوقات فقال عليه السلام والله قد كنت مع إبراهيم في النار وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق وكنت مع موسى فعلمته التوراة وأنطقت عيسى في المهد وعلّمته الإنجيل وكنت مع يوسف في الجب فأنجيته من كبير اخوته وكنت مع سليمان على البساط وسخّرت له الريح.

ومن درر أنوار علومه عليه السلام قوله عليه السلام لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً وقد مر الكلام عنه تلميحاً أما في معرض بيان التصريح كشف أجلاء

الغيوم وتلقي المفهوم وكشف النقاب وفتح الباب ليظهر المستور المعلوم والله علام العلوم وكما قيل التصريح خير من التلميح وننقل في ذلك رأي علماءنا الأعلام قدس الله أسرارهم ونوّر الله أضرحتهم.

أولها: ما نقل عن العلامة الحلي قدس الله روحه من أن المراد أن علياً عليه السلام لما كانت مادة استعداده لمراتب المعرفة انقص من مادة استعداد النبي صلى الله عليه وآله فكأنه عليه السلام قال: إني وصلت في درجات المعرفة الدرجة التي لا أتعداها فلو كشف الحجاب وصار ما يدرك بالبصيرة مدركاً بالبصر لما ازداد علمي ويقيني وهذا الجواب كما ترى.

وثانيها: ما قاله شيخنا البهائي طاب ثراه من أن قول أمير المؤمنين عليه السلام منزل على درجات القيامة ومراتبها والمعنى لو كشف عن مراتب الآخرة وما قاله الأنبياء عليهم السلام في وصفها لما ازددت علماً في معرفتها وأنا في هذه الدنيا فلا يكون قوله عليه السلام في المعرفة ودرجاتها بل في أحوال تلك النشأة كما رواه رئيس المحدثين الشيخ الكليني نوّر الله ضريحه عن اسحق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال أصبحت يا رسول الله موقناً فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعرضت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب الحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر إلى أهل الجنة وهم يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الآرائك متكئون وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه للإيمان، ثم قال له إلزم ما أنت عليه، انتهى قوله.

وثالثها: ولعمري قول من قال فيه شعراً حسناً:

قيل لي قل في علي مدحاً ... ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أقدم في مدح فتى ... حار ذو اللبّ إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحس القلب أن قد برده
وعليٌّ واضع أقدامه ... بمحل وضع الله يده

لؤلؤة: في علمه النوري عليه السلام قوله في الموجودات من العلوم الإلهية فوق العرش وتحت الثرى فقد قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إذا انتهى الكلام إلى الثرى فقد انقطع علم العلماء والظاهر أن المراد كون الثرى والعرش نهايتين للعلم الكسبي الذي يمكن محاولته بالفكر والنظر فإن العقول تتفاوت في الإدراك والأوهام تزيد وتنقص لأسبابها المألوفة كما قرر في محله.

وأما العلم الإلهي الذي أتاه النبي وأهل بيته عليهم السلام فقد تجاوز العرش وتحت الثري فقد روي عن الطاهرين عليهم السلام أن الله تعالى خلق مائة الف قنديل وعلّقها والعرش والسموات والأرض وما فيها حتى الجنة والنار كلها في قنديل واحد ولا يعلم ما في القناديل الباقية إلا الله.

وروى الصدوق قدس الله روحه عن الرضا عليه السلام أنه قال: أترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم بلى والله خلق الف الف عالم وألف الف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين.

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن الشمس تقطع اثني عشر برجاً

واثني عشر براً واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً، وقال عليه السلام: أن الله خلق اثني عشر الف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين ما يرى عالم غيرهم وإني الحجة عليهم ولا يخفى أن هذه العوالم لا يكون إلا فوق السماء والأول صريح في كونها فوق العرش وأن العرش في بطن القناديل فسبحان من جلّت عظمته ومنعت حوزته.

وقال محي الدين بن العربي في الباب الثامن من الفتوحات؛ إن من جملة العوالم عالماً على صورنا إذا أبصره العارف يشاهد نفسه فيه وقد أشار إلى ذلك عبد الله بن عباس فيما روي عنه في حديث الكعبة أنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً وأن في كل من الأرضين السبع خلق مثلنا حتى أن فيهم ابن عباس مثلي وصدقت هذه الرواية عن أهل الكشف وكلما فيه حيّ ناطق وهو باقٍ لا يتبدل وإذا دخله العارفون فإنما يدخلونه بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض ويتجرّدون وفيها مدائن لا تحصى وبعضها تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار وكل حديث وآية وردت عنها مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض، انتهى كلامه.

وقال صاحب الأنوار النعمانية السيد نعمة الله الجزائري وهذا العالم تسميه حكماء الأشراق الإقليم الثامن وعالم المثال وعالم الأشباح.

وقال التفتزاني في شرح المقاصد وعلى هذا بنوا أمر المعاد الجسماني فإن البدن المثالي الذي تتصرف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسي في أن له جميع الحواس الظاهرة والباطنة فتلتذ وتتألم باللذات والآلام الجسمانية.

وقال صاحب شرح حكمة الأشراق للمقدس السهروردي رضوان الله عليه أن الصور الخيالية لا تكون موجودة في الأذهان لامتناع انطباع الكبير في الصغير ولا في الأعيان وإلا لرآها كل سليم الحس وليست عدماً محضاً وإلا

لما كانت متصورة ولا متميزاً بعضها عن بعض ولا محكوماً عليها بأحكام مختلفة وإذا هي موجودة فليست في الأعيان ولا في الأذهان ولا في عالم العقول لكونها صوراً جسمانية لا عقلية فبالضرورة تكون موجودة في صقع وهو عالم يسمى بالعالم المثالي والخيالي متوسط بين عالمي العقل والحس لكونه بالرتبة فوق عالم الحس ودون عالم العقل لأنه أكثر تجرداً من الحس وأقل تجرداً من العقل وفيه جميع الأشكال والصور والمقادير والأجسام وما يتعلق بها من الحركات والسكنات والأوضاع والهيئة وغير ذلك قائمة بذاتها متعلقة لا في مكان ومحل وإليه الإشارة بقوله والحق في صور المرايا والصور الخيالية أنها ليست منطبعة أي في المرآة والخيال ولا في غيرهما بل هي أبدان معلّقة في عالم المثال ليس لها محل لقيامها بذاتها وقد يكون لها ـ أي لهذه الأبدان المعلقة ـ لا في مكان ظاهر فصور المرآة مظهرها المرآة وهي معلقة لا في مكان ولا في محل وصورة الخيال مظهرها الخيال وهي معلقة لا في محل فافهم وتدبر، انتهى كلامه.

فقد روى الصدوق طيب الله ثراه مسنداً إلى وهب قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب فقال: أول الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة عام حجبة كل حجاب منها سبعون الف ملك قوة كل ملك منها قوة الثقلين منها ظلمة ومنها نور ومنها دخان ومنها سحاب ومنها رعد ومنها برق ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها أنهار وهي حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام ثم سرادقات الجلال وهي ستون سرادقاً في كل سرادق سبعون الف ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام ثم سرادق الفخر ثم سرادق الكبرياء ثم سرادق العظمة ثم سرادق القدس ثم سرادق الجبروت ثم سرادق الفخر ثم سرادق النور الأبيض ثم سرادق الوحدانية وهي مسيرة سبعين الف عام ثم الحجاب الأعلى وانقضى كلامه ثم سكت عليه السلام.

وقال أمير المؤمنين: إن لله سبعين ألف حجاب من نور لو كشف منها حجاب واحد لأحرقت سبحات جلاله ما في الكونين، انتهى.

وأقول: إن الأخبار الواردة في باب علومه النورية والأسرار المودعة الإلهية لا ضير في أنها من دوحة علوم الرسالة الأحمدية وعلوم لدنية فوقية حباها الله عز مقامه باب مدينة علم الرسول ﷺ فهو سيد موحدي الأمة ووصي رسول الأمة وأبو الأطهار الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

فصل في شفاعة الإمام

والمسألة خلافية على باقي المذاهب والأصح ما ذهبت إليه الإمامية.

إن الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ وصالح المؤمنين والملائكة المقربين فيجوز الاستشفاع بهم إلى الله تعالىٰ لنهوض الكتاب والسنة عليه فمن الكتاب قوله سبحانه: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاسغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾ دلت الآية على أن العاصين متى جاؤوا إلى الرسول تائبين وجعلوا يتوسلون به في طلب المغفرة من الله واستغفر عند ذلك لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً فلو كان الاستشفاع من النبي ﷺ شركاً لله لما وجدوا الله تواباً رحيماً لأن الله سبحانه لا يغفر أن يُشرك به.

قال الفخر الرازي في التفسير الكبير: يعني لو أنهم عندما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت والفرار من التحاكم إلى الرسول جاؤوا الرسول وأظهروا الندم على ما فعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه واستغفر لهم الرسول بأن يسأل الله أن يغفر لهم عند توبتهم لوجدوا الله تواباً رحيماً، انتهى.

وقال أيضاً عند ذكر الفائدة للعدول عن الخطاب إلى الغيبة وإنما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم إجلالاً للرسول وأنهم إذ جاؤوه فقد جاؤوا من خصه الله برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فالله لا يرد شفاعته.

وقال السيد محمد حسن القزويني في رسالة البراهين الجليّة تعليقاً على ما ذكره الفخر الرازي ما نصه: وما ذكره من كون الرسول ﷺ سفيراً بين الله تعالى وبني العباد هي الواسطة التي أثبتتها الإمامية وسائر الفرق من المسلمين الذين أثبتوا للنبي الشفاعة المطلقة بل أقول إن النكتة في العدول من الخطاب إلى الغيبة هي الإشارة والدلالة على أن هذا المقام الكريم وغفران الله باستغفاره الشفيع غير مختص بشخصية النبي وإنما هو عام لكل سفير ومن له جهة القرب من الله المقتضية للأهلية للشفاعة.

ومنها قوله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب: **﴿يا أبت استغفر لنا ذنوبنا وإن كنا لخاطئين﴾** وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي فإنه صريح في سؤالهم وتوسلهم بأبيهم إلى الله في الاستغفار وطلب العفو ونزول الرحمة في الدنيا قبل الآخرة.

ومنها ما تضمن الأمر باستغفار النبي ﷺ للمؤمنين من قوله تعالى: **﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين﴾** وقوله سبحانه: **﴿وصلِّ عليهم إن صلواتك سكن لهم﴾** ومن المعلوم أن الأمر به يلازم جواز الاستشفاع بالنبي لأنه لا يأمر بالشرك والكفر أي يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون.

وقول بعض أصحاب المذاهب إن الله أعطى نبيه الشفاعة ولكن نهاك عن الاستشفاع به كلام شعري مبناه الخيال فإنه مثل أن يقول إن الله تعالى أعطى نبيه ﷺ يوم القيامة سقاية الحوض ولكن نهي الناس عن الورود عليه والاستسقاء منه أو يقول إن الله تعالى أكرم عم النبي ﷺ العباس بسقاية الحاج ولكن نهى الحاج عن الوفود عليه فهل يجد الأنسان لمثل هذا الكلام معنى لو أنه إذا راجع وجد أنه يرى أنه إذا قال السلطان لبعض غلمانه إني فوضت إليه تولية أمور رعيتي ولكن نهيت الرعية عن المراجعة إليك في أمورهم عدّ كلام هذا سفهاً ولغواً.

ومنها قوله تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ دلت على جواز وقوع الشفاعة الحسنة من المؤمنين بعضهم في حق بعض ومتى جاز التوسل بالشفيع وكان ذلك شركاً لما صح الإذن في الشفاعة لا عقلاً ولا سمعاً مع أنها مأذون فيها ومرغب إليها بقوله سبحانه: ﴿يكن له نصيب منها﴾ والوجه في ذلك أن الشفاعة عبارة عن اجتماع الشفيع مع المشفوع له في الدعاء والمسألة إذ الشفاعة مشتقة من الشفع وهو أن يصير الإنسان نفسه شفعاً لصاحب الحاجة كي يجتمع معه على المسألة من الله تعالى فهي دعاء وطلب من الله تعالى وطلب لدعاء الشفيع إلى الله لا دعاء مع الله والآية دالة على حرمة الدعاء مع الله لا الدعاء من الله تعالى وأين هذا من ذاك.

ومن السنة ما في صحيح البخاري من باب إذا استشفعوا إلى الإمام ليستسقي لهم لم يردهم وباب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط فراجع فإن قلت إن الله حكم بكفر عبدة الأوثان وشركهم لأجل قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت نعم إن الله حكم بكفر هؤلاء لكن منشأ كفرهم أحد الأمرين إما بغيهم وعتوهم على الله بجعلهم من لا أهلية له من جانب الله شفيعاً ووسيلة يتوسلون بها إلى الله وإما عبادتهم لذلك الشفيع حيث قالوا وما يفيدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وأين هذا من جعل الأنبياء شفعاء إلى الله لا شركاء معه في الدعاء فإن الاستشفاع بهم لا يكون كفراً أو شركاً فالوجهين بين مجمل ومفصل.

أما الوجه الأول أن:

للإمامية بل وقاطبة المسلمين الذين يجوزون الاستشفاع سؤالاً للمدعي وهو أنه هل ثبتت الشفاعة في الشريعة أم لا فإن قال لا أنكر ما أقر به أولاً من أن الشفاعة أعطاها الله غير النبي أيضاً وأنكر على الله ما في القرآن وإن قال

نعم قلنا له هل الشفيع شريك مع الله في المغفرة أو أنه شريك مع المشفوع له في طلب المغفرة فإن قال بالأول فقد أثبت لله سبحانه الشريك وصار إلى ما فر منه وإن قال بالثاني أقر بالحق الذي عليه المسلمون وإن قال بالفرق بين الدنيا والآخرة قلنا له إن ما يكون شركاً في الدنيا لا يكون طاعة في الآخرة وأن الشرك شرك قبيح في الدنيا والآخرة.

وأما الوجه التفصيلي الثانوي فهو أنه لو كان التوسل بالشفيع عبادة له لما جاز الأمر بالتوسل في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ فإن المراد بالوسيلة ما يتوسل به إلى الله تعالى ولا يختص بالأفعال العبادية أو مطلق الطاعة أو الكتاب والسنة بل اللفظ بظاهره عام لا معدل عنه فيعم مطلق الوسائل التي أمر الله تعالى باتباعها والاعتصام بها من الأنبياء الذين هم حبل الله الممدود من السماء في قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ فإذا المراد من الحبل في الآية هي الواسطة بين الله تعالى وبين عباده شبهت بالحبل المرابط بين الشيئين فقول من قال إن الواسطة ملغاة في الشريعة ترده الكتاب والسنة الواردة عن النبي ﷺ في أهل بيته وأصحابه بطرق صحيحة مثل قوله ﷺ: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. وقوله ﷺ في الحديث المتواتر: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، ومعنى التمسك بهما التوسل بهما في الشدائد وجعلهما سبباً للنجاة من الهلكة في الدنيا والآخرة ثم إن الجواب عما استدل به الآخرون من قوله تعالى: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ هو أن المنفي بالآية الدعوة مع الله دون الدعوة من الله بواسطة الشفيع وطلب دعائه أيضاً إلى الله على أن المراد من النهي الانتهاء عن جعل الشريك لله تعالى في العبادة بقرينة قوله سبحانه: ﴿**وإن المساجد لله**﴾ فالمعنى كما عن المفسرين قاطبة أن المساجد لله فلا تعبدوا مع الله غيره كما في قوله تعالى: ﴿**ولا تدعوا مع الله إلهاً آخر**﴾ وهذا

يقوله كل موحد مخلص في عبادته ولكنه لا دخل له بمسألة الاستشفاع فإن الاستشفاع نظير طلبك من المقرب عند الملك أن يشاركك في طلب مسألتك من الملك.

وأما الجواب عن الآيات الأخر مثل قوله تعالى: **﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمٰن عهداً﴾** وقوله تعالى: **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾**.

فنقوله: إن مقتضى الآية الأولى ثبوت الشفاعة لمن اتخذ عند الرحمن عهداً أي إيماناً فالمؤمنون يملكون الشفاعة كما أن مقتضى الآية الثانية ثبوت الشفاعة بعد الإذن والرضاء من الله ونحن نقول به للأنبياء والأولياء ولو كان شركاً لما جاز الإذن والرضا بالشفاعة نعم لا يجوز القول بأنه يا محمد يا رسول الله اغفر لي ذنبي وذلك لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وجميع المسلمين على ذلك، وأما القول بأنه يا محمد اشفع لي عند ربك فليس من الشرك إذ الشرك هو أن تدعوه مع الله في حاجتك لا أن تسأله أن يدعو الله في غفران ذنوبك.

أما المسألة الثانية في التوسل.

قالت بعض الفرق: لا يجوز التوسل بالموتى ممن ثبتت مكانته عند الله ورفع الحوائج إليهم محتجين تارة بأنه خطاب لمعدوم وذلك قبيح عقلاً لعدم قدرة الميت على الإجابة وأخرى كما عن ابن تيمية بأنه شرك قال في صفحة ١١ من الجزء الأول من منهاج السنة: والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير أن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير.

وقالت الإمامية يجوز سؤال النبي ﷺ والأئمة قضاء الحوائج وتفريج الكرب بعد موتهم كما يجوز ذلك حال حياتهم لعدم كون ذلك من خطاب

المعدوم أولاً ولا كونه شركاً ثانياً. [أما عدم كونه نداء الأموات توجيهاً للخطاب نحو المعدوم] فلأن للميت من الإدراك والشعور والالتفات مثل ما له حال الحياة بل أزيد لإجماع المسلمين عليه بعد الكتاب والسنة.

قال الغزالي الذي هو من أئمة الشافعية في إحياء العلوم: ظن بعضهم أن الموت هو العدم وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا معنى ما يقال الناس نيام وإذا ماتوا انتبهوا فإن أول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها.

أقول فقول الباقين مردود بالإجماع السابق عليهم واللاحق لهم بأن الموت ليس من العدم.

وأما الكتاب فطوائف:

منها: ما نزل في حق عامة الناس من قوله تعالى: ﴿**فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد**﴾ وقوله سبحانه: ﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ ومنها ما نزل في حق المؤمنين من قوله تعالى: ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إن الأبرار لفي نعيم**﴾ وقوله سبحانه: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾. ففي صحيح البخاري: إذا جلس المؤمن في قبره أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله عز وجل: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾ المجرمين من العصاة والكفار من قوله تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾ وقوله سبحانه: ﴿**إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**﴾ ففي البخاري أن النبي ﷺ أتى قليب بدر وخاطب المشركين بهذه الآية فقيل له إنك تدعوا أمواتاً فقال ﷺ: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون.

ومنها ما هو صريح في الحياة الدائمة بعد الارتحال عن الدنيا كقوله

تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ وقوله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ وقوله تعالى: ﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾ أي يقول الكافر يا ليتني قدمت في الدنيا التي حياتها منقطعة لحياتي التي هي دائمة ولذا قال لحياتي ولم يقل لهذه الحياة تنزيلاً للحياة المنقطعة منزلة العدم فكأنها ليست الحياة بعد مفارقة الروح البدن العنصري إلا الحيوة في الآخرة ومنا ما نزل في حق الشهداء: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾.

ومنها ما اشتمل على خطاب الله مع المؤمنين مثل قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ فلو كانت النفوس البشرية بعد مفارقة الأرواح عن الأبدان معدومة لا يجوز الخطاب معها فكيف وقع الخطاب لهم من الله تعالى أم كيف أنهم خاطبوا الله بقولهم رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، أو قالوا في القبر يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين. انظر السيد محمد حسن القزويني في رسالة البراهين الجلية لتنكشف عليك جلية الأمر فافهم وتدبر، انتهى.

أقول في آخر جملة البحوث النقلية والعقلية: من أراد أن يلمّ بمراتب سيد الموحدين وعلّة الأئمة الطاهرين فلا يجد نفسه إلا أمام بحر خضم فقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك لا يعرفك يا علي إلا الله وأنا.

وأسأل من الله العلي القدير أن يتقبل هذا السفر المتواضع بتمام قبوله من الأقل. وكان تمام الفراغ من هذا السفر المبارك في مدينة النجف الأشرف

على مشرفها السلام في مستهل شهر رمضان المبارك سنة ألف وثلاثمائة وسبع وتسعين بقلم مؤلفه الأقل بصّره الله بعيوب نفسه وجعل يومه خيراً من أمسه، والصلاة الدائمة على أشرف بريته وسيد خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين إلى قيام يوم الدين، انتهى.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
ـ آية النور المباركة	٥
ـ الإهداء بذكرى المقدّس الشهيد السعيد	٧
ـ أبيات عاليات من القصيدة الأزرية الهائية الشامخة لناظم قلائد أفصح المتكلمين الشيخ كاظم الأزري تغمده الله برحمته	٩
ـ تقديم	١١
ـ التعريف بحقيقة لفظية الكتاب	١٢
ـ مقام الخلافة كونها ميراث الأنبياء وحفظ الثغور	١٣
ـ حقيقة مقام الإمام في صقع الألوهية والظهور كونها دليل الهدى ودلالة القاصدين إلى الحق	١٣
ـ مقتبسات من القصيدة العينية لعبد الباقي أفندي العمري: أنت العلي الذي فوق العلا رفعا	١٤ ـ ١٥
ـ القول في الإمامة العامة	١٧
ـ إستعراض لآراء الحكيم القاضي الطباطبائي قدس الله سرّه القدوسي في تفسيره الميزان: في قوله جلّ قدسه «إني جاعلك للناس إماماً»	١٩
ـ قصة الإمامة كونها جاءت في أواخر الأنبياء إبراهيم الخليل	٢٠
ـ إمامتهم موهبة ملكوتية لعلّة صبرهم في جنب الله	٢١
ـ كون الإمام مكشوفاً له عالم الملكوت لتحققه بكلمات الله التامات	٢٢
ـ إستعراض أقوال الحكيم الطباطبائي قدس الله سرّه في ميزانه برواية الإمام الصادق صلوات الله عليه في قول عزّ من قائل: «إني جاعلك للناس إماماً» وبالرواية: إن الله إتخذ إبراهيم عبداً	٢٤
ـ قول شيخ العراقيين الشيخ المفيد قدس الله سرّه: كان إبراهيم الخليل نبياً وليس بإمام حتى نزل «إني جاعلك للناس إماماً»	٢٦

ـ القول في المعنى اللغوي ٢٨
ـ أقوال السيد المرتضى عَلَم الهدى قدس الله سرّه في تأويل قول الحق:
«إني جاعلك في الأرض خليفة ٢٨
ـ تأويلات الفيلسوف الحكيم القاضي الطباطبائي في قول عزّ من قائل:
«إني جاعلك في الأرض خليفة» ٢٩
ـ إستعراض معنى الجعل الحاصل في الخلافة الأرضية وكيفية ردّ الحق
تعالى على الملائكة الكرام «أعلم ما لا تعلمون» ٣٠
ـ الأدلة النقلية والعقلية في خلافة مولى الموحدين وأمير المؤمنين علي بن
أبي طالب صلوات الله عليه في مقام الخلافة الألوهية والخلافة الأرضية.. ٣١
ـ إستعراض آراء الشيخ أبو الفضل الطبرسي في مجمع بيانه في قول
عزّ من قائل «إني جاعلك في الأرض خليفة» ٣١
ـ بيان ما ذكر في حقيقة معصية آدم صفي الله ٣٢
ـ بيان حقيقة قول الحق تعالى في سؤال الملائكة الكرام «نحن نقدسك
ونطيعك» ٣٣
ـ الاستطراد فيما ذكر في حقيقة معصية صفي الله آدم عليه السلام بين صقع المعصية
المولوية والنهوية الإرشادية ..... ٣٣ ـ ٣٤
ـ بيان ما جاء في ذكر لآراء القدرية والجبرية ٣٥
ـ القول في الجبر والتفويض ٣٥
ـ القول في القضاء والقدر ٣٩
ـ رواية الشيخ الأقدم الصدوق قدس الله سرّه في حقيقة القضاء والقدر ٤٠
ـ حكميات مولانا ومولى الموحدين أمير العارفين والمؤمنين صلوات الله
عليه في أن القدر سرٌّ من سرّ الله ٤٠
ـ بيان الجهة الثبوتية والانتسابية للأفعال في موضوعات القضاء والقدر ٤١
ـ استعراض آراء الحكيم القاضي الطباطبائي في ميزانه في حقيقة أفعال العباد. ٤١

ـ رواية كلٌّ من البزنطي في قرب الإسناد عن السلطان علي بن موسى الرضا والصدوق في توحيده في حقيقة القائلين بأن القضاء والقدر أمرٌ بين أمرين فلا جبرَ ولا تفويض ٤١
ـ الاستنتاجات المستخلصة من آية الاستخلاف ٤٢
ـ رواية العلاّمة صاحب البحار المقدس محمد باقر المجلسي قدس الله سرّه في بيان حقيقة النور المحمدي صلوات الله عليه ٤٣
ـ الاعتقاد في العرش ٤٤
ـ الاعتقاد في الكرسي وحقيقة الجنّة برواية الصدوق قدس الله سرّه .... ٤٤ ـ ٤٥
ـ حقيقة العقل في كلام لسان الله الناطق سيد المرسلين صلوات الله عليه ... ٤٥
ـ استعراض حقيقة نظرية المعرفة في أقوال الشهيد السعيد محمد باقر الصدر قدس الله سرّه في كتابه فلسفتنا ٤٦
ـ بيان حقيقة أن النفس ليست من جنس البدن بأقوال الحكيم ملا هادي سبزواري في منظومته الفلسفية: والنفس في وحدتها كلُّ القوى ٤٧
ـ نبذة من أشعار العلاّمة السماوي في الحكمة ٤٧
ـ بحث في واجب الوجود وممكن الوجود ٤٨
ـ بيان استدلالي في استحالة كون واجب الوجود مادياً ٤٨
ـ جملة مباحث في قوانين العليّة والسببية والمادة وقوانين المادة ٤٨
ـ بحث في حقيقة المادة والحركة ومحاكات آراء الحكيم صدر المتألهين في كتابه المظاهر الإلهية ..... ٤٩ ـ ٥٠
ـ استعراض نظرية الحركة الجوهرية للحكيم صدرالدين الشيرازي قدس الله سرّه العالي المتوفى سنة ١٠٥٠ هجرية في كتابه رسالة الحدوث ٥٢
ـ استعراض نظرية البداء عند صدر الدين الشيرازي قدس الله سرّه في كتابه الأسفار الأربعة في الحكمة المتعالية ٣/ ٦٨ ..... ٥٣

ـ استعراض نظرية الحركة الجوهرية لدى صدر المتألهين في كتابه المشاعر، مخطوط في مدارج مكتبة الحسينية الشوشترية في النجف الأشرف..... ٥٤
ـ استعراض نظرية الحركة الجوهرية لدى صدر المتألهين قدس الله سرّه في كتابيه الأسفار الأربعة ٣/ ١٧١ والمبدأ والمعاد ص٤٦ ..... ٥٦
ـ استعراض نظرية الحركة الجوهرية للحكيم أبي البركات البغدادي في كتابه المعتبر في الحكمة ـ حيدر آباد ١٣٥٨هـ، ٣/ ١٦٠ ..... ٥٧
ـ القول في صفات الإمام ٥٨
ـ استعراض موضوعات صفات الإمام في كتاب الألفين للمقدس العلاّمة الحلّي ٦١
ـ صفة الإمام الخفية في أقوال المقدس العلاّمة الحلي ورواية شيخنا الكليني قدس الله سرّه العالي في كتابه الكافي عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعن المعلّى بن خُنيس عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، وعن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن عاصم بن زياد في موضوعات الصفات المشترطة في الإمام..... ٦٣ ـ ٦٥
ـ صفة الإمام العملية ٦٦
ـ ان الحكمة الإلهية اقتضت في توحيد الإمام جمعهم على الحق وصدهم عن الباطل..... ٦٦
ـ ان أرباب الفنون في العلوم كافة يرجعون إلى مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه منهم حبرالأمة ابن عباس في التفسير، والمعتزلي أبي علي الجبائي وهو يرجع في العلم إلى أبي هاشم محمد بن الحنفية وهو يرجع إلى أبيه مولانا أمير المؤمنين، والأشعرية إلى أبي الحسن الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي، ورجوع الإمامية إلى مولانا أمير المؤمنين ظاهر وبيّن، ورجوع أرباب الفقه ورؤساء المجتهدين إلى تلامذة مولانا أمير المؤمنين مشهور وفتاويه العجيبة في الفقه مذكور ..... ٦٧ ـ ٦٨

ـ عهد الإمام إلى الأشتر النخعي وهو والي الإمام على مصر، كونه عهد شامل وقول عادل، عهد جامع للأحكام الشرعية شامل للمعاملات المدنية متضمن لقوانين الحقوق البشرية ٦٨
ـ علاقة الولاة إزاء رعيتهم في قوانين مولانا ومولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ٧٢
ـ الأدلة الدالّة على عصمة الإمام ٧٥
ـ خصوصية نفس الإمام ٧٦
ـ قول الإمام الصادق صلوات الله عليه في علم الأئمة كون علمهم غابر ومزبور ..... ٧٦ ـ ٧٧
ـ قول رسول الله صلوات الله عليه أنا وعلي خلقنا من نور واحدٍ، بحديث كلٌّ من عكرمة عن ابن عباس أورده الكنج الشافعي في كفاية الطالب كذا أورده الكنج الشافعي نقلاً عن الرياض النضرة، كذا أخرجه أحمدبن حنبل في المناقب وميزان الاعتدال نقلاً عن ابن عساكر في تاريخه المشهور مسنداً عن سلمان قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله... الخ ..... ٧٦ ـ ٧٧
ـ نبذة من أشعار الشيخ كاظم الأزري في أزريته المشهورة في ولاية مولانا مولى الموحدين وأمير المؤمنين ٧٨
إنما المصطفى مدينة علم وهو الباب من أتاه أتاها
ـ توجيهات الفخر الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب في جزءه الثاني في تفسير آية المباهلة ٧٨
ـ من أبيات القصيدة الأزرية المباركة في آية المباهلة الشريفة ٧٨
وهو في آية التباهل نفس المصطفى ليس غيره إيّاها
ـ بحث في خصوصية نفس الإمام ٨١

ـ الاستدلالات العقلية على الأمور الخارقة للعادة والأمور المستورة عن الحواس الظاهرة ٨٢
ـ الأدلّة العقلية والنقلية في خصوصية نفس الإمام المعصوم ٨٤
ـ الدليل النقلي برواية ثقة الإسلام الكليني عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه في علم الإمام، والدليل العقلي عن المولىٰ المقدس النراقي في جامع السعادات: أن بين العلّة والمعلول سنخية وأن كل معلول من سنخ علّته ٨٥
ـ ان نفس الإمام المعصوم صادرة عن محض وجوده ومترشحة عن فيضه بقول صدر الحكماء صدر الدين الشيرازي ١٠٥٠ هـ في أسفاره الأربعة في الحكمة المتعالية: كل ما هو أقرب إلى الملأ الأعلى كان في باب الظهور والعالم أقوى، وكل ما هو أبعد منه كان أخفى وأضعف ظهوراً ومعلومية ٨٥
ـ بحث في كيفية اتصال نفس الإمام بلوح القدر ونظر نفسه الشريفة إلى النفوس الناطقة ٨٧
ـ استعراض طبيعة لوح القدر في مباحث رسالة القضاء والقدر للحكيم صدر الدين الشيرازي قدس الله سرّه، مخطوطة في مدارج مكتبة الحسينية الشوشترية في النجف الأشرف ٨٧
ـ حقيقة العناية الإلهية في الرسالة العرشية لشيخ المشائيين ابن سينا، مخطوطة طبع حيدر آباد ١٣٥٣ هـ: العناية تصوّر نظام الخير في الكل .. ٨٧
ـ استعراض آراء الحكيم صدرالدين الشيرازي قدس الله سرّه في رسالة القضاء: العالم عالمان، عالم القضاء وهو عالم الثبات والاستقرار وعالم القدر وهو عالم التغيّر والتجدد ٨٧
ـ قول صدر المتألهين قدس الله سرّه في كتابه الشريف المظاهر الإلهية:

عالم الثبات وهومقدّس عن شائبة كثرة وتفصيل وهو المسمى بأم الكتاب. .
إلى قوله: العلم الإلهي في مرحلة القضاء هو عين الذات الإلهية أو هو من
لوازم ذاته المتعالية عن التغيير والتبدل ٨٨
ـ والمرتبة الثانية هي مرحلة القدر الخارجي وهو مرحلة تحقق الموجودات
بحيث تتخذ صورالموجودات قوالبها المادية لغرض التحقق، على ما أورده
الحكيم صدر الدين الشيرازي في كتابه المظاهر الإلهية، ١٠٥٠ هجرية . . ٨٩
ـ القول في حقيقة النفس ٩٣
ـ ان النفس هي ظل لوجود الواجب جلّت قدرته ورشحة من فيض نور فعله
الأقدس ٩٤
ـ أبيات من رباعية العلاّمة الحجة السماوي في حقيقة النفس: ٩٥
فيكِ يا نفس كما في الكون نور وظلام
ـ الرد على من قال بتناسخ الأرواح بأقوال الحكيم القاضي الطباطبائي قدس
الله سرّه العالي ٩٦
ـ الأدلة الدالّة على وجوب عصمة الإمام ٩٧
ـ استعراض استدلالات العلاّمة الحلّي في عصمة الإمام ..... ٩٧ ـ ٩٨
ـ العصمة تنفي التسلسل ٩٩
ـ استعراض مفهوم الخليفة والعصمة وكون أن فائدة الخليفة تكميل قوى
العلم والعمل لسائر الخلائق وتكميل كل مستعد على قدر استعداده . . . ١٠١
ـ ردّ العلاّمة الحلّي قدس الله سرّه في كتاب الألفين على جماعة من الحشوية ١٠٤
ـ القول في العلوم الخارقة للعادة ١٠٩
ـ استعراض آراء الحكيم القاضي الطباطبائي قدس الله سرّه القدوسي في
تفسيره الميزان في علّة إنزال السحر إلى الأرض ١١٠
ـ بحث في السحر والأفعال الخارقة للعادة ١١١

ـ طرق الرياضات في العلوم الخارقة للعادة ١١١
ـ العلوم الباحثة في الغرائب والخوارق، علم الكيمياء وعلم الليمياء وعلم الطلسمات ١١٢
ـ استعراض آراء الشرفاء اخوان الصفا وخلّان الوفا في الفصل التاسع والأربعين من الرسالة الجامعة، ورسالة جامعة الجامعة في علوم الغرائب والخوارق ١١٣
ـ حقيقة علم الهيمياء وعلم السيمياء وعلم الريمياء ١١٤
ـ استعراض أقوال العصمة في رواية الشيخ الأقدم الصدوق قدس الله سرّه .. ١١٥
ـ الخلاف في مدرك وجوب الخلافة ١٢٠
ـ استعراض الأوجه الثمانية في وجوب نصب الإمام ١٢٠
ـ الأوجه الثمانية للإمامية في آراء العلاّمة الحلّي قدس الله سرّه في كتاب الألفين ١٢١
ـ ردّ العلاّمة الحلّي قدس الله سرّه على المعتزلة والزيدية والصالحية والبترية وأصحاب الحديث والخوارج والأشاعرة والسليمانية وعلى القاضي عبد الجبار الهمداني الأسدآبادي شيخ المعتزلة ..... ١٢٦ ـ ١٢٧
ـ وجوب نصب الإمام في كل عصر ١٢٨
ـ تفنيد العلاّمة الحلّي قدس الله سرّه شُعَب وجوب نصب الإمام ١٢٨
١ ـ واجب بالعقل لا بالأوامر السمعية : عليه الإمامية والإسماعيلية
٢ ـ الوجوب السمعي : وعليه مذهب الأشاعرة
٣ ـ الوجوب عقلي وسمعي : وعليه مذهب الجاحظ والكعبي وأبي الحسين البصري وجماعة من المعتزلة.
ـ الأدلة النقلية في الولاية العَلَوية ١٣١
ـ روايات ما نزل في ولايته الشريفة.. برواية كل من الحموييني والثعلبي وآبن عباس وأبو نعيم الحافظ، والحافظ جلال الدين السيوطي وابن

مسعود وأنس بن مالك وابن شيرويه الديلمي في فردوسه وآبن المغازلي وابن كثير وابـن حجر في صـواعقه المحـرقة وابن مردويه والحـاكم أبو القاسم الحسكاني ١٣٢
ـ ما نزل في مولانا ومولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في قول عزّ من قائل «وأنذر عشيرتك الأقربين» ١٥٢
ـ النصوص الصريحة بعد حديث الدار ١٥٥
ـ اعتراف النصوص بصحّـة الحديث في رواية كلٍّ مـن أحمد بن حنبل في المسند والنسائي في خصائصه العـلوية والشيخ ابـن حبّـان في جواهر العقدين والمـحب الطبري وفي سنن الترمذي وفـي الكبريت الأحـمر للشيخ علاء الدين السمناني وموفق بن أحمد الخوارزمي وعن الحاكم ا ابن أحمد البيهقي ..... ١٥٦ ـ ١٧١
ـ فرائد من أشعار الشافعي في رشفة الصادي عن أبي بكر بن شهاب الدين.. ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم.. ..... ١٧٢
ـ قول العلاّمة الحلّي في شرح تجريد الاعتقاد للخاجة نصير الدين الطوسي في المسألة الخاصة أن الإمـام بعد النبي ﷺ بلا فصل في قـول عزّ من قائل «إنما وليكم الله ورسوله» ١٧٣
ـ استعراض نصوص آية الولاية: النسائي في صحيحه وصاحب الجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة والثعلبي في تفسيره الكبير ١٧٤
ـ نكتة العلاّمة الطبرسي في مجمع بيـانه في حقيقة آية الولاية «إنما وليكم الله ورسوله» ١٧٦
ـ نكتة الزمخشري في تفسير الكشّاف ١٧٧
ـ استعراض النصوص النقلية النازلة في قـول عزّ من قائل «يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك» ١٧٩

ـ دفع التأويل عن حديث الغدير ١٨٢
ـ دفع المآلية عن نص حديث الغدير ١٩٠
ـ أولوية مولانا ومولى الموحدين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه
بالإمامة حالية غير مآلية بنص الغدير ١٩١
ـ الولاية العلوية في السنّة النبوية ١٩٨
ـ فيما ورد عن أئمة الإمامية من النصوص النبوية الشريفة ١٩٩
ـ كلام مولانا ومولى الموحدين أميرالمؤمنين صلوات الله عليه إلى كُميل بن
زياد النخعي ٢٠٤
ـ القول الظاهر في علم الإمام الزاخر ٢٠٦
ـ قول المقدس البحراني رضوان الله عليه في تفسيره البرهان بإسناده إلى
مولانا الصادق صلوات الله عليه في حقيقة عالم الشهادة ٢٠٧
ـ أقسام علوم أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم ٢٠٧
ـ بيان حقيقة قول عزّمن قائل: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلاّ من
ٱرتضى من رسول» ..... ٢٠٧ ـ ٢٠٨
ـ تخصيص علومهم عليهم السلام بورثة علم الحروف ٢١٢
ـ حقيقة غيب الهوية الإلهية في قول عزّ من قائل «فٱعلم أنه لا إله إلاّ الله»
والجمع بين الآية وبين قول رسول الله: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ٢١٢
ـ الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه حلّ معاقد رموز أسرار الحروف
وفك طلاسم كنوزه ٢١٣
ـ حقيقة القول في قولهم علمنا غابر ومزبور ٢١٣
ـ استعراض أقوال الشيخ السنقري في كتاب الإلهام في علم الإمام ٢١٤
ـ الأدلّة العقلية على عموم علمهم عليهم السلام ٢١٤
ـ فاكهة في نوادر علومهم عليهم السلام ٢٢٤

الموضوع | رقم الصفحة

- باب حقيقة علومهم عليهم السلام ٢٢٧
- استعراض بعض عجائب الخصائص الحسينية للمقدس التستري ٢٢٩
- التكليف الواقعي والظاهري في نهضة سيد الشهداء الحسين عليه السلام ٢٣١
- وجه الحكمة في ابتلائهم عليهم السلام ٢٣٩
- أجوبة السيد علَم الهدى الشريف المرتضى في وجه الحكمة في ابتلائهم . ٢٤١
- الأسرار النورانية في خصوصية علم أمير المؤمنين صلوات الله عليه ٢٤٤
- بابٌ في نور فضله وشرفه ٢٤٨
- رواية المفضّل بن عمر الجعفي بأن الله جلّ جلاله خلق الأرواح قبل الأجساد في قول عزّ من قائل «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» ٢٤٩
- من درر أنوار علومه عليه السلام ٢٥٤
- لؤلؤة في علمه النوري: بقول كلٌّ من الصدوق والشيخ محي الدين بن العربي الأندلسي والسيد نعمة الله الجزائري والتافتزاني وصاحب حكمة الإشراق شهاب الدين السهروردي ٢٥٦
- فصلٌ في شفاعة الإمام ٢٦٠
- استعراض آراء المقدس محمد حسن القزويني في كتاب البراهين الجلية في حقيقة الشفاعة ٢٦٢
- حقيقة التوسّل بالأئمة صلوات الله عليهم أجمعين ٢٦٤
- خاتمة ٢٦٦

المكتبة الرضوية الحيدرية
الرقم ١٨٧١٨
التاريخ ١١/٧/٢٠٠٩

صدر للمؤلف

١ ـ علي والإمامة ـ مطبوع ـ النجف الأشرف ـ ١٩٧٣م
٢ ـ الخلافة والخصوصة العقائدية ـ مخطوط ـ النجف الأشرف ـ ١٩٧٤م
٣ ـ تجدد الذكرى في قتيل باخمرى ـ مطبوع ـ النجف الأشرف ١٩٧٥م
٤ ـ البرهان الأظهر في فلسفة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الأندلسي ـ مطبوع ـ بيروت ـ ١٩٨١م
٥ ـ الكوكب الدرّي في سرّ النور المحمدي ـ مطبوع الطبعة الأولى بيروت ـ لبنان ١٩٨٢م، الطبعة الثانية ـ دار الكتاب الإسلامي ١٩٩١م
٦ ـ الفلسفة العلوية في علم الهيئة الملكوتية ـ مطبوع بيروت ـ لبنان ١٩٩٨م
٧ ـ الجفر وجوهر العقيق في سعد التوفيق ـ مطبوع بيروت ـ لبنان ١٩٩٩م
٨ ـ مقتل سلطان العاشقين الحسين صلوات الله عليه، مَلِك عالم العشق ومرآة تجلّي الحق، مطبوع بيروت ـ لبنان ٢٠٠١م
٩ ـ الكلام الجلي في ولاية أمير المؤمنين علي، مطبوع بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١م، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م هذا الكتاب

تحت الطبع

١٠ ـ أسرار الأوقات والدعوات في تعقيب الصلوات ـ جاهز للطبع
١١ ـ خواطر نورية على قصيدة ابن الفارض الميمية ـ جاهز للطبع
١٢ ـ رسالة في الأدوار والأكوار وحقيقة القرانات الفلكية ـ جاهز للطبع
١٣ ـ نظرية الزمان بين صدر المتألهين وآنشتاين ـ جاهز للطبع
١٤ ـ العشق في البسائط الذاتية ـ جاهز للطبع
١٥ ـ ظهور إمام الزمان صلوات الله عليه بين الإسم الأعظم وغُزاة الأكوان جاهز للطبع

DIN A5